الجامعة الإسلامية – غزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
ماجستير عقيدة ومذاهب معاصرة

The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Ossoul Ed-deen
Master modern ideology and creeds

قضايا العقيدة في سورة يونس ﵇ بين السلف والمعتزلة
(دراسة تحليلية مقارنة)

Ideology Issues in Surat 'Younis' between Predecessor and Isolationists Analytic Study

إِعدَادُ البَاحِثِة:
إيمان بنت عبد الكريم بن سليمان أبو مصطفى

إِشرَافُ:
الأُستَاذ الدُكتُور
جابر بن زايد بن عيد السميري

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ فِي العقيدة والمذاهب المعاصرة بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

شعبان/ 1438هـ–مايو/2017م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

قضايا العقيدة في سورة يونس ﷺ بين السلف والمعتزلة (دراسة تحليلية مقارنة)

Ideology issues in Surat 'Younis' between predecessor and isolationists Analytic Study

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**إيمان بنت عبد الكريم بن سليمان أبو مصطفى**	اسم الطالبة:
Signature:	إيمان أبو مصطفى	التوقيع:
Date:	2017/7/5م	التاريخ:

بســـــم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية-غـزة
The Islamic University of Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:
التاريخ: 2017/07/05م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **ايمان عبد الكريم سليمان ابو مصطفى** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

قضايا العقيدة في سورة يونس بين السلف والمعتزلة
(دراسة تحليلية مقارنة)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأربعاء 10 شوال 1438هـ، الموافق 2017/07/05م الساعة التاسعة صباحاً ، في قاعة مبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. جابر زايد السميري	مشرفاً و رئيساً	....
د. عماد الدين عبد الله الشنطي	مناقشاً داخلياً	....
د. تميم ضيف الله ضهير	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف على المناعمة

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

مُلَخصُ الرسالة بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّة

الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله ... أما بعد.

فإن هذا البحث والذي بعنوان " **قضايا العقيدة في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة دراسة تحليلية مقارنة**" فقد تناولت في هذا البحث أهم ما ورد في السورة من قضايا عقدية هامة وتم دراستها دراسة تحليلية مقارنة بين السلف والمعتزلة، وذلك بهدف بيان عقائدهم الباطلة وكشف ما فيها من زيف مع بيان المنهج الذي اتبعوه ونقده والرد عليه وفق منهج السلف الصالح.

وقد جاء هذا البحث للمقارنة العقدية بين السلف والمعتزلة ضمن مقدمة وأربعة فصول يتضمن كل فصل منها عدة مباحث.

وتضمنت المقدمة: الإهداء، والشكر، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والمنهج والطريقة المتبعة فيه، ثم خطة البحث.

وتناول التمهيد: التعريف بالسورة وتسميتها بهذا الاسم، وسبب نزولها، وفضائلها، ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها، ومجمل القضايا العقدية الواردة في السورة، والتعريف بالسلف والمعتزلة، وبيان أصول المعتزلة الخمسة المجمع عليها عندهم.

أما الفصل الأول: فجاء تحت عنوان التوحيد في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة، واشتمل على أربعة مباحث هي: تعريف التوحيد وأقسامه بين السلف والمعتزلة، وتوحيد الربوبية بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام، وتوحيد الألوهية بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام، ثم توحيد الأسماء والصفات بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

بينما الفصل الثاني فكان عنوانه: النبوات في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة، واشتمل على مبحثان هما: الرسل عند السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام، والنبي محمد ﷺ ومعجزة القرآن الكريم بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

ثم الفصل الثالث فكان عنوانه: الغيبيات في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة واشتمل على خمسة مباحث هي: تعريف الغيب وأقسامه وآثاره، والملائكة بين السلف والمعتزلة في سورة يونس، واليوم الآخر بين السلف والمعتزلة، والشفاعة بين السلف والمعتزلة في سورة يونس، والجنة والنار بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

ثم الفصل الرابع فكان عنوانه: القضاء والقدر والهداية والضلال بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام واشتمل على ثلاثة مباحث هي: القضاء والقدر بين السلف والمعتزلة، والهداية والضلال بين السلف والمعتزلة، والختم والطبع بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وخُتم البحث ببيان أهم النتائج، وذكر بعض التوصيات، ثم الفهارس.

Abstract

Praise to Allah, who has guided us to this; and we would never have been guided if Allah had not guided us. To proceed:

This study is titled "The Issues of Creed in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him, between the Salaf and the Mu'tazilah: An Analytical Comparative Study”. It discussed the most important creed issues mentioned in this surah. Those issues were analyzed and compared with reference to the belief of the Salaf, predecessors, and the Mu'tazilah. This aimed to expose and disproof the Mu'tazilah’s fake beliefs and deviated approach according to the method of the righteous predecessors.

This study accomplished its aim of comparing the beliefs of the Salaf and the Mu'tazilah through an introduction, and four chapters, each of which included several topics.

The introduction included the following: a dedication, acknowledgement, the topic importance, the reasons for its selection, the objectives of the research, the implemented approach and method, and finally the research plan.

The preface introduced the Surah, the reasons behind its naming and revelation, its virtues, its relation with the preceding and following surahs, the creed issues mentioned in it in general, a background about the Salaf and the Mu'tazilah, and an explanation of the five pillars of the belief of Mu'tazilah.

The first chapter came under the title of “Tawhid in Surat Yunus between the Salaf and the Mu'tazilah.” This chapter included four topics: the definition of Tawheed and its divisions between the Salaf and the Mu'tazilah, Tawheed Al-Roboubeyyah between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him, Tawheed Al-Uloubeyyah between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him, and Tawheed of the Names and Attributes of Almighty Allah between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him.

The second chapter is titled “Prophethoods in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him, between the Salaf and the Mu'tazilah.” The chapter included two topics, which are: Prophets between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him, and the Prophet Muhammad, may Allah’s peace and blessings be upon him, and the miracle of the Noble Quran between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him.

Then the third chapter was titled “The Unseen in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him, between the Salaf and the Mu'tazilah.” The chapter included five topics, which are: definition of the unseen and its divisions and impacts, angels between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, the Final Day between the Salaf and the Mu'tazilah, Shafaa’ah, mediation, between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, Heaven and Hellfire between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him.

Then the fourth chapter was titled “The Qada’ and Qadar (Fate and Destiny), and Guidance and Misguidance in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him, between the Salaf and the Mu'tazilah.” The chapter included three topics, which are: Qada’ and Qadar between the Salaf and the Mu'tazilah, guidance and misguidance between the Salaf and the Mu'tazilah, sealing and stamping between the Salaf and the Mu'tazilah in Surat Yunus, may Allah’s peace be upon him.

The study concluded with a statement of the most important results, some recommendations, and the indices.

بسم الله الرحمن الرحيم

قـــال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

[يونس:37-38]

اْلإِهدَاْءُ

إلى الذي شق نور رسالته ظلمات الكون، فأضاء مشارقها ومغاربها بعلمه وعمله وأخلاقه، إلى طبّ القلوب ودوائها... أفضل الخلق محمد ﷺ .

إلى التي ساندتني وكان دعاؤها سر توفيقي، وزاداً لي في المسير طوال كتابتي لهذا البحث، حتى أثمر جهدها.... والدتي الكريمة

إلى من كلله الله ﷻ بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل فخر وأرجو من الله أن يمد في عمره ليرى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار.... والدي الكريم.

إلى الذين تقاسمت معهم الحياة... إخوتي وأخواتي.

إلى من زرع في قلبي حبَّ العقيدة الإسلامية وشجعني على تعلمها وتعليمها والرد على المخالفين لها.... أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور: جابر بن زايد السميري " حفظه الله".

إلى كل عالم ومتعلم.

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع راجيةً من الله ﷻ أن يكون خالصاً لوجه الكريم.

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد ﷺ، وأله وصحبه الطيبين، فالشكر ابتداءً وانتهاءً إلى من لا يطيب الليل إلا بشكره، ولا يطيب النهار إلا بذكره، ولا تطيب اللحظات إلا بطاعته، فأحمده حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما أكرمني به من نعمة عظيمة، وتفضل عليّ بتيسير كتابة هذه الرسالة في كافة أطوارها ومراحلها وإتمامها حتى وصلت إلى ما هي عليه، فما كان فيها من صواب وتسديد فهو من الله ﷻ، وإن كان فيها من ضعف وتقصير فهو جهد بشري مقل فمن نفسي وأستغفر الله، وأسأله أن يجعلها خالصة لوجه الكريم، وعنده متقبلة وبين الناس مثمرة.

وانطلاقاً من قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيد﴾[لقمان:12]، وقول رسول الله ﷺ: " **مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ**" [(1)]، فمن هذا المنطلق كان حقاً عليَّ أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى والديّ الكريمين حفظهما الله لمّا قدماه لي من دعم مادي ومعنوي، وشجعاني على مواصلة مسيرتي التعليمية حتى وصلت إلى ما أصبو إليه، وإلى كل من علمني حرفاً وجعلني من طلبة العلم الشرعي وغرس فيّ حب العقيدة الإسلامية.

وأخص بجزيل الشكر والعرفان أستاذي القدير الأستاذ الدكتور/ جابر بن زايد السميري الذي أقول له بشراك قوله ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**" [(2)]، فهو الذي كان له الفضل بعد الله في رعاية هذا البحث والاهتمام به منذ أن كان بذرةً، فلم يدخر جهداً في توجيهي لما فيه الصواب في دقيق المسائل وجليلها، سواء كان منهجاً أو مادةً أو أسلوباً أو تنظيماً، فقد أفادني بتوجهاته النافعة وآرائه الصائبة مما كان له آثر عظيم في تقويم الرسالة وإخراجها على هذه الصورة، فالشكر له موصول غير مقطوع، وجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك في صحته وعلمه وذريته وبوأه من الجنة مقعداً.

كما أتقدم بعظيم شكري للأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة اللذين تفضلا بقبول مناقشة الرسالة وتقويمها وإثرائها بالملاحظات والتوجيهات لتخرج في أبهى حلة فجزاهم الله خيراً:

(1) [أبو داود: سنن أبو داود، كِتَاب الْأَدَبِ/ بَابٌ فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ، 255/4: حديث رقم4811] صححه الألباني، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته (1122/2).

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ، 50/5: حديث رقم2685] حسنه الألباني، الألباني، مشكاة المصابيح (74/1).

الدكتور: عماد الدين عبد الله الشنطي، "حفظه الله"

الدكتور: تميم ضيف الله ضهير "حفظه الله"

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى كليتي العريقة التي طالما افتخرت بالانتساب إليها كلية أصول الدين، وشكرى موصول إلى جميع أعضاء الهيئة التدريسية في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة على ما بذلوه من جهود في نشر وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوسنا والتي تعتبر سراً من أسرار سعادة الإنسان في الدارين، وكذلك الشكر موصول إلى جامعتي الغراء برئاستها وعلمائها.

كذلك الشكر موصول إلى كل من ساعدني في هذا البحث سواء بإشارة أو بعبارة أو بمعلومة، أو بدعوة في ظهر الغيب، وأخص بالذكر إدارة معهد دار الحديث الشريف وهيئته التدريسية التابع لجمعية دار الكتاب والسنة، لما قدموه لي من نصائح وإرشادات، وإلى جميع صديقاتي ورفيقات دربي اللواتي دعمنني بالدعاء والتحفيز، فجزاهن الله عني جميعاً خير الجزاء

وفي الختام: أسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، وأسأله أن يجزي كل من ذكرتهم خير الجزاء وأن يكافئهم إزاء ما بذلوه من جهود، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباحثة:

إيمان بنت عبد الكريم أبو مصطفى

فهرس المحتويات

المقدمة

الحمد لله الذي أحلنا محلة الفهم، وحلانا بحلية العلم، وملكنا عقال العقل، وزيننا بزينة المنطق، وأصلي وأسلم على من أوتي جوامع الكلم، النبي الأمي المبعوث بالهدى إلى أعقل الأمم وعلى جميع آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾[الأحزاب:70–71]

أما بعد:

فإذا كانت العلوم تقاس بشرف موضوعاتها فإن موضوع العقيدة هو أشرف الموضوعات، وذلك لأنها جوهر حياة القلوب فلا حياة للقلوب إلا بمعرفة ربها وخالقها، وأيضاً لكونها تبحث في ذات الله ﷻ، وفيما ينبغي أن يتصف به من صفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص، لذلك كان لا بد من الرجوع إلى المصدر الرئيسي لفهم العقيدة فهماً صحيحاً بعيداً عن تلبيس الفرق الضالة المنتسبة للإسلام والتي بدأت بنشر سمومها وأفكارها بين المسلمين، وتفسيرها للقرآن الكريم وفقاً لأهوائها العقلية، ولعل من أوسع الفرق التي خاضت في الحديث عن وحدانية الله ﷻ ونفى صفاته ونحت بالقرآن الكريم والسنة النبوية جانباً واعتمدت على الوهم كمصدر أساسي لجميع المسائل العقدية وتأويلها للكثير من المسائل العقدية الثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية ألا وهي فرقة المعتزلة، ولكن مما لا شك فيه فإن القرآن الكريم هو الذي يُؤصل المسائل العقدية التي عليها مدار الدين كله والتي يجب على المسلم اعتقادها والإيمان بها، وهو الذي نزل لإثبات العقيدة الإسلامية، فالعقيدة الإسلامية هي أصل الإسلام وهي أساس قبول الأعمال والأقوال يوم القيامة، فمن انصرف عن القرآن الكريم واتبع أهواءه بغير علم فهو من الضالين المنحرفين عن النهج النبوي، فكان لزاماً علينا أن نرجع إلى النبع الأصلي لكي ننهل منه عقيدتنا السليمة، كما أن عقيدة السلف الصالح المستمدة من القرآن الكريم هي الأسلم والأعلم والأحكم وهي الأَوْلى بالاتباع والالتزام.

ولعل الناظر في البحوث العلمية المتعلقة بمسائل الاعتقاد يجد أنها تناولت البحث في قضية معينة من قضايا العقيدة وتوسعت في الحديث عنها، ولكنني ارتأيت في بحثي هذا أن أتناول البحث في مجموعة من القضايا العقدية في أفضل كتاب وهو كتاب الله ﷻ، فوقع الاختيار على سورة يونس عليه السلام ببيان القضايا العقدية فيها وشرحها من خلال كتب العقيدة والتفسير وسلطت الضوء في البحث على كتب التفسير وخاصة المفسرين الذين اعتنوا بالجانب العقدي كابن كثير والطبري وغيرهما، مع الاستشهاد بالأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح في كل مسألة، مع المقارنة مع أهم وأكثر الفرق تأثيراً ألا وهي فرقة المعتزلة والرد على شبهاتها بالدليل القاطع من خلال آيات القرآن الكريم وخاصة سورة يونس عليه السلام، وبأقوال السلف الصالح، لعلنا من خلال هذا البحث نتعرف على منهجهم في مسائل التوحيد وغيرها من عقائدهم الباطلة.

لذلك جاءت الرسالة بعنوان:

" قضايا العقيدة في سورة يونس بين السلف والمعتزلة دراسة تحليلية مقارنة"

واشتملت المقدمة على ما يلي:-

أولاً: أهمية موضوع البحث:

1- إن أعظم أهمية لهذا الموضوع، أنه يتصل بأرفع العلوم وأشرفها، ويسعى إلى كشف القليل مما فيه من الدرر الثمينة العقدية التي احتواها أشرف الكتب ألا وهو القرآن الكريم.

2- الإسهام في المحافظة على العقيدة الإسلامية، وغرسها في نفوس الموحدون وتوضيح دورها في بناء شخصية المرء الموحد بالله ﷻ بناءً صحيحاً.

3- التمييز بين منهج السلف ومنهج المعتزلة وذلك من خلال مقارنة بين الفرقتين من خلال الرجوع إلى كتب التفسير والعقيدة لكليهما.

4- الوقوف على انحرافات المعتزلة الباطلة في العقيدة وبيان ما وقعت فيه من أخطاء، والرد عليها مع الالتزام بمنهج السلف الصالح الصحيح.

5- إبراز الجوانب العقدية التي تناولتها سورة يونس ﷺ، مع العمل على ترسيخ وبيان عقيدة السلف الصالح فيها.

6- لعل الله ﷻ يهدى بهذا الموضوع قلباً غافلاً، وعيناً أعماها اتباع الهوى والشُبُهات، فسورة يونس اشتملت على قدر عظيم من القضايا العقدية الهامة خاصة التي وقع فيها الخلاف بين السلف والمعتزلة مثل الهداية والضلال، والختم والطبع، وغيرها كما أنها اشتملت على بعض الردود للمخالفين لعقيدة السلف الصالح.

ثانياً: أسباب اختيار موضوع البحث.

1- إرضاء الله ﷻ من خلال تدبر آياته واستنباط التوجيهات العقدية من ينبوعها الأصلي " القرآن الكريم"، ولعل من أعظم الأعمال وأجلها التدبر في آيات كتاب الله ﷻ.

2- الرغبة الشديدة في التعرف على معتقدات وأفكار أم المدارس العقلية ألا وهي المعتزلة وبيان شبهاتهم الخاطئة، بالإضافة إلى رغبتي في التعرف على تفاسيرهم وكتبهم المتعددة.

3- الخلاف الشديد بين السلف والمعتزلة في أغلب مسائل التوحيد، مع التأكيد على أن منهج السلف الصالح هو المنهج السليم والأولى في الاتباع والانقياد.

4- تشجيع أستاذي جابر السميري على السير في بحث هذا الموضوع؛ وذلك لما له من عظيم الفائدة في خدمة هذا الدين، وخدمة طلبة العلم الشرعي، وتطلع الطالبة لمعرفة الأساليب الكلامية والتمكن من معرفة عقائد الظالين المنحرفين والرد عليهم.

ثالثا: أهداف البحث:

1- التعمق في الفهم الصحيح للقضايا العقدية التي تضمنتها سورة يونس ﷺ، وتبصير الناس نحو العقيدة الإسلامية بشكل مباشر.

2- توضيح العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات من خلال سورة يونس ﷺ.

3- الذود عن عقيدة السلف الصالح والدفاع عنها، مع بيان أن المصادر الرئيسة للعقيدة الإسلامية هما "القرآن الكريم والسنة النبوية" وليس الأدلة العقلية كما هو في منهج المعتزلة.

4- إثراء المكتبة الإسلامية برسالة علمية محكمة تتناول موضوعاً جديداً من خلال المقارنة بين السلف والمعتزلة من خلال كتب العقيدة والتفسير معاً.

5- الرد على المعتزلة في معتقداتهم المختلفة من خلال سورة يونس عليه السلام .

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والتَّنقيب عن موضوع الدراسة من خلال مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، والبحث في دليل الرسائل الجامعية وسؤال أساتذتي في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وقفت على بعض الدراسات السابقة حول موضوع الدراسة وهي:

1- رسالة ماجستير بعنوان " أصول الاعتقاد في سورة يونس عليه السلام – للباحثة قذلة بنت محمد بن عبد الله القحطاني من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية سنة 1411هـ، فهي رسالة قديمة أي قبل حوالي 27 سنة.

2- رسالة ماجستير بعنوان " الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني والعشرين من القرآن الكريم من سورة يونس عليه السلام من آية26-109" للباحثة ريهام النعسان الجامعة الإسلامية غزة، وهي رسالة في التفسير وبيان أوجه القراءات والمعانى والأهداف العامة للسورة ولم تتطرق إلى الجانب العقدي فيها.

ولم يتبين للباحثة أي أبحاث أو دراسات أخرى كُتبت في قضايا العقيدة في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة، ولكن تميزت دراستي عن الدراسات السابقة:

1- أنها لم تقتصر في الحديث على توضيح وتفسير مسائل العقيدة وفق منهج السلف فقط، وإنما سلطت الضوء على دراسة منهج المعتزلة في تفسيرهم للمسائل العقدية، وخاصة في مبحث الأسماء والصفات، فهي دراسة تحليلية مقارنة بين السلف والمعتزلة.

2- توسعت في الحديث في جميع ما ورد في سورة يونس ﷺ من قضايا عقدية هامة لم تتطرق إليها الرسائل الأخرى، وأيضاً منهجية البحث مغايرة تماماً للرسالة التي كتبت في أصول الاعتقاد.

3- أنها تميزت في بيان أنواع التوحيد عند المعتزلة مع أصولهم الخمسة المجمع عليها، مع توضيح المصدر الأساسي المعتمد عليه في تلقي العقيدة.

خامساً: منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي [1] مع الاستعانة بالمنهج الاستقرائي المقارن، حيث قمت بحصر وجمع الآيات الدالة على موضوعات العقيدة في سورة يونس ﷺ ومن ثم دراستها دراسة تحليلية من خلال الرجوع إلى كتب ومراجع العقيدة والتفسير المعتمدة عند السلف، وكتب المعتزلة الرئيسية، مصنفةً إياها حسب خطة البحث، ثم تناولتها بالمناقشة والمقارنة والرد عليها، خاتمةً بما توصلت إليه من أهم النتائج.

سادساً: طريقة البحث:

1- بيان مواضع الآيات القرآنية من القرآن الكريم بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وتمييز الآيات بوضعها بين هلاليين بهذا الشكل ﴿ ﴾.

2- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها الأصلية، مع ذكر حكم العلماء عليها إلا ما ورد في صحيح البخاري ومسلم.

3- توثيق المصدر أو المرجع داخل المتن بذكر اسم عائلة المؤلف، أو اسم الشهرة، ثم عنوان الكتاب، ثم رقم الجزء ورقم الصفحة، ويوثق بذكر المعلومات كاملة في قائمة المصادر والمراجع، وحين الاقتباس من الشبكة الدولية للمعلومات أذكر اسم الموقع، وتاريخ البحث.

---

(1) المنهج الوصفي التحليلي: هو المنهج الذي يقوم بوصف ظاهرة ما أو موضوع ما، ويعتمد على دراسة الموضوع وفق منهجية علمية صحيحة ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها كيفياً بوصفها وتوضيح خصائصها، ثم وصف النتائج وصفاً دقيقاً. انظر: رجاء دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية (ص183).

4- في حالة الاقتباس النصي يتم تمييزه بوضع النص المقتبس بين علامتي التنصيص المعروفة بالشكل " ".

5- في حالة تطابق بين المرجع والمرجع الذي يليه في الحاشية يعبر عنه بالمرجع السابق مع ذكر رقم الجزء ورقم الصفحة، إذا كان هناك اختلاف، أما إذا كان نفس الجزء والصفحة يعبر عنه بنفس الجزء والصفحة.

6- الأخذ من كتب المعتزلة في أقوالهم وتفسير معتقداتهم، وإن لم أعثر عليها في كتبهم استعنت بكتب أمهات الفرق القديمة لتوضيح الفكرة وشرحها، ومن ثم كتب المخالفين لهم حتى تتضح عقيدتهم.

7- إبراز عقيدة السلف الصالح في جميع محطات البحث، وخاصة في مناقشة المعتزلة والرد عليها.

8- توضيح بعض المصطلحات الغامضة التي ترى الباحثة الحاجة لبيانها بتوضيحها في الحاشية.

9- التعريف ببعض الفرق الكلامية التي وردت في البحث وذلك عند ذكرها لأول مرة في البحث.

10- الترجمة لأعلام السلف الصالح، وكذلك الترجمة لأعلام وعلماء المعتزلة.

11- وضع فهارس متعددة وذلك لتسهيل الاستفادة من البحث وهي على النحو الآتي:

فهرس للآيات القرآنية وترتيبها حسب موضعها في المصحف، فهرس الأحاديث النبوية الشريفة، فهرس الأعلام المترجم لها، فهرس للمصطلحات الغامضة والغريبة، فهرس للفرق والأديان، فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

سابعاً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول ومباحث ومطالب، وخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة:

وقد اشتملت على أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وطبيعة عملي فيه، وخطة البحث.

التمهيد وفيه:

أولاً: التعريف بالسورة وسبب التسمية.

ثانياً: سبب نزول السورة وزمانه.

ثالثاً: تصنيف السورة مكية أم مدنية.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.

خامساً: فضل سورة يونس عليه السلام.

سادساً: مجمل القضايا العقدية التي تناولتها سورة يونس عليه السلام.

سابعاً: التعريف بكل من السلف والمعتزلة.

ثامناً: الأصول الخمسة المجمع عليها عند المعتزلة.

الفصل الأول

التوحيد في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التوحيد وأنواعه بين السلف والمعتزلة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوحيد وأنواعه عند السلف.

المطلب الثاني: تعريف التوحيد وأنواعه عند المعتزلة ومناقشتهم والرد عليهم.

المبحث الثاني: توحيد الربوبية بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية لغةً واصطلاحاً عند السلف.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية بين السلف والمعتزلة.

المطلب الثالث: أقسام توحيد الربوبية بين السلف والمعتزلة.

المطلب الرابع: مظاهر توحيد الربوبية.

المطلب الخامس: نواقض توحيد الربوبية.

المطلب السادس: السحر بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام

المبحث الثالث: توحيد الألوهية بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام .

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية لغةً واصطلاحاً عند السلف.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية بين السلف والمعتزلة.

المطلب الثالث: مظاهر توحيد الألوهية.

المطلب الرابع: الولاية بين السلف والمعتزلة.

المطلب الخامس: نواقض توحيد الألوهية.

المبحث الرابع: توحيد الأسماء والصفات بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاسم والصفة لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة.

المطلب الثاني : تعريف توحيد الأسماء والصفات عند السلف والمعتزلة.

المطلب الثالث: طريقة إثبات الأسماء والصفات عند السلف والمعتزلة.

المطلب الرابع: الأسماء الواردة في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة.

المطلب الخامس: الصفات الواردة في سورة يونس عليه السلام وأقسامها بين السلف والمعتزلة.

المطلب السادس: المقصود بالزيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [يونس:26]

الفصل الثاني

النبوات في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأنبياء والرسل والفرق بينهما عند السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النبي لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة.

المطلب الثاني: تعريف الرسول لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة.

المطلب الثالث: الفرق بين النبي والرسول عند السلف والمعتزلة.

المطلب الرابع: دلائل النبوة، والأنبياء في سورة يونس ﷺ.

المطلب الخامس: عقيدة المعتزلة في النبوات والرد عليهم.

المبحث الثاني: النبي محمد ﷺ ومعجزة القرآن الكريم بين السلف والمعتزلة في سورة يونس ﷺ.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال سورة يونس ﷺ.

المطلب الثاني: معجزة القرآن الكريم الواردة في سورة يونس ﷺ.

المطلب الثالث: تعريف القرآن الكريم عند السلف ومناقشة المعتزلة بقولهم أن القرآن مخلوق.

المطلب الرابع: تعريف الوحي وذكر شبهات المشركين في إنكارهم للوحي.

المطلب الخامس: بيان إعجاز القرآن الكريم ومراحل التحدي، وقول المعتزلة بالصرفة والرد عليهم.

المطلب السادس: بيان عاقبة المكذبين والمستهزئين بدعوة النبي محمد ﷺ ورسالته.

الفصل الثالث

الغيبيات في سورة يونس ﷺ بين السلف والمعتزلة.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الغيب وأقسامه وآثاره.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الغيب لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة.

المطلب الثاني: أقسام الغيب.

المطلب الثالث: آثار الإيمان بالغيب.

المبحث الثاني: الملائكة بين السلف والمعتزلة في سورة يونس ﷺ.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الملائكة لغةً واصطلاحاً بين السلف والمعتزلة.

المطلب الثاني: وظائف وأعمال الملائكة عند السلف والمعتزلة كما ورد في سورة يونس ﷺ.

المبحث الثالث: اليوم الآخر بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف اليوم الآخر بين السلف والمعتزلة.

المطلب الثاني: البعث بين السلف والمعتزلة والرد على المنكرين له.

المطلب الثالث: الحشر بين السلف والمعتزلة.

المبحث الرابع: الشفاعة بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشفاعة لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة.

المطلب الثاني: شروط الشفاعة وأقسامها.

المطلب الثالث: عقيدة المعتزلة في الشفاعة والرد عليها.

المبحث الخامس: الجنة والنار بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجنة ونعيم أهلها كما ورد في سورة يونس عليه السلام.

المطلب الثاني: تعريف النار وجحيم أهلها كما ورد في سورة يونس عليه السلام .

المطلب الثالث: الجنة والنار عند المعتزلة والقول بعدم وجودهما الآن.

المطلب الرابع: مناقشة المعتزلة بقولها فناء حركات أهل الجنة والنار.

الفصل الرابع

القضاء والقدر والهداية الضلال بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القضاء والقدر بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر عند السلف.

المطلب الثالث: عقيدة المعتزلة في القضاء والقدر والرد عليهم.

المبحث الثاني: الهداية والضلال بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الهداية والضلال لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة .

المطلب الثاني: مراتب الهداية والضلال عند السلف.

المطلب الثالث: عقيدة المعتزلة في الهداية والضلال والرد عليهم.

المبحث الثالث: الختم والطبع بين السلف والمعتزلة في سورة يونس ﷺ.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الختم والطبع عند السلف والمعتزلة.

المطلب الثاني: عقيدة المعتزلة في الختم والطبع والرد عليهم.

الخاتمة : وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: تشتمل على فهرس الآيات، والأحاديث، والأعلام، والموضوعات.

التمـــــهيد

أولاً: التَّعريف بالسورة وسبب التَّسمية.

سورة يونس عليه السلام هي أول سورة في القرآن الكريم سميت باسم نبي بحسب ترتيب المصحف، لا بحسب ترتيب النُّزول وتليها مباشرة سورة هود ويوسف عليهم السلام، فهذه السُّور الثَّلاث متتابعة وهي السُّورة العاشرة في ترتيب المصحف والسُّورة الرَّابعة من السُّور المفتتحة بالحروف المقطعة ﴿الر﴾ [1] والسورة الحادية والخمسون في ترتيب نزول السور، عدد آياتها مائة وتسع آيات عند الجمهور، أما عند أهل الشام مائة وعشر آيات [2]، والراجح أن عدد آياتها مائة وتسع آيات، وعدد كلماتها: ألف وأربعمائة وتسع وتسعون كلمة، وعدد حروفها: سبعة آلاف وخمسة وستون حرفا [3]، "وسورة يونس عند قوم من السبع الطوال، وعند أخرين من المئين، والسبع الطوال في ترتيب المصحف هي: "البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف" فهذه الست متفق على أنها من السبع الطوال، فمن العلماء من يرى أن التوبة والأنفال سورة واحدة، وهي السابعة، ومنهم من لا يرى أن التوبة والأنفال سورة واحدة، وهذا الذي عليه الجمهور أن التوبة والأنفال ليستا سورة واحدة ويجعل السابعة من السبع الطوال هي سورة يونس"[4]، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[الحجر:87]، والسبع الطوال هي: "البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس"[5]

وسبب تسميتها بهذا الاسم: فإن لكل سورة من سور القرآن العظيم اسم يختص بها ويميزها عن غيرها من السور، وسميت سورة يونس عليه السلام بهذا الاسم؛ لأنها انفردت بذكر خصوصية لقوم يونس عليه السلام وأنهم آمنوا بعد أن توعدهم نبيهم بنزول العذاب عليهم، فعفا الله عنهم

---

(1) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج445/2).

(2) انظر: ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير (ج78/11).

(3) انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج928/6).

(4) المغامسى، تأملات قرآنية، تأملات في سورة يونس، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net .

(5) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (ص133). الضريس، فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة (ص89).

لما آمنوا، وذلك في قوله الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس:98].

وتلك الخصوصية كرامة ليونس ﷺ، والأظهر أنها أضيفت إلى يونس ﷺ تميزاً لها عن أخواتها الأربع المفتتحة بـ﴿الر﴾ ولذلك أضيفت كل واحدة منها إلى نبي أو قوم نبي عوضاً عن أن يقال: ﴿الر﴾ الأولى، و ﴿الر﴾ الثانية، وهكذا[1]، وأيضاً سميت بهذا الاسم: "لأن قصة نبي الله يونس ﷺ قصة مثيرة، سواء بالنسبة لشخصه الذي تعرض لالتقام الحوت له، أو بالنسبة لما اختص به قومه من بين سائر الأمم برفع الله العذاب عنهم حين آمنوا و تابوا بصدق"[2]، وقصة يونس ﷺ هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين تداركوا أنفسهم قبل مجيئهم العذاب فيتوبون إلى ربهم قبل فوات الأوان وكان في الوقت متسع لقبول توبتهم، وهم الوحيدون في تاريخ الدعوة الإسلامية الذين آمنوا كافة بعد تكذيبهم لنبيهم فكشف الله عنهم العذاب الذي أوعدهم به نبيهم قبل وقوعه بهم، كما كان يقع على من قبلهم من الأمم السابقة وهذه سنة الله في المكذبين [3].

ثانياً: سبب النزول وزمانه.

نزلت سورة يونس ﷺ سنة إحدى عشرة بعد البعثة[4]، نزلت بعد سورة الإسراء فتكون سورة يونس من السور التي نزلت بين الإسراء والهجرة[5]، وفي الوقت الذي اشتد فيه الإنكار والجدل من قبل الكفار حول إثبات نبوة محمد ﷺ وأنه مبعوث من عند رب العالمين، وإنكارهم لمعجزته الربانية وادعوا أنها من تلقاء نفسه، وأن الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً أنزل الله ﷻ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس:2]، ولإثبات معجزة القرآن الكريم أنها من عند الله ﷻ نزل

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج77/11).

(2) وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج93/11).

(3) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1752/3).

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج78/11).

(5) انظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية– خصائص السور (ج3/4).

قوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:38][1].

ثالثاً: تصنيف السورة مكية هي أم مدنية.

سورة يونس ﷺ سورة مكية، واختلف المفسرون في عدد الآيات التي نزلت في المدينة باعتبار أنها سورة مكية، فعن ابن عباس ﷺ قال: "أن هذه السورة مكية إلا قوله ﷻ: ﴿وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:40]، فإنها مدنية نزلت في اليهود"[2]، وقال مقاتل: "مكية، إلا الآيتين وهي قوله ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس:95]، نزلت بالمدينة"، وقال الكلبي: "هي مكية إلا قوله ﷻ: ﴿وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:40]، نزلت في اليهود بالمدينة" وقالت فرقة: "نزلت من أولها إلى نحو من أربعين آية بمكة وباقيها في المدينة"[3]، وقال الحسن وعكرمة وغيرهم هي "مكية من غير استثناء"[4]، وقال السيوطي: "استثنى منها الآيات (40، 94، 95) فقيل إنها مدنية نزلت في اليهود"[5].

والذي تطمئن إليه النفس أن سورة يونس ﷺ جميعها مكية، كما قال المحققون من العلماء؛ لأن الذين قالوا بوجود آية مدنية أو آيات مدنية فيها، لم يأتوا بدليل صحيح يؤكد ذلك ؛ ولأن السورة الكريمة من مطلعها إلى نهايتها تتضمن سمات القرآن المكي بصورة واضحة فهي

---

(1) انظر: السيوطي، لباب النقول في أسباب النقول (ص115). الواحدي، أسباب النزول (ص264).

(2) الرازي، التفسير الكبير (ج183/17).

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج102/3).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج304/8).

(5) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج58/1).

تهتم بإثبات وحدانية الله، وصدق النبي ﷺ، وأن القرآن من عند الله، وأن البعث حق، ورد ما أورده المشركون من شبهات حول الوحي وصدق نبوة النبي محمد ﷺ [1].

والتناسق والترابط في السورة يوجد بين مطلعها وخاتمتها، فيجئ في المطلع قوله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾[يونس:1-2]، ويجئ في الختام: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[يونس:109]، فالحديث عن قضية الوحي في البداية وفي النهاية يؤكد أن السورة مكية [2].

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها، هي أن سورة التوبة التي سبقتها قد ختمت بقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:128]، وفي هذا لفت لنظر العرب عامة ولقريش خاصة إلى الحقوق المفروضة عليهم نحو هذا الرسول، وأنه المبعوث إليهم من بينهم ومن ذوي عشيرتهم وسورة يونس جاء ابتداؤها رافضاً إنكار العرب وجحودهم لهذا الرسول ووقوفهم منه موقف الجحود والعناد، مع ما بين يديه من معجزات وآيات والتي تشهد بأنه رسول رب العالمين[3].

وسورة التوبة خُتِمْت بذكر صفات الرسول محمد ﷺ، وسورة يونس ﷺ بدأت بتبديد الشكوك والأوهام نحو إنزال الوحي على الرسول ﷺ، للتبشير والإنذار، وكانت معظم آيات سورة التوبة تتحدث في أحوال المنافقين وموقفهم من القرآن، وهذه السورة في أحوال الكفار والمشركين وقولهم في القرآن وما يقوله المنافقون عند نزول سورة من القرآن حيث قال الله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[يونس:38].

(1) انظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ج8/7).

(2) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (1752/3).

(3) انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (928/6-929).

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[يونس:15]، وأيضاً في التوبة ذم المنافقين بعدم التوبة والتذكر إذا أصابهم البلاء في قوله ﷻ: ﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[التوبة:126]

وفي سورة يونس ﷺ ذمٌ لمن يصيبه البلاء فيدعو الله ثم يعود إلى ما كان عليه وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[يونس:12] (1)، فالاتصال بين السورتين واضح، فقد ذكرت سورة التوبة أوصاف الرسول التي تستدعي الإيمان به وتصديقه، ثم ذكرت سورة يونس ﷺ النبي محمد ﷺ ومعجزته الخالدة الربانية وأنها وحي من الله ﷻ وإن شأن الضالين الجحود و التكذيب بالكتب الإلهية(2)، فناسب أن تجئ سورة يونس ﷺ بعد سورة التوبة، إذ كانت خاتمة التوبة كهيئة سؤال، وكان بدء سورة يونس ﷺ أشبه بجواب لهذا السؤال، أو كانت خاتمة التوبة تقريراً لحكم ما، وكان بدء سورة يونس ﷺ تعقيباً على هذا الحكم، فالتناسب واضح بين سورة التوبة وسورة يونس ﷺ(3).

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها، أن سورة هود ﷺ متفقة مع سورة يونس ﷺ في معناها وفي مضمونها وافتتاحها بـ﴿الر﴾ واختتامها بوصف الإسلام والقرآن والنبي الذي جاء بالحق من الله ﷻ، والدعوة إلى الإيمان والتصديق بما جاء به الرسول ﷺ، وتفصيلها ما أُجمل في سورة يونس ﷺ من قضايا عقدية مثل إثبات الوحي والتوحيد والبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب، وإعجاز القرآن وإحكام آياته، وإقامة الحجة على المشركين في ذلك وتحديهم بالقرآن على أن يأتوا بمثله(4)، وسورة هود ﷺ تبدأ بما بدأت به سورة يونس ﷺ بذكر الكتاب الحكيم الذي أوحى به

(1) انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ج55/6).
(2) انظر: وهبة الزحيلي ،التفسير المنير،(ج93/11-94).
(3) انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج6/ 928-929).
(4) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج6/12).

إلى الرسول محمد ﷺ فهي تصف الكتاب بالحكمة ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[يونس:1] وقد وصفته سورة يونس عليه السلام بأنه كتاب حكيم ثم وصفه وصفاً آخر هو أن الحكمة التي اشتمل عليها، لم تكن حكمة مغلقة بل هي حكمة مفصلة، واضحة مشرقة تنالها عقول الناس جميعاً وشارك فيها الحكماء وغير الحكماء؛ لأن الذي أحكمها هو الذي يملك الحكمة بأكملها وهو خبير يعلم كل شيء ويضع كل شيء في مكانه المناسب له[1].

خامساً: فضل سورة يونس عليه السلام.

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر ومن الحسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون[2]"، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: :أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي الطُّوَلِ، وَأُوتِيَ مُوسَى عليه السلام سِتًّا، فَلَمَّا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ، رُفِعَتْ ثِنْتَانِ، وَبَقِيَ أَرْبَعٌ"[3]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ الر"، فَقَالَ: كَبُرَتْ سِنِّي، وَاشْتَدَّ قَلْبِي، وَغَلُظَ لِسَانِي، قَالَ: "فَاقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ حاميم"[4]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله أعطاني الرائيات[5] إلى الطواسين[6] وكان الإنجيل"[7].

يتبين مما سبق أن سورة يونس عليه السلام هي أول سورة في القرآن باسم نبي، وهي من السبع الطوال، نزلت سنة احدي عشرة بعد البعثة، وهي سورة مكية إلا بعض الآيات التي ذكرت الاختلاف فيها، عدد آياتها (109) آية، وتروى لنا حكاية القوم الوحيدين الذين أمنوا قبل نزول العذاب عليهم، وفضلها كبير وقد حث النبي ﷺ على قراءتها.

---

(1) انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج6/1099-1100).

(2) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ج5/116).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، تفريع أبواب الوتر/مَنْ قَالَ: هِيَ مِنَ الطُّوَلِ، 2/72: حديث رقم 1459]، قال الألباني: "هذا إسناد صحيح". الألباني: صحيح أبي داود (ج5/200).

(4) [أبو داود: سنن أبي داود، أَبْوَابُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَحْزِيبِهِ وَتَرْتِيلِهِ/تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ، 2/ 57: حديث رقم1399].قال الألباني: ضعيف. الألباني: صحيح وضعيف سنن أبو داود (ج1/2).

(5) الرائيات: هي السور المبدوءة ب (آلر).

(6) الطواسين: (طسم أو طس).

(7) الشوكاني، فتح القدير (ج2/479).

سادساً: مجمل القضايا العقدية التي تناولتها سورة يونس.

سورة يونس كما أسلفت في الحديث عنها فهي من السور المكية التي تدعو إلى توحيد الله ﷻ والتمسك بالعقيدة السليمة الصحيحة، البعيدة عن شبهات وانحرافات وأهواء المشركين وتضمنت السورة الكريمة عدد لا بأس به من القضايا العقدية التي كان يدور حولها الجدال مع المشركين، وقد تناولت في هذا البحث أهم وأبرز القضايا العقدية الواردة في السورة وما تبقى في السورة الكريمة من قضايا عقائدية فكان الحديث عنها في الإطار العام للبحث ومن هذه القضايا العقدية:

أولاً: توسعت السورة في بيان أنواع التوحيد الثلاثة: وركزت على توحيد الألوهية الذي استغرق حيزاً كبيراً من السورة، وكذلك الحديث عن القسمين الأخرين للتوحيد، فتوحيد الربوبية دل عليه قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[يونس:31]، وتوحيد الأُلوهية دل عليه قوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:18].

وتوحيد الأسماء والصفات دل عليه قوله ﷻ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾[يونس:46]، قوله ﷻ: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[يونس:65]. وهذا أهم ما تناولته السورة وتوسعت في الحديث عن هذا الجانب لأهميته.

ثانياً: سورة يونس ﷺ بدأت بتقرير أن الله ﷻ أرسل إلى كل قوم رسول، وخَتَم الرسلُ بالنبي محمد ﷺ وأيده بالمعجزة الخالدة ألا وهي معجزة القرآن الكريم، وسورة يونس ﷺ من السور التي ذُكر فيها تحدي الله ﷻ العرب على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وأثبتت أن محمداً ﷺ لم يأتي به من تلقاء نفسه، وإنما هو وحيٌ من عند الله ﷻ ودل عليه قوله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾[يونس:1-2]

وأيضاً قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[يونس:37-38]

ثالثاً: ذكرت السورة العديد من الأنبياء والرسل وقصصهم مع أقوامهم، ومن الرسل الذين ذكرتهم السورة نبي الله موسى عليه السلام وقصته مع قومه ومع الطاغية فرعون كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[يونس:75].

وكذلك نبي الله نوح عليه السلام كما في قوله ﷻ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[يونس:71]، وتضمنت السورة قصة قوم نبي الله يونس عليه السلام الذين آمنوا جميعاً بعد ما دعاهم نبيهم يونس عليه السلام وهددهم بالعذاب فكشف الله عنهم العذاب، وهذا أروع نموذج إيجابي للدعوة الإسلامية، وكما ذكرت سابقا بأن هذه كرامة وخصوصية للنبي يونس عليه السلام، وورد في قوله ﷻ: ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس:98].

رابعاً: تناولت السورة الحديث عن أهم مظاهر توحيد الألوهية ألا وهي الولاية وما أعده الله لأوليائه في الآخرة من عظيم الجزاء وفي الدنيا من الحياة الطيبة كما في قوله ﷻ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[يونس:61-63]

خامساً: توسعت السورة في الحديث عن الغيبيات مثل الإيمان بالملائكة كما في قوله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[يونس:109]، والإيمان بالكتب

السماوية في قوله ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:94].

والإيمان باليوم الآخر من البعث والحشر والجزاء وغير ذلك كما ورد في قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:45-46].

سادساً: تطرقت السورة في الحديث عن الشفاعة، وخاصة شفاعة النبي محمد ﷺ وقضائه بين أمته بالقسط ودل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:47]، والحديث عن الجنة والنار في قوله ﷻ: ﴿إَنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:7-8].

سابعاً: أكدت السورة على مسألة القضاء والقدر ومراتبه الأربعة، وإن الأمر بيد الله ﷻ وعلمه وقدرته وخلقه ومشيئته، ولا يخرج شيءٌ عن إرادته وقضائه وقدره؛ كما في قوله ﷻ : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:61]، وأن الله ﷻ يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويختم ويطبع على قلوب الكافرين، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]، وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس:74].

وسأتناول الحديث في جميع هذه القضايا الهامة السابقة بصورة موسعة وتفصيلية ودراستها دراسة تحليلية وفقاً لمنهج السلف ومقارنتها مع مخترعة علم الكلام ألا وهي فرقة المعتزلة وبيان مذهبهم في هذه العقائد مع نقدها والرد على جميع معتقداتها الباطلة
والله أسأل التوفيق والسداد.

سابعاً: التعريف بالسلف والمعتزلة.

أولاً: تعريف السلف لغةً.

قال ابن فارس(1): "السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق"(2)، وقال ابن منظور(3): "سلف يسلفُ سلفا وسلوفاً أي مضى وتقدم، والسلف المتقدم والسلف والسليف والسلفة الجماعة المتقدمون"(4)، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾[الزخرف:56]، وللسلف معنيان: أما أحدهما هو كل عمل صالح عملته وقدمته فهو لك سلف، والثاني: أن كل ما تقدمك في السن وفوقك في السن والفضل، يقال له سالف(5)، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح(6).

الخُلاصة: أن السلف في المعنى اللغوي تطلق على ما تقدم ومضى وسبق أو على من مضوا إلى أجلهم وتركوا أثرهم لمن خلفهم، وعلى من تقدمك في السِّن.

التعريف الاصطلاحي للسلف.

مذهب السلف هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه –رضوان الله عليهم أجمعين– ومن بعدهم من أئمة الدين والديانة والصيانة والسنة والأمانة(7).

---

(1) ابن فارس: هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أصله من قزوين، من أئمة الأدب واللغة كان قد حمل إلى الري وأقام فيها، كان فقيهاً شافعياً فصار مالكيا، من كتبه تتمة الفصيح، وكتاب المجمل، وفقه اللغة، مات بالري ودفن فيها سنة (395) انظر: الحموي، معجم الأدباء (ص411–416).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (95/3).

(3) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر سنة 630، وترك بخطه نحو خمسمائة مجلد وعمي في آخر عمره، قال عنه ابن حجر: كان مغري باختصار كتب الأدب المطولة وأشهر كتبه لسان العرب. انظر: الزركلي، الأعلام (108/7).

(4) ابن منظور، لسان العرب (158/9).

(5) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (455/23).

(6) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (390/2).

(7) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (74/1).

والمراد بالسلف: "الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى، ومن تبعهم من الأئمة كالأئمة الأربعة، وسفيان الثوري [1]، والبخاري ومسلم، وسائر أصحاب السنن، الذين اتبعوا طريق الأوائل جيلاً بعد جيل، دون من وصف بالبدعة كالخوارج[2] والشيعة[3]، والمرجئة[4] والقدرية[5] والمعتزلة، وظهر مصطلح السلف حين دار النزاع حول الدين بين الفرق الكلامية؛ ومحاولة الجميع الانتساب إلى السلف الصالح"[6].

ولفظ السلف من ألقاب أهل السنة والجماعة والمراد منه حين إطلاقه إخراج كل من خالف منهج السلف في التوحيد وإثبات أسماء الله وصفاته كالأشاعرة والمعتزلة وغيرهم من المتكلمون الذين خالفوا نهج الصحابة والتابعين، فلفظ السلف يطلق على من نهج نهج الصحابة واقتدى بهم [7]

---

(1) سفيان بن سعيد بن مسروق، الإمام سيد الحفاظ أبو عبد الله الثوري الكوفي، من ثور بن عبد مناة ولد سنة 97هـ وتوفي سنة 161هـ. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (151/1-153). ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (111/4).

(2) الخوارج: هي فرقة من الفرق الإسلامية القديمة، والسبب الذي سموا من أجله خوارج هو خروجهم على علي بن أبي طالب وهي طائفة ذات أفكار وآراء اعتقاديه أحدثت في التاريخ الإسلامي دويا هائلا، وهم كل من كفر بعلي بن أبي طالب وعثمان وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم، وهم الذين يكفرون بالمعاصي. انظر: مجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (ج328/4-330).

(3) الشيعة: هم الذين شايعوا عليا ﷺ على وجه الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تقية من عنده، وأن الإمامة ركن من أركان الدين، وقالوا بعصمة الأنبياء والأئمة عن الصغائر والكبائر. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج146/1).

(4) المرجئة: هم القائلين لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا من أنه من أهل الجنة أو النار، وأرجئوا العمل عن الإيمان وزعموا أن الإيمان هو المعرفة القلبية وهي أربعة أنواع مرجئة القدرية، مرجئة الجبرية، مرجئة الخوارج، والمرجئة الخالصة .انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج139/1). البغدادي، الفرق بين الفرق) ص190-191).

(5) القدرية: هم الذين نفوا القدر الذي ظهر على يد الجهني وغيلان الدمشقي، وقيل إنهما أخذاه عن نصراني يدعي أبو يونس سنسويه، وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني ، وقد قال عنهم النبي ﷺ (القدرية مجوس الأمة)، وأيضا (القدرية خصماء الله في القدر) وسموا قدرية لأنهم زعموا أن الناس هم يقدرون أكسابهم ، وأنه ليس لله ﷻ في أكسابهم صنع ولا تقدير فهم نفوا القدر عن الله وأضافوه إلى أنفسهم. انظر: مجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (ج326/3). الشهرستاني، الملل والنحل (43/1). الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة في الأديان(ص71).

(6) حلمي، قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي (ص159).

(7) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ص53).

قال ابن عثيمين[1]:السلفية في وقتنا الحاضر "هي سلفية عقيدة وإن لم تكن سلفية زمنٍ؛ لأن السلف سبقوا زمناً؛ لكن سلفية هؤلاء سلفية عقيدة بل عقيدة وعمل في الواقع وهم بالنسبة لمن بعدهم سلف"[2].

يتبين من قول ابن عثيمين أن السلفية قسمان: سلفية زماناً، وهم من سبقونا من الصحابة والتابعين والقرون الأولى، وسلفية منهجية ذات عقيدة صحيحة ومنهجاً موافق لمنهج النبي محمد ﷺ من حيث الاتباع والتمسك بالكتاب والسنة.

ورسول الله ﷺ وصحابته والتابعون لهم بإحسان هم سلف هذه الأمة، وكل ما يدعو إلى مثل ما دعا إليه رسول الله وصحابته والتابعون لهم بإحسان فهو على نهج السلف، والتحديد الزمني ليس شرطا في ذلك؛ بل الشرط في ذلك موافقة الكتاب والسنة في العقيدة والأحكام والسلوك بفهم السلف فكل من وافق الكتاب والسنة فهو من أتباع السلف، وإن باعد بينهم الزمان والمكان ومن خالفهم فليس منهم وإن عاش بين ظهرانيهم، وإمام السلف الصالح هو رسول الله ﷺ[3].

يتضح مما سبق أن القرون الأولى للمسلمين كانت خير القرون في الدين والدنيا معاً، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ"[4]، فهم حققوا الإسلام في قلوبهم فدانت لهم الدنيا وأقاموا أفضل حضارة لأنها قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

وترى الباحثة: أن المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي بينهما ارتباط وثيق، إلا أن المعنى الاصطلاحي أوسع وأشمل من المعنى اللغوي ويشمل كل من اتبع السلف وسار على نهجهم وعقيدتهم حتى لو لم يكن في زمانهم فهو ينتسب إليهم.

---

(1) محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عثيمين من بني تميم، ولد سنة 1347هـ في مدينة عنيزة بالقصيم أمضى حياته في طلب العلم وتعليمه، كان يلقي الدروس في الحرمين المكي والمدني، له مصنفات عديدة منها: القواعد المثلي في أسمائه وصفاته، وله رسائل عديدة في أصول الفقه، توفي أثر مرض عضال ألم به سنة 1421هـ وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر من يوم الخميس. انظر: عبد المحسن البدر، الشيخ محمد بن عثيمين من العلماء الربانيين (ص2-9).

(2) محمد بن العثيمين، شرح العقيدة السفارينية- الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية (ص19).

(3) انظر: الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح (ص28).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات/باب لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ، 3/ 171: حديث رقم2652].

(5) انظر: مصطفى حلمي: قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي (ص28).

ثانياً: المعني اللغوي للمعتزلة.

"عزل الشيء تعزله عزلا، وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل أي نحاه جانباً فتنحى واعتزل الشيء وتعزله يتعديان بعن ويكون على الوجهين وتعازل القوم أي انعزل بعضهم عن بعض والعزلة الانعزال نفسه، ويقال العزلة عبادة واعتزلت القوم أي فارقتهم"[(1)]، ويقال انعزل عن الناس أي تنحى وابتعد عنهم جانباً، وتعازل القوم أي تباعد بعضهم عن بعض، وانعزل فلان عن الحق بمعزل أي ابتعد عنه[(2)] ويقال اعتزل منصبه أو عمله، أي: تنحى وانصرف عنه وتركه[(3)]، وعلى ذلك فالاعتزال معناه: "الانفصال والتنحى، والمعتزلة هم المنفصلون[(4)]".

التعريف الاصطلاحي للمعتزلة.

المعتزلة هي مدرسة فكرية عقلية أعطت العقل مكانة مقدسة وهي من أكبر الفرق الكلامية، وهي اسم يطلقق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة 105هـ وسنة 110هـ[(5)]، بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء[(6)]، وهم يخالفون السلف الصالح في أغلب مسائل العقيدة وهم أهل الكلام وأصحاب الجدل والمناظرة والنظر والاستدلال، وإقامة الحجج على من خالفهم، وهم المفرقون بين علم السمعيات وعلم العقل[(7)]، والمعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل [(8)]

---

(1) ابن منظور: لسان العرب (ج440/11).

(2) انظر: إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط (ج599/2). الفيومي، المصباح المنير في الشرح الكبير (407/2).

(3) انظر: أحمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1494/2).

(4) المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها (ص130).

(5) غالب عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها (ج1163/3).

(6) واصل بن عطاء الغزال: أبو حذيفة من موالي بني ضبة أو بني مخزوم، البليغ الأفوه ولد في المدينة سنة 80 ونشأ في البصرة وهو رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله الحسن البصري وتسمي طائفته الواصلية، ومن مصنفاته المنزلة بين المنزلتين، توفي سنة138 انظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (464/5-465). الزركلي، الأعلام (ج108/8،109).

(7) الملطي، التنبيه والرد على أهل البدع والأهواء ص35-36).

(8) العقل عند المعتزلة: "هو عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة "أي العلوم الضرورية" متى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بأداء ما كلف". القاضي عبد الجبار، المغني،(ج375/11)، أما عند السلف فهو: الآلة في معرفة الإله سبحانه والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل. ابن الجوزي، تلبيس إبليس (ص3) .

المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة وخاصة اليونانية مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة السلف الصالح[1] وقد أطلقوا على أنفسهم أسماء منها: "المعتزلة بمعنى النقاة وأهل النقى والنقاوة، أهل العدل والتوحيد، الوعيدية،القدرية، المنزهة وأهل التنزيه، وأما غيرهم فأطلقوا عليهم المعتزلة بمعنى المنشقين، والمعطلة، والجهمية، والمبتدعة، ومخانيث الخوارج"[2].

وأطلق عليهم اسم المعتزلة لعدة أسباب منها:

1- أنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم المنزلة بين المنزلتين.

2- أنهم عرفوا بالمعتزلة بعد أن اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري [3] وشكل حلقة خاصة به لقوله بالمنزلة بين المنزلتين.

3- أنهم قالوا بوجوب اعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته وهو خالد مخلد في النار[4].

ومن العلماء من قال أن المعتزلة من أهم الفرق الكلامية، بل هي مؤسسة علم الكلام الحقيقي بمعنى أن لها مذهبها المتكامل في علم الكلام، فهم أصحاب المذهب العقلي وكانوا من أوائل الذين وسعوا دائرة المعرفة الدينية بحيث تشمل العقل ولم يكتفوا بذلك بل قدموه على النص، وقالوا بالفكر قبل النص، وأولوا المتشابه من الآيات القرآنية، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل وتحرزوا في خبر الآحاد، وقالوا بوجوب معرفة الله ﷻ بالعقل ولم يرد دليل بذلك[5].

من خلال ما سبق يتبين أن المعتزلة فرقة إسلامية قديمة تعتمد على العقل في فهمها للنصوص الدينية، وتأثرت بالفلسفات الغربية فانحرفت عن مسار السلف الصالح على يد واصل بن عطاء وقد أرست قواعد علم الكلام واتسعت أفاقها بين الفرق الإسلامية وهي تعد أكبر الفرق الإسلامية، ولها أصولها الخمسة التي تعتمد عليها في إرساء عقائدها الدينية والتي سأوضحها فيما بعد.

---

(1) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (64/1).

(2) القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ج4/1).

(3) الحسن البصري هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة، ولد في المدينة وسكن البصرة وتوفي بالبصرة عام 110هـ، له كتاب فضائل مكة. انظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (563/4). القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص25).

(4) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ج1/ 64).

(5) انظر: المغربي، الفرق الكلامية والإسلامية مدخل ودراسة (ص196، 201).

ثامناً: الأصول الخمسة المجمع عليها عند المعتزلة.

قال أبو الحسن الخياط[1]: "ليس أحد يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة (التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فإذا جمع هذه الأصول فهو معتزلي"[2].

والمعتزلة رغم افتراقهم إلى عشرين فرقة [3] إلا أنهم أجمعوا على هذه الأصول الخمسة التي يقوم عليها مذهبهم وقد شرحها القاضي عبد الجبار بالتفصيل[4]، وسبب الاقتصار على هذه الأصول الخمسة أجاب القاضي عبد الجبار:

"ألا ترى أن خلاف الملحدة [5] والمعطلة[6] والدهرية[7] والمشبهة[8] قد دخل على

---

(1) عبد الرحيم بن محمد بن عثمان أبو الحسن الخياط أحد متكلمي المعتزلة كان رئيسا متقدما عالما بالكلام فقيها، شيخ المعتزلة ببغداد تنسب إليه فرقة الخياطية وله تصانيف عديدة منها الانتصار في الرد على ابن الراوندي وغيرها توفي نحو 300هـ . انظر: ابن حجر، لسان الميزان (ج4/8). والزركلي، الأعلام (ج3/347).

(2) الخياط، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد (ص51).

(3) افترقت المعتزلة إلى عشرين فرقة وهي: الواصلية، العمروية، الهذلية، النظامية، الأسوارية، المعمرية، البشرية، الهشامية، المردارية، الثمامية، الجعفرية، الجاحظية، الخياطية، وغيرها، انظر: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص3).

(4) أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسن كان شيخ المعتزلة في عصره يلقبونه بقاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره ولي القضاة بالري، له مصنفات منها: تنزيه القران عن المطاعن، المجموع في المحيط بالتكليف وشرح الأصول الخمسة، توفي سنة415هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان (ج5/54). الزركلي، الأعلام (273/3). الصفدي، الوافي بالوفيات (ج18/20).

(5) الملحدة: هم القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل وأن الله لم يخلق بقدرته و مشيئته والقائلين أيضا بإنكار وجود خالق لهذا الكون ولا يؤمنون بالله وزعموا أن الكون وجد بذاته منذ الأزل عن طريق الصدفة. غالب عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات (ج2/1003). ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية (ج2/95).

(6) المعطلة: هما نوعان، الأول التعطيل المحض التام أو الكلي وهو الذي عليه الجهمية والفلاسفة من إنكار جميع الأسماء والصفات، والثاني التعطيل الجزئي وهو إثبات الأسماء ونفي الصفات نفي بعض الصفات دون بعض وهو الذي عليه الأشاعرة ،إذن المعطلة هم الذين عطلوا الله عن أسمائه وصفاته. مقال التعطيل والجعد بن درهم ، محمد التميمي (ج1/19).

(7) الدهرية: ذهبت الدهرية إلى إنكار حدوث الأجسام والأعراض بدعواهم وجود جميعها في كل حال علي شرط كمون بعضها وظهور بعضها من غير حدوث شيء منها في حال الظهور وهذا إلحاد ويؤدي إلى الكفر، وأيضا هم المنكرين للمعاد والإله ولا يقولون بحدود وأحكام، انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج2/62). البغدادي، الفرق بين الفرق (ج1/128).

(8) المشبهة: هما صنفان، صنف شبهوا ذات البارئ بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، والمشبهة هم الذين ضلوا في تشبيه ذاته بغيره، وأول ظهور له كان على يد الروافض، ومنهم السبابية والبيانية والمنصورية الخطابية والحلولية. البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ج1/114).

التوحيد، وخلاف المجبرة[1] بأسرهم دخل في باب العدل، وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد، وخلاف الخوارج دخل في باب المنزلة بين المنزلتين، وخلاف الإمامية دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[2]، وفي الصفحات الآتية سأفصل هذه الأصول مع بيان عقيدة المعتزلة فيها.

الأصل الأول: التوحيد.

المسلمون متفقون على القول بالتوحيد وأنه هو دعوة الرسل جميعاً، إلا أن المعتزلة سلكت مسلكاً مغايراً يوافق عقيدتهم والذي يعني عندهم التنزيه الكامل لله ﷻ بتأويل كل آيات الصفات بما يتفق مع عقيدتهم، وهذا الأصل هو لب مذهبهم ورأس نحلتهم، وهو عندهم يدور حول ما يثبت لله ﷻ وما ينفي عنه من الصفات والتوحيد العلم بأن الله ﷻ واحد والإقرار به، ولا بد من اعتبار العلم والإقرار لصحة التوحيد؛ لأنه لو علم ولم يقر أو أقر ولم يعلم لم يكن موحداً[3].

والتوحيد هو العلم بما يتوحد الله ﷻ به من الصفات التي يختص بها أو بأحكامها دون غيره وأن الله واحد لا شريك له من أي جهة كان ولا كثرة في ذاته البتة وأنه منزه عن المخلوقات ولا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة[4]، واتفقت المعتزلة على استحالة وجود إلهين قديمين أزلين ومن أثبت صفة قديمة فقد أثبت إلهين[5]. وسأبين معتقد المعتزلة في التوحيد بالتفصيل فيما بعد لأهميته عندهم وأنه هو الأساس لنفيهم أغلب مسائل العقيدة.

الأصل الثاني: العدل.

يأتي هذا الأصل في المرتبة الثانية بعد أصل التوحيد، والمعتزلة يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وقد أخطأ المعتزلة في فهمهم لهذا الأصل؛ لأن مفهوم العدل عندهم أن الله ﷻ لا يفعل القبيح ولا يختار إلا الحكمة والصواب، أي أن أفعاله كلها حسنة وتمييز الحسن من القبيح وأن

---

(1) الجبرية: الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف منها، الجبرية الخالصة، هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، و الجبرية المتوسطة، هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل سمي ذلك كسبا فليس بجبري. الشهرستاني، الملل والنحل (ج85/1).

(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص124).

(3) انظر: المرجع السابق (ص128).

(4) انظر: القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين (ص318). الخياط، الانتصار (ص50).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ج109/1).

القبيح لا يجوز أن يقع من فاعل دون فاعل، والله ﷻ لا يفعل القبيح فالقبيح عندهم أنه مما يستحق به الذم من الأفعال؛ لأن الأفعال على ضربين أحدهما يستحق عليه الذم والآخر لا يصح عليه ذلك فوصف الأول بالقبيح والثاني بالحسن فالفعل هو المميز بينهما، وأن أفعال العباد حادثة من قبلهم وليس من خلقه ﷻ وأن الله لا يكلفهم إلا بما يطيقون وأن قدرتهم متقدمة لما يفعلون، وأن الله لا يعاقب من لا ذنب له ولا بذنب غيره وأن الطفل لا يعذب وإن كان أبواه كافرين، وأنه ﷻ لا يريد القبيح ولا يحبه ولا يرضاه بل يكرهه ويسخطه وأن الله ﷻ لا بد أن يزيح العلل في التكليف[1]، فالعدل عند المعتزلة مرتبط بأفعال العباد وأنها مخلوقة لهم والعبد هو الخالق لأفعاله خيرها وشرها ويترتب على ذلك نفيهم للقضاء والقدر، لأنهم يقولون إثبات القدر يلزم عليه الظلم في حق الله لأنه يعذب عباده على أشياء قدرها عليهم، قال القاضي عبد الجبار: "وما يدل على أن الله تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأفعال العباد هو أن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور فلو كان الله تعالى خالقا لها لوجب أن يكون ظالماً جائراً. تعالى الله عما يقولون"[2].

الأصل الثالث: الوعد والوعيد.

الأصل الثالث من الأصول الخمسة الوعد والوعيد، فقد عرف القاضي عبد الجبار الوعد بأنه: "كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل"، وعرف الوعيد بأنه: "كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل"[3]، والمعتزلة لا يفرقون بين الوعد والوعيد ويوجبون على الله ﷻ إثابة المطيع وعقاب العاصي، قال القاضي عبد الجبار:" لا خلاف بينهم أن وعيد الله بالعقاب حق، ولا يجوز عليه الاخلاف ولا الكذب كما أن وعده بالثواب حق"[4]، أي: أن الوعد والوعيد عند المعتزلة أن يعلم أن الله ﷻ وعدّ المطيعين بالثواب وتوعد المذنبين بالعقاب، ولا يجوز عليه الخلف والكذب، ولا يخلف وعده ووعيده ولا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا أن يتوب[5]، والمؤمن إذا خرج من هذه الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب عليها، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين (ص232-233).

(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص345).

(3) المرجع السابق (ص136-143).

(4) القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص350).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة(ص135-136).

من عقاب الكفار[1]، وبناءً على ذلك أنكرت المعتزلة كل ما يتعارض مع هذا المبدأ ومما أنكروه الشفاعة لأهل الكبائر، فهي للتائبين من المؤمنين دون الفسقة؛ لأن إثبات الشفاعة لهؤلاء الفسقة يتنافى مع مبدأ الوعد والوعيد[2].

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين.

يعتبر هذا الأصل من أول الأصول وجوداً وكان سبباً من أسباب تسمية المعتزلة بأهل الاعتزال، وسببها أن شخصاً دخل على الحسن البصري فسأله عن حكم مرتكب الكبيرة، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء إنه بمنزلة بين المنزلتين أي أنه ليس بمؤمن ولا كافر وهو ما يسمى بالفاسق ثم اعتزل المجلس، وهذا سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم، وهذه المسألة تلقب بمسألة الأسماء والأحكام وهي مسألة شرعية، لا مجال للعقل فيها لأن عليها يقع الثواب والعقاب[3].

ووجه تقريره أن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمى المرء مؤمناً وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير وما استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمناً وليس هو بكافر مطلقاً أيضاً؛ لذلك هو ما بين المنزلتين أي "منزلة الفسق" لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالد فيها وليس في الآخرة إلا فريقان فريق في الجنة وفريق في النار[4].

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يمثل هذا الأصل من أصول المعتزلة الخمسة الجانب التطبيقي لديهم والغرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر فمتى حصل هذا الغرض بالأمر السهل، لا يجوز العدول عنه إلى الأمر الصعب[5]، وعرف القاضي عبد الجبار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن الأمر: "هو قول القائل لمن دونه في الرتبة افعل، والنهي: هو قول القائل لمن دونه لا تفعل، والمعروف: "هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه ولهذا لا يقال في أفعال القديم الله تعالى معروف لما لم يعرف حسنها ولا دل عليه"، والمنكر: "هو كل

---

(1) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (ص45).

(2) انظر: المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها (ص235، 236).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص137).

(4) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ص48). زهدي جار الله، المعتزلة (ص54).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص741).

فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه ولو وقع من الله القبيح لا يقال أنه منكر لما لم يعرف قبحه ولا دل عليه"[1]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على جميع المؤمنين، لكن المعتزلة غالت فيه لدرجة استخدام السيف وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يضطهدون مخالفيهم لاعتقادهم أن بمخالفتهم قد أتوا منكراً [2]، ومن خالف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو كافراً لأنه أنكر مما هو معلوم من الدين بالضرورة [3] وقد شرح القاضي عبد الجبار "أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون على ضربين أحدهما ما لا يقوم به إلا الأئمة والثاني ما يقوم به عامة الناس، أما ما يقوم به إلا الأئمة فذلك مثل إقامة الحدود، وحفظ بيضة الإسلام، وسد الثغور، وتنفيذ الجيوش وغيرها، وما يقوم به غيرهم من الناس فهو كشرب الخمر، والسرقة و الزنا، ولهذا هو عند المعتزلة واجب كفائي، لكن إذا كان هناك إمام مفترض للطاعة فالرجوع إليه أولى"[4].

الخُلاصة:

أن هذه الأصول الخمسة مجمع عليها عند المعتزلة وبها يتميزون عن غيرهم فاهتموا بها جُل الاهتمام، ويعتبر الأصلان التوحيد والعدل هما الأصلان اللذان بُني عليهما الأصول الخمسة لدي المعتزلة، ولا يكاد يخلو كتابا من كتبهم دون الحديث عن هذه الأصول واهتم بها زعيم المعتزلة القاضي عبد الجبار اهتماماً كبيراً وبين سبب الاقتصار على هذه الأصول كما ذكرت سابقا، وحكم على المخالفين لهذه الأصول بالكفر.

وقد نقد شيخ الإسلام ابن تيمية[5]أصول المعتزلة الخمسة، فقال رحمه الله تعالى: "أصولهم الخمسة التي يسمونها التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف

---

(1) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص141).

(2) زهدي جار الله، المعتزلة (52–53) بتصرف.

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص126).

(4) المرجع السابق (ص148).

(5) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضري النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية شيخ الاسلام ولد بحران سنة 661هـ وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر وطلب إلى مصر من أجل فتوي أفتي بها واعتقل سنة720هـ. ومات معتقلا بقلعة دمشق وتوفي سنة 728هـ ودفن في دمشق، وله تصانيف عديدة منها مجموع الفتاوى وغيره الكثير. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (192/4). الزركلي، الأعلام (144/1).

والنهي عن المنكر، لكن معنى "التوحيد" عندهم نفي الصفات، ومعنى "العدل" هو التكذيب بالقدر وخلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة على الشيء، وأما "المنزلة بين المنزلتين" فهي عندهم أن الفاسق لا يسمي مؤمناً بوجه من الوجوه كما لا يسمي كافراً فنزلوه بين المنزلتين، وأما "انفاذ الوعيد" عندهم معناه أن فساق الملة مخلدون في النار لا يخرجون منها بشفاعة أحد كما تقول الخوارج، والأصل الأخير "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" فمعناه جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف"(1).

يتضح من قول ابن تيمية أن أصول المعتزلة الخمسة أصول بدعية فلم تذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية، بل هي من أقوال زعماء المعتزلة الباطلة.

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج13/386-387).

الفصل الأول

التوحيد بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

المبحث الأول

التوحيد وأنواعه بين السلف والمعتزلة.

نظراً لأهمية التوحيد في حياة البشر فقد عمت الدعوة إليه في جميع الأمم، وأرسل الله ﷻ من أجله الرسل، وأنزل عليهم الكتب فكانت دعوتهم للناس ترتكز على عقيدة التوحيد وإفراد الله ﷻ بالعبادة، فهذه العقيدة هي أجل المسائل وأعظمها على الإطلاق لذلك فقد اهتم بها السلف الصالح اهتماماً كبيراً، فجميع الأنبياء الذين بعثهم الله إنما بعثهم للدعوة إلى هذه العقيدة وإفراده ﷻ بالعبادة[1]، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:25].

المطلب الأول: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً عند السلف وأنواعه.

أولاً: تعريف التوحيد لغةً عند السلف.

"الواو والحاء والدال، أصل واحد يدل على الانفراد ومن ذلك الوحدة، وجعل الشيء واحداً" [2]، والأحد في أسماء الله هو الفرد الصمد الذي لم يشاركه أحد، وهو اسم بُني لنفي ما يكون معه من الأعداد، وأصله وحد، والأحد بمعنى الواحد الذي لا ثاني له، فالله ﷻ واحد في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته [3]، فالتوحيد في اللغة هو اعتقاد أن الشيء واحد في ذاته وأفعاله وصفاته ويدل على الوحدة والإنفراد.

ثانياً: تعريف التوحيد اصطلاحاً عند السلف.

من خلال اطلاعي على ما كتبه علماء السلف في تعريف التوحيد شرعاً فقد تعددت تعريفاتهم لمصطلح التوحيد وهناك تعريفاً شاملاً لابن قيم الجوزية سأذكره مع بيان رأى الباحثة.

---

(1) انظر: محمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص127). عبد الرزاق البدر، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ج3/1).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج90/6).

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج70/3). إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط (ج1017/2). مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج376/7).

عرفه ابن قيم الجوزية(1) تعريفاً جامعاً شاملاً فقال: "وأما توحيد الرسل فهو إثبات صفات الكمال له وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته وقدرته واختياره، وأن له فعلاً حقيقة، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه، فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل، وليس لخلقه من دونه وكيل، ولا ولي، ولا شفيع، ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم إليه، وفي تفريج كرباتهم وإجابة دعواهم"(2).

وعرفه السفاريني بأنه: "هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، فلا تقبل ذاته الإنقسام بوجه، ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، فهو الخالق دون من سواه"(3).

وعرفه أبو بكر الجزائري(4): التوحيد هو:" نفي الكفء والمثل عن ذات الله ﷻ وصفاته وأفعاله، ونفى الشريك في ربوبيته وعبادته ﷻ قال ﷻ في نفيء الكفء: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد اللَّهُ الصَّمَد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾[الإخلاص]

وفي نفي الشريك في الربوبية قال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْض أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون﴾[يونس:31]، وفي نفي الشريك في العبادة قال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُم﴾[محمد:19] "(5).

---

(1) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية، ولد سنة 691 غلب عليه حب ابن تيمية حتى أنه كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك، مات في ثالث رجب سنة 751 ودفن في دمشق وكانت جنازته حافلة جداً، وله تصانيف عديدة منها: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج195/2-197). الزركلي، الأعلام (ج56/6).

(2) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ج137/1).

(3) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج57/1).

(4) هو جابر بن موسي بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد سنة 1921م عمل مدرسا في بعض مدارس المعارف ودار الحديث، له تصانيف عديدة منها منهاج المسلم وعقيدة المؤمن وأيسر التفاسير. انظر الشبكة العنكبوتية موقع طريق الإسلام http://ar.islamway.net/scholar/37 بتاريخ 22/7/ 2016.

(5) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن (ص53).

وعرفه ابن عثيمين تعريفاً جامعاً فقال: " التوحيد هو إفراد الله ﷻ بالعبادة وإفراد الله بما يختص به"[1]، وهذا التعريف جامع مشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة لاختصاصه ﷻ بخلق كل الكون واختصاصه بالعبادة دون ما سواه، واختصاصه بأسمائه وصفاته ولا يتصف بها غيره.

الخُلاصة:

التوحيد هو اعتقاد وحدانية الله ﷻ بما تفرد به وبما أمر أن يفرد به فنفرده في ربوبيته، فلا رب سواه ولا شريك سواه وتفرده في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، وتفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كمال صفاته وأسمائه الحسنى.

ثالثاً: أنواع التوحيد عند السلف.

ذهب السلف إلى أن التوحيد نوعان باعتبار ما يجب على العبد المؤمن ، وثلاثة أنواع باعتبار متعلق التوحيد[2].

أولاً: باعتبار ما يجب على العبد المؤمن.

يقول شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي[3] في هذا النوع من التوحيد: "التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد"[4].

1- التوحيد في الإثبات والمعرفة.

هو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات حقيقة ذات الله ﷻ وأفعاله وأسمائه، وإثبات صفات الكمال لله ﷻ، وتنزيهه عن التشبيه بصفات المخلوقين وتنزيه عن صفات النقص، وقد أفصح القرآن عن ذلك كل الإفصاح، كما هو في سورة الحديد، وسورة الإخلاص وغيرها من السور القرآنية، وهذا النوع يسمى بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

---

(1) محمد بن العثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ج39/1).

(2) انظر : محمد التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص38).

(3) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، ولد سنة 731هـ، كان قاضي القضاة بدمشق وصدر الدين الحنفي، كان فقيهاً ومن كبار الحنفية، توفي سنة699هـ، له تصانيف كثيرة منها: التنبيه على مشكلات الهداية وشرح العقيدة الطحاوية. انظر: الزركلي، الأعلام (ج313/4). صلاح الصفدي، الوافي بالوفيات (ج115/3).

(4) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص38).

2- **التوحيد في الطلب والقصد.**

هو التوحيد الطلبي القصدي الإرادي، أي: هو توحيد الألوهية وعبادة الله وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له والخوف منه وعدم إشراك معه أحداً في العبادة والطاعة، وسُمي بتوحيد النية والإرادة؛ لأنه مبني على أن أصل كل الأمور خالصة لله ﷻ؛ ولأن العبد يتوجه بكافة جوارحه بالعبادة لله ﷻ، رغبة في الأجر والثواب ورهبة وخوفاً من العذاب [1]، وهذا النوع تضمنته سورة "الكافرون"، وأول سورة "يونس" وأوسطها وآخرها، وسورة " الأعراف" وغيرها من السور.

والمتأمل لسور القرآن الكريم يجد أنها تضمنت نوعي التوحيد السابقين، ولا تكاد تجد سورة تخلو من الحديث عن أنواع التوحيد، فالقرآن الكريم إما خبر عن الله ﷻ وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري وأما دعوةٌ إلى إفراده وحده بالعبادة، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي ، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وإهانته لأهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من الخزي، وما يحل بهم يوم القيامة من العذاب فهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد [2].

ثانياً: باعتبار متعلق التوحيد.

توحيد الله ﷻ باعتبار متعلقه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- توحيد الربوبية وأن الله ﷻ خالق كل شيء وإفراده بالملك والخلق.

2- توحيد الألوهية وإفراد الله ﷻ بالعبادة.

3- توحيد الأسماء والصفات [3].

وقبل الشروع في بيان الأنواع الثلاثة لا بد من توضيح العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة

إن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يقتضي ويتضمن توحيد الربوبية، فالله ﷻ هو وحده المستحق بالعبادة؛ لأنه هو الخالق النافع الضار لذلك لزم إفراده بالعبادة، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية فمن عبد الله وحده لا شريك له فإنه لم يعبده حتى يكون مقراً

---

(1) انظر : محمد التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص39). ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج3/417-418).

(2) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص38). حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج1/98). عبد الله الغنيمان، شرح فتح المجيد (ج2/2).

(3) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص29).

بالربوبية وهذا يدل ضمناً على أنه اعتقد أن الله هو ربه(1)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإن كانت الأُلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الألوهية؛ فإن أحدهما إذا تضمن الأخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾[الناس]، فجمع بين الاسمين اسم الإله واسم الرب"(2)، وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل لتوحيد الألوهية والربوبية وإفراده ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا فذلك لا يكون إلا لله ﷻ(3)، فالعلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة متكاملة ومترابطة؛ لأن التوحيد هو اعتقاد وإفراد الله ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته(4).

المطلب الثاني: تعريف التوحيد وأنواعه عند المعتزلة والرد عليهم.

أولاً: تعريف التوحيد لغةً عند المعتزلة.

الواحد في اللغة عند المعتزلة هو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم، والواحد هو الذي لا يقبل التفرقة والانقسام إلى أجزاء وقد وضح القاضي عبد الجبار ذلك بقوله "اعلم أن الواحد قد يستعمل في الشيء ويراد به أنه لا يتجزأ ولا يتبعض"(5). والواحد يطلق عندهم على ثلاثة وجوه: أحدهما أنه لا يتجزأ ولا يتبعض، والثاني أنه واحد منفرد لا ثاني له، والثالث أنه متفرد بسائر ما يستحقه من الصفات، أو أنه مختص بصفات لا يشاركه فيها غيره (6)

ثانياً: تعريف التوحيد عند المعتزلة.

مفهوم التوحيد عند المعتزلة فحواه نفي مشابهة الله ﷻ للأجسام وذلك لا يكون إلا بنفي الصفات كلها؛ لأن الله ﷻ لا تقوم به صفات لأن ذلك يؤدى إلى التشبيه والتجسيم والصفات أعراض(7) والأعراض حادثة (8) وهي لا تقوم إلا بجسم وما قامت به الحوادث فهو حادث من

---

(1) انظر: عبد القادر صوفي، المفيد في مهمات التوحيد (ص62).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج284/10).

(3) انظر: محمد التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص42).

(4) انظر: محمد ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص8-12).

(5) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص277).

(6) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج241/4).

(7) العرض هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع ومحل يقوم به كاللون المحتاج إلي جسم يحله ويقوم به وهو نوعين قار الذات وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد، وغير القار الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون أي هو ما يقوم بغيره. انظر: الجرجاني، التعريفات (ص148). والعرض عند المتكلمين هو " ما قام بغيره كالحياة والعلم والقدرة وغيرها" ابن تيمية: مجموع الفتاوي (ج216/5).

(8) الحادث هو ما يكون مسبوقاً بالعدم ويسمى حدوثاً زمنياً، وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير ويسمي حدوثاً ذاتياً، والحدوث هو عبارة وجود الشيء بعد عدمه. التعريفات، الجرجاني (ص81-82)

جملتها فمفهوم التوحيد عندهم نفي الصفات[1]، وذلك هو التوحيد المطلق وأراد بذلك واصل بن عطاء أن يرد أقانيم النصارى، ولو قامت الحوادث بذات الباري لأتصف بها بعد أن لم يتصف بها، ولو اتصف بها لتغير والتغير دليل الحوادث وذلك السبب الحقيقي لنفي الصفات[2].

قال القاضي عبد الجبار: "التوحيد عند المعتزلة يدور على أصول خمسة:

1- إثبات حدوث العالم وأن المحدثات لا بد لها من محدث

2- إثبات المحدث

3- بيان ما يستحقه من الصفات التي تجب لذاته

4- العلم بما لا يجوز عليه من صفات المخلوقين، فلا أحد يشاركه في صفاته نفياً وإثباتاً، قال القاضي عبد الجبار:" أن الله واحد في صفاته لا يشاركه في مجموعها نفياً وإثباتاً ولا في أحادها أن يستحقه على الحد الذي استحقه الله ﷻ والقول في أنه واحد في صفاته لا يتم إلا بعد بيان صفاته التي يستحقها إثباتاً ونفياً" [3]

5- إثبات وحدانيته فإذا عرفت هذه الأصول عرفت التوحيد"[4].

ومن خالف في التوحيد ونفي عن الله ما يجب إثباته وأثبت ما يجب نفيه فهو كافر[5].

وقد شرح أبو الحسن الأشعري[6] مفهوم التوحيد عند المعتزلة فقال: "أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم، ولا رائحة ولا مجسم ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض، ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء وليس بذي جهات ولا

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج29/1-31). نفس المؤلف، شرح الأصول الخمسة (ص94-93).

(2) انظر: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص109).

(3) القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج26/1).

(4) القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين (ص322). نفس المؤلف، المجموع في المحيط بالتكليف (ج26/1).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص125).

(6) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن من نسل أبي موسي الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة من الأئمة المتكلمين ولد في البصرة سنة260هـ، تلقى مذهب المعتزلة ثم رجع عنه، توفي ببغداد سنة 324هـ ، بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب منها، مقالات الإسلاميين والإبانة عن أصول الديانة. الزركلي، الأعلام (ج267/4).

بذي يمين ولا شمال وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن"[1]، والحق أن الله ﷻ موصوف بنفي مجمل وإثبات مفصل، والنفي المجمل هو الذي لا يتعرض فيه لنفي عيوب ونقائض معينة، كما في قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11] ، فهو نفي مجمل لجميع الصفات ولم يقل ليس كمثله شيء في علمه أو غيره، فالمعتزلة ساروا عكس التيار فذهبوا إلى النفي التفصيلي والنفي المحض الذي ليس به شيء وما ليس بشيء فلا يكون مدحاً أو كمالاً، فتوحيدهم غالبه سلوب ونفي دون إثبات والمقصود أن غالب عقائدهم السلوب أي ليس بكذا وليس بكذا، والإثبات عندهم قليل فهم لا يصفون الله بصفات ثبوتية دالة على عظمته بل يصفونه بصفات عدمية فيقولون الله لا معدوم ولا موجود وهكذا، فهذه الصفات ليست صفات كمالية بل هي صفات للمعدوم المحض[2]، فالله ﷻ لا يوصف بصفة فيها معنى إيجابي كالعلم، بل الأمثل أن يكون له صفات خاصة ويصفونها بالسلبية المحضة فقالوا عالم بلا علم [3]

ثانياً: أنواع التوحيد عند المعتزلة .

كما سبق في تعريف الواحد لغةً عند المعتزلة نجد أنهم جعلوا التوحيد ثلاثة أنواع: أن الله واحد لا يتجزأ أو لا يتبعض، لا يشاركه أحد في صفاته، وهو متصف بالقدم لا ثاني له، الظاهر من هذا التقسيم أن جل اهتمامهم كان بتوحيد الأسماء والصفات وأن الله ﷻ واحد لا ثاني له، وأغفلوا توحيد الألوهية بالكامل.

وقال الشهرستاني[4]: "البارئ ﷻ واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا قسيم له، واحد في أفعاله"[5].

---

(1) الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ج131/1-130).

(2) انظر: محمد عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص77 ،211)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج515/6).

(3) انظر: محمد العبده وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث (48).

(4) محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني كان إماما في علم الكلام والأديان، ولد سنة479هـ وانتقل إلى بغداد سنة510هـ، فأقام ثلاث سنين وعاد إلى بلده وتوفي فيها سنة 548هـ، له تصانيف عديدة منها الملل والنحل و نهاية الإقدام في علم الكلام. انظر: الزركلي، الأعلام (ج215/6).

(5) الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، مكتبة الثقافة الإسلامية (ص85). القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج11/1).

وبناءً على قول المعتزلة في التوحيد فقد أدى بهم ذلك إلى نفي الصفات، وقولهم بخلق القرآن، ونفيهم للرؤية التي تكون للمؤمنين يوم القيامة، كذلك تأويلهم للصفات الذاتية والفعلية، وإنكارهم للأحاديث التي تثبت بطريق الأحاد، وقولهم أن أفعال العباد مخلوقة لهم وأنهم يخلقون أفعالهم بأنفسهم، ناهيك عن ذلك اعتمادهم على العقل كمصدر أساسي لجميع المسائل العقدية [1] وسأتناول في هذا البحث الحديث عن جميع تلك العقائد بالتفصيل عند المعتزلة مع مناقشتهم والرد عليهم

مناقشة المعتزلة والرد عليهم:

1- إن تقسيم التوحيد عند كل من السلف والمعتزلة مختلف فالتوحيد عندهم توحيد الأفعال ومقابله عند السلف توحيد الربوبية وأن الله ﷻ خالق كل شيء ومالكه، والمعتزلة لم تنكر ذلك بل تدخله في الصفات، وتوحيد الذات والصفات يقابله عند السلف توحيد الأسماء والصفات، وبينما توحيد الألوهية لا يقابله شيء عندهم، فهم يفسرون الإله بمعنى الرب ويدخلونه ضمن توحيد الأفعال، فتقسيمهم هذا باطل لأنه لم يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، وتفسيرهم للإله بالرب، ورغم أنهم تكلموا بتوحيد الصفات فإنهم لم يصيبوا في ذلك.

2- إن هذا التقسيم فيه ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ وفيه ما يخالف ما جاء به، وليس الحق الذي فيه هو الغاية التي جاء من أجلها الرسول ﷺ، بل التوحيد الذي أُمر به يتضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة وهو توحيد الألوهية، وهذا الكلام فيه لبسٌ للحق بالباطل وكتم للحق ويخالف ما جاء به الرسل، لأن التوحيد عند المعتزلة مجرد الإعتقاد بتوحيد الربوبية فقط [2].

من خلال المقارنة بين كل من السلف والمعتزلة يتضح أن منهج السلف الصالح في تقسيمهم للتوحيد بأنواعه الثلاثة توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات هو الأسلم والأشمل والأحكم ويؤدى إلى غرس وتعميق العقيدة الإسلامية في النفوس.

---

(1) انظر: زهدي جار الله، المعتزلة (ص61-86).

(2) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج226/1).

المبحث الثاني

توحيد الربوبية بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

سورة يونس من السور المكية التي تناولت الحديث عن التوحيد بأنواعه الثلاثة التي أشرت إليها سابقاً بصورة واضحة وجلية، وفي هذا المبحث سأتناول الحديث عن توحيد الربوبية بتعريفه عند السلف وأدلته من القرآن والسنة والعقل، وبيان ما وقعت به المعتزلة من أخطاء في تعريفها لتوحيد الربوبية وأقسام توحيد الربوبية ومظاهره ونواقضه من خلال سورة يونس عليه السلام.

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الربوبية لغةً.

"رب" الراء والباء اسم يدل على أصول: "فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه، والرب المالك والخالق والصاحب، والرب المصلح للشيء"(1)، إذن لفظ الرب في اللغة يطلق على ثلاث معانى قال ابن الأنباري(2): الرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام فيكون "الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، ويكون الرب المصلح يقال رب الشيء إذا أصلحه"(3)، وسأتناول ذلك بشيء من التفصيل.

أ- ووردت كلمة الرب في اللغة بمعنى مالك الشيء وصاحبه، والرب هو الله تعالى ورب كل شيء أي مالكه وله الربوبية على جميع خلقه، فلا شريك له وهو مالك الملوك والأملاك ورب كل شيء: أي مالكه ومستحقه وصاحبه، ويقال فلان رب هذا الشيء أي: مالكه(4)، والعباد مربوبون لله تعالى أي: مملوكون له (5)، ورب العالمين أي: مالكهم وكل من ملك شيئاً فهو ربه

---

(1) ابن فارس، مجمع مقاييس اللغة (ج2/ 381-382).

(2) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات كمال الدين الأنباري، من علماء اللغة والأدب كان زاهداً عفيفاً لا يقبل من أحد شيئاً، ولد سنة 513 سكن بغداد، وتوفي فيها سنة 577هـ له تصانيف عديدة منها " نزهة الألباء في طبقات الأدباء والميزان في النحو وغيرها". الزركلي، الأعلام (ص327).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج1/400-401).

(4) انظر: المرجع السابق (ج1/399-400).

(5) انظر: مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (ج2/462).

فالرب المالك وهو رب العباد يملك المالك والمملوك، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق فالله ﷻ رب كل ما على الأرض وهو مالكهم وتحت سيطرته[1].

ب-ووردت كلمة الرب في اللغة بمعنى "السيد المطاع"[2]، قال الطبري[3]: "السيد الذي لا شبيه له ولا مثل له، ولا مثل في سؤدده المصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر"[4]، أي أنها تطلق على السيد وعلى المتصرف للإصلاح[5]، كما في قوله ﷻ: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾[يوسف:41] ،وقوله ﷻ: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾[يوسف:50] [6]، وفي حديث أشراط الساعة الذي رواه أبو هريرة ﷺ: "إِذَا وَلَدَتِ المَرْأَةُ رَبَّتَهَا"[7] أي: أراد به المولى والسيد يعني أن الأَمَة تلد لسيدها ولداً، فيكون كالمولى والسيد لها والمسؤول عن رعايتها والمتصرف لشؤونها[8].

ت-وتطلق أيضاً على المصلح للشيء، "القائم على تربيته"[9] ولفظ الرب مشتق من التربية فالله ﷻ مدبر لخلقه ومربيهم[10]،و"الرب المصلح للشيء يقال ربّ فلان أرضه أي قام على ترميمها[11]، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/136-137).

(2) مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج2/460)، ابن منظور، لسان العرب (ج1/400).

(3) الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، وقيل ابن كثير ابن غالب، صاحب التفسير المشهور والكبير " تفسير الطبري" كان ثقة في نقله، ولد سنة 224 بآمل طبرستان وتوفي يوم السبت آخر النهار ودفن يوم الأحد في داره في 26 شوال سنة 310 ببغداد. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج4/191-192).

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج1/142).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/44).

(6) ابن منظور، لسان العرب (ج1/400-401).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[لقمان: 34]، 6/ 115: حديث رقم4777].

(8) انظر: مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج2/460).

(9) ابن منظور، لسان العرب (ج1/401).

(10) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/137).

(11) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج2/ 381).

الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ "[1] الشاهد في الحديث قوله "هل لك من نعمة تَرُبُهَا؟" فسميت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها فعلى أنه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل، والرب بمعنى المالك والسيد صفة ذات[2].

ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ، وإذا أطلق على غير الله أضيف فيقال: رب كذا ورب الدين ورب المال، ورب الدار وهكذا أي نسب إليه شيء خاص، أما الرب يطلق على الله ﷻ معرفا بالألف واللام وغير مضافاً ليدل على العموم وأنه رب كل ما في الكون[3].

يتبين لي مما سبق أن كلمة الرب تطلق في اللغة على المالك المتصرف والصاحب والسيد المطاع والمدبر والمصلح لأحوال خلقه، والمربي الخالق ورب كل شيء وهو اسم الله الأعظم.

ثانياً: توحيد الربوبية اصطلاحاً.

توحيد الربوبية هو "الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ رب كل شيء، ولا رب غيره وربوبية الله ﷻ على خلقه، يعني تفرده ﷻ في خلقه وملكهم وتدبير شؤونهم، والإقرار بأن الله ﷻ هو خالق الخلق ومالكهم ومحييهم ومميتهم، ونافعهم وضارهم ويجيب دعائهم عند الاضطرار، له الخلق والأمر "[4]، كما قال ﷻ عن نفسه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:54]، فتوحيد الربوبية هو الإقرار والاعتقاد بأن للكون خالق واحد خلق كل شيء ويستحيل أن يكون للكون خالقان متماثلان متكافئان في الصفات وفي الخلق والأفعال [5]، وهو الإيمان بخلق الله وأنه خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه على كل شيء قدير وأن كل ما في الكون تحت مشيئته وقدرته، وما شاء الله ﷻ كان وما لم يشأ لم يكن فمشيئته مستلزمة لكل ما يريده [6]، وهو الذي يبسط الرزق

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/باب فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، 4/ 1988: حديث رقم2567].

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج137/1).

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج179/2). الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج214/1).

(4) محمد ياسين، الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه (ص7–8).

(5) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص29).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج331/10).

لمن يشاء ويقدره، والذي يُرسل الرسل ويُشرع الشرائع ليحق الحق بكلماته، ويقيم العدل بين عباده شرعاً وقدراً وهذا النوع أقرب إلى الفطرة وقام عليه دليل السمع والعقل(1)، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الإفصاح ولا تكاد تخلو سورة من سورة دون الإشارة إليه فهو الخالق الرزاق المدبر المستحق وحده للحمد والشكر وحده السيد المالك على كل ما في الكون من مخلوقات ومعجزات له الأسماء الحسنى والصفات العلى (2).

يتبين مما سبق أن توحيد الربوبية هو أن الرب هو المالك الخالق الباسط الرازق المحي المميت، النافع الضار وأن كل ما في الكون تحت سلطانه وقدرته، وكل ما يختص بالربوبية بأكملها فهي لله ﷻ لا يشاركه فيها أحد وهذا هو أساس الفطرة، وهو المتكفل بأرزاق العباد ويعلم ما هو الأصلح لهم، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما على الإنسان إلا التوكل عليه مع الأخذ بالأسباب، ولا رب ولا خالق ولا محي ولا مميت غيره بيده الأمر وهو على كل شيء قدير.

ثالثاً: أدلة توحيد الربوبية من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولاً: الأدلة من الكتاب: قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[يونس:3]، هذه الآية تدل على أن الله ﷻ خلق كل ما في الكون بحق وحده من غير طلب العون ومن غير شريك، وهذا دليل على تفرده بالخلق وأنه رب كل شيء ولا خالق سواه(3)، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[يونس:31] وقوله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:35] يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق ولا هم خلقوا أنفسهم، أخُلق هؤلاء المشركون من غير شيء فهم كالجماد لا يعقلون ولا يدركون لله ﷻ حجة ولا يتبعون لأوامر الله ﷻ ولا ينتهون عما نهاهم عنه وأمرهم بالابتعاد عنه، وقوله أم هم الخالقون أي خلقوا من غير شيء مثل قول فلان فعلت هذا

---

(1) انظر: عبد الرزاق العفيفي، مذكرة التوحيد (ص27-28).

(2) انظر: محمد ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص8).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج24/15).

الفعل أو العمل من غير شيء[1]، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم هذه الآية وكان مشركاً وقتها قال: "كاد قلبي يطير وقتها"[2]، وذلك لأن أول ما وقر في قلبه هو الإيمان[3]وغيرها الكثير من آيات القرآن الكريم دلت على هذا النوع من أنواع التوحيد وكل آية ورد فيها ذكر اسم الرب فهي دليل على ربوبيته وأنه لا خالق غيره، قال ابن قيم الجوزية: "هذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلتها على الصانع وصفاته وأفعاله وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالتها ضرورية بنفسها ولهذا سماها الله ﷻ آيات بينات[4]"

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵁، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[5].

وأيضاً ما رواه أبو هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ"[6].

ثالثاً: دلالة العقل: العقل مصدر من مصادر المعرفة التي تبين للإنسان طريق الحق والصواب، فمن بديهيات العقل أنه دل على وجود الله ﷻ وإنه وحده المتفرد بالخلق وأنه رب كل شيء، وهذا واضح من خلال التأمل والتفكر في آياته، ومثال ذلك خلق النفس البشرية وتسمى هذه الدلالة "دلالة النفس" فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج481/22).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ/ باب قوله ﷻ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[ق:39]، 6/ 140: حديث رقم 4854].

(3) انظر: محمد بن العثيمين، شرح ثلاث الأصول (ص81).

(4) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج1197/3).

(5) [الترمذي: سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، 667/4: حديث رقم 2516]. صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج497/5).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ المُشْرِكِينَ، 100/2: حديث رقم 1385].

،ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات:21] وأيضاً من خلال النظر في آيات الكون وتسمى هذه الدلالة "دلالة الأفاق" ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:53]، وقوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[يونس:5] فكل ما في الكون من مخلوقات دالة على ربوبية الخالق وحده لا شريك له[1].

رابعاً: دلالة الفطرة: الفطرة هي "الخلقة التي خلق الله ﷻ عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره، وكراهية الشر ودفعه وفطرهم مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه"[2]، فإن كثيرا من الناس الذين لم تنحرف فطرهم يؤمنون بوجود الله ﷻ، حتى البهائم العجم يؤمنون بوجود الله ﷻ، فالفطرة مجبولة على معرفة الله وتوحيده، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف:172] فهذه الآية تدل على أن الإنسان مجبول بفطرته على وجود الله تعالى وربوبيته وقد وقع الإشهاد على جميع الخلق على أن الله ﷻ هو ربهم وخالقهم وقد أقروا بذلك وشهدوا جميعاً[3]، والشعور الفطري في الإنسان بوجود هذه السلطة الكبرى هو من أقوى الأدلة الصادقة على وجود الله، وأن إحساس الإنسان بوجود الخالق وتلهفه الدائم لمعونته وإمداده وشعور هذا الكون إلى قدرته دليل صادق على الفطرة، وغياب الفطرة أحيانا في ساعات الغفلة واللهو والرخاء لا يذهبها بالكلية لأنها أصيلة في النفس وسرعان ما تعود وتظهر في وقت الشدائد لأنه يعلم أن ربه القاهر فوق عباده ويسمع صوت الفطرة منه كما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ

(1) انظر: نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص11-12).

(2) عبد الرزاق البدر، الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ص70).

(3) انظر: محمد بن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ص59).

الشَّاكِرِين﴾[يونس:22] [1]، وأيضاً قوله ﷻ في سورة يونس عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾[يونس:12]، الآية تخبر أنه إذا أصاب الإنسان الشدة والضر والجهد فإنه يستغيث ربه ليكشف عنه ما فيه ويدعوه في جميع الحالات على جنبه وقاعداً وقائماً ولا يكل من الدعاء، ولا ييأس، ولما فرج الله ﷻ عنه ما فيه من الكرب والجهد الذي أصابه استمر على طريقته الأولي قبل أن يصيبه الضر والجهد ونسي ما كان عليه وترك الشكر لربه الذي فرّجَ عنه ما نزل به من بلاء وعاد إلى انتكاس الفطرة، وهذا ما يفعله المشركون [2]،فهذه الآية من أظهر الأدلة على ربوبيته ﷻ فرجوع الإنسان إلى ربه في وقت الضيق لدليل على فقره وخضوعه لربه وفيها إقرار بفطرته على وجود ربه وخالقه وكاشف ضره [3].

خامساً: دلالة الحس: أي أن ما يحدث مع الإنسان من إجابة دعاء الداعين وتفريج كربات المكروبين وأن الإنسان حينما يدعو ربه ويقول يا رب ثم يستجاب له فيعلم حينئذ علم اليقين بوجود رب العالمين، لأنه وحده الذي يستجيب دعاء عباده، وعلى الإنسان أن يدعو ربه في السراء والضراء ولا يقتصر دعاؤه في الضراء فقط فيكون من الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾[يونس:12]، وكذلك آيات أنبيائه ومعجزاتهم لدليل قاطع على وجود الله ﷻ وإنهم مرسلون من عند رب العالمين وأيدهم بتلك المعجزات التي يعجز البشر عن الإتيان مثلها فهي أمور ليس بنطاق البشرية[4].

---

(1) انظر: مصطفى الخن، ومحي الدين مستو، العقيدة الإسلامية (ص127-129) باختصار.

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (ج15/36-37).

(3)انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج14/31-32).

(4) انظر: محمد العثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ص82)، نفس المؤلف، شرح العقيدة الواسطية (ص57).

المطلب الثاني: توحيد الربوبية بين السلف والمعتزلة.

أولاً: توحيد الربوبية عند السلف.

كما مرّ سابقاً أن هذا النوع من التوحيد ليس فيه اختلاف كبير بين بني البشر بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من المخلوقات، وهذا ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيم:10] وهذا التوحيد حق ثابت لا شك فيه وهو الغاية عند كثير من أهل الكلام وطائفة من الصوفية ولم يذهب إلى نقيضه أحد من بنى البشر، بل جميع القلوب مفطورة على الإقرار به [1] وقد ذكر الله ﷻ إقرار المشركين بذلك ولكن مجرد الاعتراف بهذا لا يكون به الإنسان مسلماً كما قال الله ﷻ : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[يونس:31] [2]، فهنا يحتج ﷻ على المشركين باعترافهم بوحدانية الله ﷻ وربوبيته على وحدانية الألوهية، لأنهم أقروا بتوحيد الربوبية وكفروا بتوحيد الألوهية وأشركوا معه في العبادة الأنداد والأصنام فلا يكونوا موحدين كما قال ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:18] [3]، وأيضاً قوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[العنكبوت:61]، وقوله ﷺ من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ" فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ"[4][5]، ومن خلال ما سبق يتبين أن مشركي العرب ومن سبقهم من الأمم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ويفردونه بالخلق والإيجاد؛ لأن دلائله واضحة في

---

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص29–30).

(2) انظر: سعود خلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف والمبتدعة (ج75/1).

(3) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج163/11).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج/باب التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا، 843/2: حديث رقم 1185].

(5) انظر: سعود خلف، أصول مسائل العقيدة بين السلف والمبتدعة (ج76/1).

كل شيء فأشد الناس إلحاداً لا يصدقون بأن يكون الأثر بلا مؤثر، وأن تكون الصدفة هي التي نظمت هذا الكون بما فيه أبدع تنظيم وأحكمته ولهذا كان إقرار الخلق بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته وإشراك غيره في العبادة من الأوثان والأصنام وغيرها[1]، والعالم بما فيه بجميع أجزائه فهو شاهداً على خالقه وصانعه ومليكه، فإنكار صانعه وجحده هو بمنزلة إنكار العلم وجحوده، ومما هو معلوم في العقول والفطر أن وجود الرب أظهر من وجود الليل والنهار، وكان ابن تيمية كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل [2] [3]

يتضح مما سبق أن التوحيد الذي أقره المشركون ليس هو التوحيد المطلوب فهم عطلوا رسالة الأنبياء وتكلموا بشيء مفطورة عليه النفوس وهو الإقرار بربوبية الله ﷻ ولم يأتوا بشيء جديد فهذا تحصيل حاصل والجميع يقر به إلا طائفة من المتكلمين، لكنهم أشركوا في إفراد الله ﷻ في العبادة وما يسمى بتوحيد الألوهية فهم أشركوا في الألوهية وأفردوه بالربوبية وهذا ليس توحيداً، قال الدارمي[4]: "تفسير التوحيد عند الأمة وصوابه لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[5]، وقال ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ"[6]، وروي عن جابر بن عبد الله ﷺ: عن النبي ﷺ هلَّل بالتوحيد في حجته فقال: "لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ"[7]، وكما سبق في بيان العلاقة بين أنواع التوحيد فإن توحيد الربوبية يستلزم

---

(1) انظر: محمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص111).

(2) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين (ج1/82-83).

(3) عبد الملك الثعالبي، ديوان أبي الطيب المتنبي ما له وما عليه (ص123).

(4) أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، ولد سنة 200هـ، محدث فقيه كان شديد الرد على الجهمية، توفي سنة280هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (ج4/ 205). والذهبي، تذكرة الحفاظ (ج2/147).

(5) الدارمي، نقض الإمام عثمان بن سعيد المريسي على الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد (152/1).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ/ باب قَتْلِ مَنْ أَبَى قَبُولَ الفَرَائِضِ، وَمَا نُسِبُوا إِلَى الرِّدَّةِ، 9/ 15: حديث رقم 6924].

(7) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج/ باب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، 887/2: حديث رقم 1218].

توحيد الألوهية، فمن أقر بتوحيد الربوبية يلزمه الإقرار بتوحيد الألوهية؛ لأنه متضمن لتوحيد الربوبية .

توحيد الربوبية عند المعتزلة.

المعتزلة من المتكلمين الذين ظنوا أن التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية وأن الله واحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا يقصدون أنه واحد في الوجود لأن غيره من الموجودات يشاركه في ذلك، بل هو واحد في صفاته التي تميزه عن غيره من المخلوقات وأنه أزلي [1]، وأن الله لا يمنح سوى الوجود للخلق وكل ما عدا الوجود فلا يوجد أي تشابه بينه وبين الله، وهذا التعريف رداً على الرافضة التي قالت إن الله جسم ورداً على المشبهة التي قالت إنه يشبه الخلق، فقالت المعتزلة عن الله لا نعلم شيئاً عن ماهية الله ﷻ سوى أنه الواحد وهذا توحيد وتنزيه مطلق لله ﷻ، وبناءً على نفي المعتزلة للصفات قالوا إن مسألة الخلق هي مسألة مرتبطة ارتباطاً بمبدأ نفي كل مشابهة بين ماهية الله تعالى وماهية العالم المخلوق، وبما أن هاتين الماهيتين مختلفتان فقد قالوا إن الماهية المحدثة المخلوقة ليست حاصلة من الماهية القديمة لذلك قالوا بالعدم واعتبروه شيئاً وذاتاً يمنحها الله تعالى الوجود ليصير كائناً[2]، حتى توصلوا في النهاية إلى الإقرار بهذا النوع من التوحيد ويقررونه من ناحيتين:

1- الناحية الأولى إثبات وجود الله تعالى.

2- الناحية الثانية إثبات خلقه لهذا العالم.

فالمعتزلة من المتكلمة الذين بدأوا كتبهم بإثبات وجود الله تعالى باعتبار أن أول ما يجب على الإنسان قبل أن يدخل في هذا الدين أن يعرف الله ﷻ وقبل ذلك عليه إثباته والإقرار بوجوده[3]، لذلك قال القاضي عبد الجبار: "أول الواجبات هي النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى لأنه تعالى لا يُعرف ضرورة ولا مشاهدة فيجب أن يعرف بالتفكر والنظر"[4].

---

(1) انظر: رابحة عبد اللطيف، مشكلة الذات الإلهية والصفات عند القاضي عبد الجبار (ص27).

(2) القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص110) بتصرف.

(3) انظر: سعود خلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ج103/1).

(4) القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج17/1). نفس المؤلف، شرح الأصول الخمسة (ص39).

أدلة وبراهين المعتزلة على وجود الله تعالى.

وبناءً على ذلك استدل المعتزلة على وجود الله ﷻ بأدلة كلامية جدالية جافة، ونهجوا منهجاً كلامياً في إثبات وجود الله ﷻ فاعتمدوا على دليل الجوهر[1] والأعراض، قال القاضي عبد الجبار:" إنه ينبغي لمن أراد أن يستدل على وجود الله ﷻ عن طريق الأعراض فمن حقك أن تُثبتها أولاً ثم تعلم وتوضح حدوثها، ثم تعلم أنها تحتاج إلى محدث وفاعل يخالف ويغاير الحوادث وهو الله ﷻ" [2]

وأيضاً استدلوا على توحيد الربوبية بما يسمى " دليل التمانع"، وقد عرفه القاضي عبد الجبار بقوله: "هو أن يفعل كل واحد من القادرين ما يمنع صاحبه"[3] وصورته أن هناك إلهان قادران مريدان، وفيهما القدرة والإرادة وأراد أحدهما أمرا كتحريك جسم أو تسكينه فلا يخلو الأمر من ثلاث حالات:

1- أن تنفذ إرادتهما ويقع مرادهما فيجتمع في الجسم الحركة والسكون وهذا محال؛ لأن فيه اجتماع للنقيضين.

2- إما لا تنفذ إرادتهما فيؤدي ذلك إلى عجز الآلهة وقصور في كل منهما وخلو المحل عن الضدين وهذا أيضاً محال.

3- إما أن ينفرد أحدهما دون الأخر فيصير الثاني مغلوباً على إرادته ممنوعاً عن فعله، مضطراً في إمساكه وذلك ينافي الألوهية والإله لا يتصور أن يكون عاجزاً إذا امتنع وقوع أحد، وبذلك يتضح بطلان وجود إلهين مدبرين للعالم، كما قال الله ﷻ: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ**

(1) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع وهو مختصر خمسة هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل؛ لأنه إما أن يكون مجرداً أو غير مجرد فالأول المجرد إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف أو لا يتعلق والأول أي ما يتعلق بالعقل والثاني أي ما لا يتعلق بالنفس، أم الجوهر الفرد فهو الجزء الذي لا يتجزأ . انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج9/299). الجرجاني، التعريفات (ص79).

(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (92).

(3) المرجع السابق (ص279).

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:91] (1)

واستدلوا عليه بقوله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الأنبياء:22].

مناقشة المعتزلة والرد عليهم:

1- المعتزلة استدلت بدليل التمانع على توحيد الربوبية وهذا باطل، فالآية التي وردت في دليل التمانع تدل على توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية، وذلك يُشعر بأن الله واحدٌ في ألوهيته وربوبيته وهذا أوضح من استدلالكم العقلي على توحيد الربوبية بدليل التمانع(2).

2- كما أن معرفة الله ﷻ أمر مركوز في النفوس والفطر، وجبلت عليه النفوس ولا يحتاج إلى تفكر ونظر، فالإنسان خلق على الفطرة موحداً بالله ﷻ، فلا داعى في الخوض في الحديث عن أمور مسلم بها، والسلف متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد هي الشهادتان (3)

3- إن دليل الحوادث والأعراض اللذان استدلت بهما المعتزلة على وجود الله ﷻ ما هي إلا مصطلحات فلسفية جافة مختلف في تعريفها وثبوتها حتى بين المعتزلة أنفسهم وهذا يدل على بطلان ما ذهبوا إليه (4).

قال ابن تيمية: "الآية دلت على ما هو أعظم وأكمل من هذا [أي دليل التمانع] وأن إثبات ربين للعالم لم يذهب إليه أحد من بني أدم، ولكن الإشراك الذي وقع في العالم إنما وقع بجعل بعض

---

(1) انظر: الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام (ص86). القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص278).

(2) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص31).

(3) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج7/8).

(4) انظر: سعود خلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ج108/1). وقد ذكر الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين اختلاف المعتزلة في الأجسام والأعراض، انظر (ج270/2)

المخلوقات مخلوقة لغير الله في الألوهية بعبادة غير الله ﷻ واتخاذ الوسائط ودعائها والتقرب إليها، وأما إثبات خالقين للعالم مريدين متماثلين فلم يذهب إليه أحد من الآدميين والرسل دعوا إلى توحيد الألوهية وهو متضمن لتوحيد الربوبية، وأدلتهم في إثبات وحدانية الصانع وإن كانت صحيحة فلم تنازع في هذا التوحيد أمة من الأمم، وليست الطرق المذكورة في القرآن الكريم هي طرقهم كما أنه ليس مقصود القرآن هو ما عرفوه من التوحيد"(1).

وقال ابن أبي العز الحنفي مما يؤكد على بطلانه بقوله: "إن الله أخبر أنه لو كان فيها آلهة غيره ولم يقل أرباباً وهناك فرق بين الرب والإله"(2).

الخُلاصة:

أن المعتزلة أنقصوا من قيمة توحيد الربوبية على حساب الأصل الثاني عندهم وهو العدل، فقالوا في صفة الخلق أن الله ﷻ لم يخلق أفعال العباد وبهذا يكون للمخلوق مشاركة في هذه الصفة الخاصة لله ﷻ وهذا انقاص لله في ربوبيته على الخلق، فالله ﷻ لا يشاركه أحدٌ في الخلق وهو واحد في ربوبيته وفي خلقه لجميع المخلوقات لا يشاركه أحداً وهذا ضلال المعتزلة في توحيد الربوبية، وهذا كله نتيجة تقديمهم العقل على النقل وقولهم بالنظر وتأويل آيات القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أقسام توحيد الربوبية بين السلف والمعتزلة.

أولاً: أقسام توحيد الربوبية عند السلف.

ورد في القرآن الكريم ذكر ربوبية الله لخلقه وعباده في مواضع كثيرة ولا تكاد تخلو سورة من ذكر هذا النوع من التوحيد، فتوحيد الربوبية على نوعين:

1- ربوبية شاملة: وهي لجميع المخلوقات بما فيها الجمادات ولا يخرج أحد مهما كان عن هذا النوع من أنواع الربوبية، والله ﷻ هو وحده المتفرد برزقها وحمايتها وتدبير كافة أمورها .

2- ربوبية خاصة: وهي خاصة لأوليائه الصالحين وهدايتهم للإيمان والإسلام وتعليمهم العلوم الشرعية النافعة، وتزيينهم بالأخلاق الرفيعة ودفعه عنهم الأخلاق الرذيلة وهذه الربوبية حقيقتها التوفيق من الله ﷻ لكل الخير(3).

---

(1) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج9/344-378).

(2) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص37).

(3) انظر: عبد الرزاق البدر، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ص68-69).

قال الشيخ السعدي[1]: في بيان هذين النوعين من أنواع توحيد الربوبية "وتربيته لخلقه نوعان عامة وخاصة، وأما العامة: خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا، والخاصة: أي: تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكملهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها التوفيق لكل الخير والعصمة من كل شر، وهذا السر في كون أدعية الأنبياء بلفظ الرب فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة" [2].

من خلال مما سبق يتبين أن توحيد الربوبية على نوعين: عامة لجميع المخلوقات ولكل ما في الكون، وخاصة لأولياء الله وللمؤمنين فيوفقهم الله للخير والإيمان ولما يحبه ويرضاه من الخير ويدفع عنهم كل ما يغضبه ﷻ.

ثانياً: أقسام توحيد الربوبية عند المعتزلة.

توحيد الربوبية عند المعتزلة هو قسم واحد يشتمل على فعله ﷻ وصفاته، وأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة

قال القاضي عبد الجبار: "أفعال الله كثيرة من جملتها العقل لأنه يمكن الاستدلال به على الله مع أن جنسه هو الاعتقادات ويدخل ذلك في مقدورنا"[3]، وقال الجبائي[4]: "أن الله خالق وأنه فعل الأشياء مقدرة، وأن الإنسان إذا فعل أفعالاً متعددة فهو خالق " وقال آخرون:" أنه خالق وفعل لا بألة ولا بقوة مخترعة فمن فعل لا بألة ولا بقوة مخترعة فهو خالق لفعله، ومن فعل بقوة مخترعة فليس بخالق لفعله"[5].

---

(1) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، مفسر فقيه من علماء الحنابلة من أهل نجد ولد سنة 307هـ، وتوفي سنة1376هـ، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم وهو أول من أنشأ مكتبة فيها، له عدة تصانيف منها: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، القواعد والأصول الجامعة في أصول الفقه وغيرها الكثير. انظر: الزركلي، الأعلام (ج340/3).

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص39).

(3) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص90).

(4) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي ولد سنة235هـ ، من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وغليه تنسب الطائفة الجبائية ونسبته إلى "جبي" من قري البصرة واشتهر بها وتوفي بالبصرة سنة303هـ. الزركلي، الأعلام (ج256/6). الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (ج183/14).

(5)الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج156/1).

وقال أبو هاشم [1] : "إنما سمي الخالق خالقاً من حيث قصد بالفعل إلى بعض الأعراض، وقال إن تسمية المخلوق توجد من معنى هو الخلق، والخلق والتقدير هما إرادتان ولا يوصف الخلق بأنه خلق إلا والمخلوق موجود ومتى كان معدوماً لم يسمُ خلقا إلا بشرط وجود المقدور ولا مخلوق إلا محدث وقد يكون محدثا ليس بمخلوق؛ لأنه يفيد صفة زائدة على حدوثه"[2] وقد نقل الأشعري اختلاف المعتزلة في صفات الأفعال كالقول خالق رازق محسن جواد، وهل يقال أن البارئ لم يزل غير خالق ولا رازق ولا جواد أم لا على ثلاث فرق:

1- **الفرقة الأولى:** يزعمون أنه لا يقال أن البارئ لم يزل خالقا ولا يقال لم يزل غير خالق، ولا يقال لم يزل رازقاً ولا يقال لم يزل غير رازق والقائل بهذا عباد بن سليمان

2- **الفرقة الثانية:** يزعمون أن البارئ لم يزل غير خالق ولا رازق، فإذا قيل لهم فلم يزل غير عادل قالوا لم يزل غير عادل ولا جائز ولم يزل غير محسن ولا مسيء ولم يزل غير صادق وهذا قول الجبائي.

3- **الفرقة الثالثة:** يزعمون أن البارئ لم يزل غير خالق ولا رازق ولا يقولون لم يزل غير عادل ولا محسن ولا صادق ولا حكيم لا على تقيد ولا على إطلاق، وهذا قول المعتزلة البغداديين وطوائف من البصريين[3].

المطلب الرابع: مظاهر توحيد الربوبية.

سورة يونس ﷺ تضمنت الكثير من المظاهر الكونية الدالة على ربوبيته ﷻ وأنه لا خالق ولا رزاق ولا منعم ولا مبدع لكل ما في الكون من نعم ومظاهر إلا الله ﷻ، فأوجد هذا الكون في أبهى صورة وفق نظام محكم لا يستطيع أحد مهما بلغ من العلم أن يوجد ما أوجده الله وقد أمر الله تعالى عباده بالنظر والتفكر في هذه الآيات والدلائل الكونية الدالة على ربوبيته، والعلم الحديث ما زال يكتشف إلى اليوم ما في هذه المظاهر والآيات الكونية من إعجاز يدل على ربوبية الخالق ووحدانيته وتفرده في هذا الكون، ومدار بحثنا يدور حول الدلائل والمظاهر

---

(1) أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي، متكلم مشهور من كبار المعتزلة مثل أبيه، ولد سنة 247هـ وتوفي سنة 321هـ ببغداد، وتنسب إليه فرقة البهشمية. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال (ج618/2). ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج183/3).

(2) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج162/8).

(3) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج150/1-151).

الكونية الواردة في سورة يونس عليه السلام وسأذكرها مع أدلتها من السورة مدعمة بالشرح والتفسير وذكر أقوال العلماء إن تيسر لي.

المظاهر والدلائل الكونية الواردة في السورة.

1- خلق السماوات والأرض.

لقد دلت سورة يونس عليه السلام على أن خلق السموات والأرض من أعظم الآيات الدالة على ربوبيته ﷻ، وإذا تأملت العالم بما فيه من خلق السموات والأرض وجدته وفق نظام وأدلة محكمة دالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته، فالعالم كالبيت المبني المعد فيه جميع آلاته ومصالحه وكل ما يحتاج إليه الإنسان، والسماء سقفه المرفوع عليه والأرض بساط وفراش ومستقر للساكن عليها، والشمس والقمر نور يزهران فيه، والنجوم مصابيح له وزينة وأدلة للمتنقلين في طرقات هذه الدار، ومما لا شك فيه أن هذا أعظم تشبيه وأعظم دلالة على أن العالم مخلوق لخالق قادر حكيم قدره أحسن تقدير ونظمه أحسن نظام[1]، وقد تحدث الإمام ابن قيم الجوزية عن آيات الله الدالة على وجوده وقدرته وحكمته في خلقه للسموات والأرض وإبداع صنعها، وما هي عليه من حيث السعة والعظم وحسن خلقها وبنائها وأنها أشمل للعجائب التي دلت على وجود الخالق، وأن دلالتها على وجود الخالق أوضح من دلالة المخلوقات الأخرى ولا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات، حيث قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:3]، قال ابن قيم الجوزية: "بدأ الله تعالى بذكر السموات والأرض وهذا كثير في القرآن الكريم فالأرض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر؛ ولهذا قل أن تجئ سورة في القرآن الكريم إلا وفيها ذكرها إما إخباراً عن عظمها وسعتها، وأما إقساماً بها، وإما دعاء للنظر فيها، وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظم بانيها ورافعها، وإما استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيمة، وإما استدلالاً على ربوبيته لها بوحدانيته وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالاً منه بحسنها واستوائها والتئام لأجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته وكذلك ما فيها من الشمس والقمر"[2]، وتقدر مساحة سطح الأرض

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ج1/206).

(2) المرجع السابق (ج1/196-197).

الحالية بنحو(510) ملايين كيلو مترمربع، منها 29% أي نحو (149)كيلو متر مربع يابسة، و71% أي نحو (361) مليون كيلو متر مربع مائية نصفه تقريبا أي نحو(173.6) مليون كيلو متر مربع أرصفة قارية، أي أجزاء من حواف القارات مغمورة بالماء وهذه الضخامة في أبعاد الأرض جعلتها تبدو مستوية بالنسبة إلى نظر الإنسان وإمكانيات حسه(1)، وإذا تأملت في الأرض وجدتها كيف جعلها الله ﷻ كالفراش مهدها وذللها لعباده وجعل فيها كل ما يحتاجون وكتب لهم أرزاقهم وقوتهم وحياتهم ومماتهم، وسهل فيها جميع السبل للتنقل فيها وقضاء الجوائح بأكملها فجعلها الله ﷻ للأحياء فيكونون على ظهرها ما داموا أحياء وأيضاً جعلها للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا(2)، فلم تكن في غاية الصلابة والقوة كالحديد فيمنع حفرها والبناء عليها، ولم تكن في غاية اللين والرخاوة، فلا تمسك بناءً ولا يستقر عليها الحيوان بل جعلها الله ﷻ بين الصلابة واللين، وأشرف الجواهر عند الإنسان الذهب والفضة والياقوت؛ فلو كانت الأرض من هذه الجواهر لفاتت مصالح العباد والحيوان منها وتعطلت المنافع المقصودة وبهذا يُعلم أن جواهر التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفعها وأبركها، فالتراب أبرك وأنفس ألا يدل ذلك على عظمة الخالق وعلى ربوبيته وإبداعه في هذا الكون(3)، وفي سورة يونس يبين الله ﷻ ويلفت أنظار عباده إلى خلق السموات والأرض في ستة أيام وهذا يدل على وحدانيته وربوبيته ﷻ قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[يونس:3] وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[يونس:6].

قال الطبري: "إن ربكم الذي له عبادة كل شيء ولا تنبغي العبادة إلا له هو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع في ستة أيام وانفرد بخلقها دون شريك، فأعبدوه وأفردوه بالألوهية والربوبية(4)" فالله ﷻ نبه عباده على الآيات الدالة على ربوبيته والنظر والتفكر بها، قال ﷻ: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:101] فقد أثنى الله ﷻ على الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض كما في قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا

---

(1) انظر: زغلول راغب النجار، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم (ج71/1).
(2) انظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (ج199/1-200).
(3) انظر: ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن (ص296).
(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/15).

وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:191]، فهؤلاء يذكرون الله في جميع أحوالهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، وفي مظاهره الدالة على الوحدانية ويدعون الله ﷻ أن يحميهم من عذاب النار، وفي المقابل توعد الله ﷻ الغافلين عن التأمل والتفكر في ملكوته ﷻ والتفكر في مخلوقاته، قال ﷻ: **﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**[يوسف:105]، هنا يخبر الله ﷻ عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ﷻ ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض من كل شيء فكل ما فيها ليدل على عظمته ﷻ، ولكن يمر عليها أكثر الناس وهم غافلون عما فيها من العبرة ودلالة على توحيده، فكل ما في الكون من عجائب وأسرار وإتقان وإحكام لتدل أتم دلالة على العلم المحيط والحكمة البالغة وهذا لا يكون إلا لله وحده المتفرد في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته له ما في السموات والأرض(1)، وأيضاً تأمل حال المشركين عندما تسألهم من خلق السموات والأرض ويرزقكم من الغيث والمطر ويطلع لكم شمسها ويغطش ليلها فسوف يجيبونك الذي يفعل ذلك كله هو الله ﷻ، فيقول لهم ألا تخافون عقاب الله ﷻ على شرككم وادعائكم رباً غيرَ من هذه الصفة صفته وعبادتكم معه من لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً، ولا يرزقكم أي شيء مهما كان صغيراً(2)، قال ﷻ: **﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾**[يونس:31].

2- تدبير الأمور.

التدبير في اللغة: أي النظر في عاقبة الأمور والتفكير فيه وما تؤل إليه عاقبته(3)، وتدبرَ الأمر أي "نظر في عواقبه واستدبره فرماه واستدبر من أمره ما لم يكن استقبل أي عرف في آخره ما لم يعرف في أوله"(4).

---

(1) انظر: أحمد المراغي، تفسير المراغي (ج13/ 48-49).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/83-84).

(3) انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج1/390). الرازي، مختار الصحاح (ج1/101).

(4) الزمخشري، أساس البلاغة (ج1/278).

من مظاهر ربوبية الله ﷻ تدبيره لأمور عباده، والتدبير أي التوفيق بين الأشياء في بدايتها ونهايتها، بحيث تكون البداية والمبادئ مؤدية إلى ما يريده من نتائج وغايات، والتدبير في الأمور و"تدبير الأمر" أي التفكر في دبره وهو ما وراءه وما يراد منه وما ينتهي إليه، فالرب هو الخالق المدبر لجميع الأمور فلا يستنكر من تربيته لخلقه وتدبيره لأمورهم وأن يفيض على من شاء من علمه ، ويجب على الإنسان العاقل العالم بهذا التدبير الذي تشهد به آياته في أقطار السموات والأرض وأن يؤمن بأن هذا وحي من الله ومن كمال قدرته وتدبيره ولا يكون ذلك لأحد غير الله ﷻ كما في قوله ﷻ : ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[يونس:31]، وقوله ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُون ﴾[يونس:3] (1)

والتدبير بالنسبة لله ﷻ القضاء والتقدير فهو الذي يدبر أمور عباده جميعاً ويتصرف في مخلوقاته ويقوم بشؤونها بدون أن يشغله شأن عن شأن، ولا يلهيه الكبير عن الصغير سواء كان في البر أو في البحر أو غير ذلك كما في قوله ﷻ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنعام:59]، فلا يتحرك ساكن ولا يسكن متحرك ولا ينطق متكلم ولا يسكت ناطق إلا بإذنه وعلمه وتصرفه وتدبيره، فذلكم الله ربكم المتفرد بالطاعة والعبادة ألا تطيعوه وتفردوه بالعبادة(2).

قال ابن كثير: "يدبر الأمر أي يدبر أمر الخلائق ولا يعزب عنه شيئا كما في قوله ﷻ: ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[سبأ:3]، ولا يشغله شأن عن شأن ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال والبحار والعمران والقفار"(3)، وقال الشوكاني: "أصل التدبير النظر في أدبار الأمور وعواقبها لتقع على الوجه المقبول، وقيل يقبضه ويقدر وحده، وقيل يبعث الأمر، وقيل ينزل

---

(1) انظر: محمد رضا، تفسير المنار (242/11).

(2) انظر: عبد الله التليدي، دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون (ص119).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (247/4).

الأمر، وقيل يأمر به ويمضيه واشتقاقه من الدبر والأمر الشأن وأحوال ملكوت السموات والأرض والعرش وسائر الخلق"[1].

الخُلاصة:

التدبير في اللغة هو التفكر في الأمور ومعرفة ما يؤل إليه الشيء، والموازنة بين الأمور والتصرف بأحوال العباد كما يشاء الله ﷻ فهو الرب المدبر، له ما في السموات والأرض ولا يغيب عنه شيء وكل ما يحدث في حياتنا اليومية هو من تدبير رب العالمين، ويعلم كل ما يقع كبيرة أو صغيرة وأنه محيط بكل علم وليس معه شريك ولا ند فهذه دلالة واضحة على وحدانيته ومن مظاهر توحيد الربوبية وأنه لا رب سواه ولا أحد يستطيع أن يدبر الأمور كما يدبرها الله فله المثل الأعلى.

3- خلق الشمس والقمر.

قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[يونس:5]

مظهر آخر من مظاهر توحيد الربوبية الدالة على تفرده وعظمته ولا خالق ولا رازق سواه ألا وهو خلق الشمس والقمر، ففي هذه الآية يخبر الله ﷻ عما خلق في هذا الكون من الآيات الدالة على ربوبيته وقدرته ومنها أنه جعل شعاع الشمس ضياءً في النهار، وشعاع القمر نوراً في الليل وكل منهما له زمن معين، وبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف أزمنة الشهور وكذلك قدر القمر منازل فيبدأ صغيراً ثم يتزايد نوره وحجمه حتى يكمل بدره ثم يبدأ في النقص حتى يرجع إلى ما كان عليه، كما في قوله ﷻ: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[يس:39] وقوله ﷻ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[الأنعام:96] [2]، وقوله ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي هو الذي جعل الشمس وصيرها لكم ضياء والإضاءة بمعنى الإشراف، والنور بمعنى الضوء من كل نير ونقيضه الظلمة، وسمي

(1) الشوكاني، فتح القدير (481/2).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج248/4).

نوراً لأن فيه اضطراب وحركة[1]، ولما كانت الشمس أعظم جرما خصت بالضياء؛ لأنه هو الذي له سطوع ولمعان وهو أعظم من النور، وعند علماء علم الهيئة أن الشمس قدر الأرض مائة وأربعا وستين مرة والقمر ليس كذلك فخص الأعظم بالأعظم[2]، والضياء والنور قيل مترادفان وقيل ما كان نوراً بالذات يقال له ضوء الشمس، وما كان عرضياً كالقمر يسمي نوراً، والراجح أن الضياء والنور هما مترادفان[3].

وقوله" وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ" معناه: أي قدر سير القمر في منازل ينزل كل ليلة في منزلة واحدة ولا يتعدى غيرها وهي ثمانية وعشرون منزلة، وغالباً ما يُرى القمر فيها بالعين، وأحياناً يحتجب ولا يرى ليلة أو ليلتان [4]، والضمير في قوله " **وَقَدَّرَهُ** " فيه وجهان: الأول أنه لكل من الشمس والقمر ووحد الضمير إيجازاً، وإلا فهو في معنى التثنية اكتفاء بالمعلوم؛ لأن عدد السنوات وحساب الأشهر يعرف من خلال الشمس والقمر ونظيره قوله ﷻ: ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِين**﴾[التوبة:62]، والثاني أن يكون هذا الضمير راجعاً إلى القمر وحده؛ لأن من خلال القمر تعرف الشهور وذلك لأن الشهور المعتبرة مبنية على رؤية الأهلة، والسنة المعتبرة في الشريعة هي السنة القمرية، كما قال ﷻ: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ** ﴾[التوبة:36] "[5]، وذهب ابن تيمية للقول الثاني وقال:" **وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ** "، كان الأمر مختصاً بالقمر لأن كون الشمس ضياء والقمر نوراً لا يوجب علم عدد السنين والحساب بخلاف تقدير القمر منازل فإنه هو الذي يقتضي علم عدد السنين والحساب، ولم يذكر انتقال الشمس في البروج ويؤيد ذلك قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ** ﴾[التوبة:36] فإنه نص على أن السنة هلالية وقوله ﷻ: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ** ﴾[البقرة:197]، يؤيد ذلك ولكن يدل

---

(1) انظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج122/1).

(2) انظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج14/6).

(3) انظر: عبد الله التليدي، دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون (ص120).

(4) انظر: أحمد المراغي، تفسير المراغي (ج67/11).

(5) الرازي، التفسير الكبير (ج209/17).

على الآخر قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا﴾ [الإسراء:12].

وهذا لتظهر به حكمة ما في الكتاب وما جاءت به الشريعة من اعتبار الشهر والعام الهلالي دون الشمسي، وأن كل ما حُد من الشهر والعام ينقسم في اصطلاح الأمم إلى عددي وطبيعي؛ فأما الشهر الهلالي فهو طبيعي وسنته عددية، وأما الشهر الشمسي فعددي وسنته طبيعية، وأما جعل شهرنا هلالياً فحكمته ظاهرة لأنه طبيعي... [1]وترجح الباحثة قول ابن تيمية لأنه أقرب للصواب ويمارس في الحياة العملية.

ولعل السر في اختيار القرآن السنة القمرية والحساب بها؛ لأنه أسهل على البدوي والحضري ليعلموا به عدد السنين والحساب وضبط عبادتهم من صلاة وصوم وحج ومعاملات وأما السنة الشمسية فحسابها يحتاج إلى علوم وقواعد[2].

وإذا تأملت الشمس والقمر وما أودعاه من النور والإضاءة وكيف جعل لهما بروجاً ومنازل ينزلانهما مرحلة بعد مرحلة؛ لإقامة دولة السنة وتمام مصالح حساب العالم الذي لا غناء لهم في مصالحهم عنه فبذلك يعلم حساب الأعمار والآجال المؤجلة للديون والإجارات والمعاملات والعدد، فلولا حلول الشمس والقمر في تلك المنازل وتنقلهما فيها منزلة بعد منزلة لم يعلم شيء من ذلك؛ لذلك قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون﴾ [يونس:5][3].

وهناك نجوماً كثيرة أكبر من الشمس وأشد حرارة منها وأن الشمس التي يستفيد من حرارتها كل نبات وحيوان درجة حرارة سطحها12000 درجة فهرنهايت، وأن الأرض موضوعة في المكان المناسب لاستمرار الحياة عليها ولو زادت درجة الحرارة أو نقصت عن حد معين قدره الله ﷻ لمات جميع الأحياء الذين على سطح الأرض، حرقاً أو تجمداً ألا يدل ذلك على نظام

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج58/15-59).

(2) انظر: محمد حجازي، التفسير الواضح (ج41/2).

(3) انظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (ج209/1).

دقيق محكم لله رب العالمين وعلى أنه وحده الخالق لهذا الكون، وأن مسار القمر له علاقة بالمد والجزر الذي يحصل في البحار مرتين في العام، ولو كان القمر في غير هذا المسار الذي رسمه له خالقه لعم الماء جميع اليابسة وفاض عليها بحيث تصبح الحياة مستحيلة على ظهرها، إن هذا الخلق العظيم والتنظيم الدقيق ألا يدل دلالة قاطعة على وحدانية الله وأنه وحده المستحق للعبادة والحركة المنتظمة للشمس والقمر قائمة على النظام والتقدير الإلهي الذي شمل كافة المخلوقات بتدبيره للكون وليس هناك فوضى وعبث وإنما إتقان وتقدير إلهي يدل على ربوبيته، وعقل الإنسان ليس بحاجة إلى إعمال الفكر لأنه يدرك أن كل ما في الكون من آيات كونية فهي من عند الله ﷻ والله تعالى خاطب النفس البشرية بكافة آيات الكون الدالة على وحدانيته ولا شك في ذلك فهو من المبدع الحكيم، ولهذا خاطب الرُسل أقوامهم توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة (1).

4- اختلاف الليل والنهار.

قال ﷻ: ﴿**إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ**﴾[يونس:6]، هذه الآية تتمة وتكملة لما سبقها من الآيات التي تدل على عظمة الله ﷻ وخلقه لجميع الظواهر الكونية التي تدور من حولنا في جميع الأوقات من خلق السموات والأرض وتدبير الأمور وخلق الشمس والقمر وغيرها الكثير وهذه الآية تبين اختلاف الليل والنهار وما الحكمة منهما.

إن في اختلاف الليل والنهار، أي في تعاقبهما وإذا جاء هذا ذهب هذا وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئاً وفي طولهما وقصرهما بحسب اختلاف مواقع الأرض من الشمس، وما لها من نظام دقيق وما فيها من برودة وحرارة وكون الليل لباساً وسكناً، والنهار معاشاً كل ذلك لآيات ودلائل على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته وحكمته وعظمته وكمال علمه لقوم يتقون مخالفة سنن الله في التكوين وفي التشريع(2)، قال ﷻ: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾[البقرة:164] ، قال الرازي: "إن اختلاف الليل والنهار يدل على الصانع من وجوه:

(1) انظر: محمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ج157/1).

(2) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج112/11).

الأول: إن اختلاف الليل والنهار مرتبط بحركات الشمس وهي من الآيات العظام.
الثاني: ما يحصل بسبب طول الأيام تارة وطول الليالي تارة آخري من اختلاف الفصول وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء هو أيضاً من الآيات العظام.
الثالث: أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة في الأيام، وطلب النوم والراحة في الليالي من الآيات العظام، كما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[يونس:67] ، فالنهار لقضاء الحاجات والسعي للرزق وتحقيق المصالح، والليل للسكون والراحة والاستراحة من متاعب الحياة وأوجاعها.

الرابع: أن كون الليل والنهار متعاونين على تحصيل مصالح العباد مع ما بينهما من التضاد والتنافي.
الخامس: أن إقبال الخلق في أول الليل على النوم يشبه موت الخلائق أولاً عند النفخة الأولى في الصور، ويقظتهم عند طلوع الشمس شبيهة بعود الحياة إليهم عند النفخة الثانية.
السادس: أن انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطيل فيه من الآيات العظام كأنه جدول ماء صاف يسيل في بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر ولا الكدر بالصافي.
السابع: أن تقدير الليل والنهار بالمقدار المعتدل الموافق للمصالح فيه أيضاً من الآيات العظام"[1].

وإذا أمعنت النظر في مقادير الليل والنهار تجدها في غاية الحكمة والعظة وكمال قدرة الله ﷻ، وأن مقدار اليوم والليل لو زاد على ما قدر عليه أو نقص لفاتت المصلحة وتعطلت مصالح العباد واختلفت الحكمة لذلك جعل الله مكيالها أربع وعشرين ساعة، وجعلهما يتقاسمان الزيادة والنقصان بينهما فما يزيد في أحدهما من الآخر يعود الآخر فيسترده كما قال ﷻ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الحديد:6] في هذه الآية قولان: الأول أن المعني يدخل ظلمة الليل في مكان ضياء النهار وضياء النهار في مكان ظلمة الليل، فيدخل كل واحد منهما في موضع صاحبه وعلى هذا فهي عامة في كل ليل ونهار.

(1) الرازي، التفسير الكبير (66/4).

الثاني: أنه يزيد في أحدهما ما ينقصه من الأخر فما ينقص منه يزيده في الآخر ولا يذهب جملة وعلى هذا فالآية خاصة ببعض ساعات كل من الليل والنهار في غير زمن الاعتدال فهي خاصة في الزمان وفي مقدار ما يلج في أحدهما من الآخر ولا تنافي بين القولين [1]وكل ذلك يدل على قدرة الله ﷻ، وإن اختلاف الليل والنهار وزيادة أحدهما ونقصان الآخر لهو من أعظم الأدلة على وجود الله ﷻ؛ لأن النور والظلمة أمران مهيبان عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة وذاك هذا أخرى، وهذا يدل على أن كل واحد منهما مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت سيطرته وتدبيره وقهره وهو الله ﷻ وهذا دليل عظيم على قدرته العظيمة وأنه واحد أحد لا يشاركه أحد في خلقه وملكوته كل شيء يقع تحت تصرفه ويفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير فهل يستطيع أحد أن يتصرف في الليل والنهار وغير ذلك من المظاهر الكونية الدالة على ربوبيته، غير الله تعالى فله المثل الأعلى[2].

5- ما خلق الله في السموات والأرض.

قال ﷻ: ﴿ **وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُون** ﴾[يونس:6]، وأيضاً قوله ﷻ: ﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُون** ﴾[يونس:101]، قال الطبري: "في هذه الآية يقول الله ﷻ قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك السائلين عن الآيات التي تدل على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان، ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله من شمسها وقمرها واختلاف ليلها ونهارها ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها، وفي الأرض من جبالها وتصدعها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ودلالة على أن من فعل ذلك لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه"[3]، والدلائل إما أن تكون في عالم السموات أو في عالم الأرض، فالدلائل السماوية هي حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والنجوم وما يختص كل منها من المنافع والفوائد، وأما الدلائل الأرضية فهي النظر في أحوال المعادن والنبات والإنسان ثم ينقسم

---

(1) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (209/1-210) بتصرف.

(2) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج423/26).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج214/15-215).

كل واحد من هذه الأجناس إلى أنواع لا نهاية لها، ولو أن الإنسان أخذ يتفكر في كيفية حكمة الله ﷻ في تخليق جناح البعوضة لأنقطع عقله قبل أن يصل إلى أقل مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوائد[1]، فمثلا تأمل قوله ﷻ : ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الرعد:4] ففي الأرض قدرة ربانية عجيبة بما فيها من نبات وحيوانات ومعادن وصخور ومع أن الخالق واحد لكن قدرة الله ﷻ في خلقها وتميزها عن بعضها من دلائل وحدانيته، وكمال قدرته فالأرض تكون التربة واحدة وماؤها واحد وفيها زروع وجنات ثم تجدها تتنوع في الثمار والحبوب، فيكون البعض حلو الطعم والبعض الأخر حامضاً والفرع الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من حيث الكبر والصغر واللون والطعم والشكل، وإن انبسطت الشمس والقمر على الجميع وفي نسق واحد وهذا يدل على قدرة الواحد الأحد[2]، وأيضاً الأرض بما فيها من الأنعام والجمال والأبقار والخيل خلقها الله تعالى لنا على نحو يتناسب مع طبائع وتكوين الجميع، فالأنعام خلقها الله ﷻ وفيها من الفوائد الكثيرة فبعضها يكون فيه الدفء وبعضها تأكلون منه ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، والخيل والبغال لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وغيرها الكثير من الدلائل الأرضية كما قال ﷻ: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُون وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُون وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل:5-7] [3]، وأما الدلائل السماوية فهي ممثلة في النجوم والكواكب والمجرات والرعد والبرق وغيرها فالنجوم زينة السماء في الليل وبها يهتدي الإنسان إلى طريقه في ظلمات الليل، كما في قولهﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَال وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[الرعد:13]، فالله ﷻ هو الذي يريكم البرق الخاطف والنور اللامع الذي يظهر فجأة ويختفي من تقارب سحابتين مختلفتين في الشحنة الكهربائية، وهو

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج206/17).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج281/9).

(3) انظر: عمر الأشقر، العقيدة في الله (ص101).

الذي يسخر البرق بشيراً بمطر يطمع فيه كل من له حاجة إليه ونذيراً لمن يخاف المطر كمن له في جرينه قمح أو شعير أو مسافر يضره المطر، يا سبحان الله لك في خلقك شؤون ونظام ولو لم ينزل الله المطر بالقدر المطلوب والكمية الكافية لفسد الكون وعطلت مصالح العباد وفسد الزرع والثمار فهو القادر على إنزال المطر والقادر على منعه ألا يدل ذلك على أن وراء هذا كله إلاهاً قادراً حكيماً يتصرف كيف يشاء[1]، فالدلائل السماوية والأرضية يصعب حصرها والحديث عنها؛ لأنها تدل على عظمة الخالق وربوبيته وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

والقرآن الكريم حث بني البشر على النظر في آيات الله الكونية وجعل النظر والتأمل في ذلك من الذكرى التي تنفع المؤمنين، ويسميه بعض المعاصرين" قانون السير والنظر" لكثرة حث الآيات القرآنية على ذلك فقد يكون السير والنظر حسيين فسير المرء بقدميه وينتقل من بلد لأخر، وقد يكون النظر بالبصر، وتارة يكون بالفكر والعقل، وقد جاء الأمر في القرآن أمراً عاماً كما ورد في سورة يونس عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:101] [2].

6- جريان الفلك في البحر بالرياح.

هذه آية جديدة دلت على وحدانية وربوبية الله تعالى في سورة يونس حيث قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:22].

من مظاهر توحيد الربوبية في هذه الآية أن الله ﷻ ذكر من آياته هذه السفن العظيمة التي تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح، قال الرازي :"وهذا يدل على أمرين الأول: هذا يدل على وجود القادر الحكيم، والثاني: وأن يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله على العباد وأن هذه السفن العظيمة التي تكون كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على أسرع

---

(1) محمد حجازي، التفسير الواضح (ج221/2) بتصرف.

(2) انظر: عمر الأشقر، العقيدة في الله (ص102).

الوجوه، وعند سكون هذه الرياح تقف ومحرك الرياح ومسكنها هو الله ﷻ، إذ لا يقدر أحد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها وهذا يدل على وجود الخالق الإله القادر، والسفينة تكون في غاية الثقل ورغم ثقلها بقيت على وجه الماء.

والأمر الثاني: معرفة ما فيها من المنافع العظيمة فالله ﷻ خص كل جانب من جوانب الأرض بنوع من الأمتعة، وإذا نقل متاع هذا الجانب في السفن حصلت المنافع العظيمة في التجارة ولهذه الأسباب ذكر الله السفينة"[1]، وفقدان السفن وتسييرها في البحر يقلل من منافع هذه الحياة ويترتب على ذلك ضيق في الحياة الاقتصادية والتجارية، ولذلك فهي نعمة كبيرة من الله ﷻ على عباده وتذليله لهم الكثير من الصعاب وتوفر لهم الكثير من المنافع الدنيوية وقضاء مصالحهم بحمله السفن التي تسير فيه لأنها تشق الرياح والماء بصدرها المسنم الذي أرشد الله عباده إلى صنعه وهداهم لذلك بعد صنع أبيهم نوح عليه السلام السفينة ثم أخذها وتوارثها الناس عنه جيل بعد جيل[2] والتسيير أي الانتقال من مكان إلى آخر وذلك يكون بتسخير من رب العالمين، فهو وحده المتصرف والميسر أمور هذه الكائنات، فلا محرك ولا مدبر ولا مؤثر غيره ﷻ، وهذه الآية أخبرتنا بمظهر من مظاهر علم الملاحة البحرية بتدقيق كمن يباشرها ويشاهدها، مما يدل دلالة واضحة وقاطعة على أن القرآن الكريم كلام الخالق الصانع وليس كلام البشر ورسولنا الكريم ما ركب البحر قط بل ولا رآه ولا عرفه إلا من طريق القرآن الذي أوحى إليه[3].

والرياح والهواء هذا اللطيف الموجود بين السماء والأرض يعرف ويُدرك بجسمه ولا يرى شخصه والطيور فيه تسير بأجنحتها وتضطرب أمواجه عند سرعتها، وإذا شاء الله حركها بحركة الرحمة واللطف فتكون رخاء ورحمة وبشري ولاقحاً للسحاب يلقحه بحمل الماء كما يلقح الذكر الأنثى، وتسمي رياح الرحمة بالمبشرات، ورياح العذاب العاصف الشديد وهما في البحر والعقيم والصرصر وهما في البر وإن شاء حركها بحركة العذاب فجعله عقيماً وأودعه عذابا أليماً وكان نقمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصراً ونحساً، ولهذا يخبر الله عن رياح الرحمة بصيغة الجمع لاختلاف منافعها، وأما رياح العذاب فهي ريح واحدة ترسل من وجه واحد لإهلاك ما ترسل لإهلاكه، والسفن تسير بالريح الواحدة التي تأتي من وجه واحد فإذا اختلفت الرياح على

(1) الرازي، التفسير الكبير (ج602/27).

(2) انظر: محمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص240).

(3) انظر: عبد الله التليدي، دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون (ص123).

السفن وتقابلت لم يتم سيرها، فالمقصود منها في البحر خلاف المقصود بها في البر؛ فالبحر تكون واحدة طيبة لا يعارضها شيء فأفردت هنا وجمعت في البر[1].

والرياح التي ذكرها القرآن الكريم منها رياحاً طيبة يرسلها الله ﷻ بشرى بين يدي رحمته لعباده وبواسطتها تُلقح السحاب وتبشرهم بقدوم الخير كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِين﴾[الحجر:22] قال عبد الله بن مسعود: "يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتجري السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر" أي تلقح السحاب فتدر الماء وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها، فيحى به الأصل والشجر، ويتنفس كل حي من الأحياء أنفاس الحياة من خلاله، أما الرياح العقيم فهي رياح فسدت طبيعتها فلا خير فيها ولا تلقح شيئاً ولا تحيى وهي عقيم ليس فيها من الخير شيء وإنما هي رياح عذاب وتلد الهلاك والدمار حيث قال ﷻ: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيم مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيم﴾[الذاريات:42] ومن قدرة الله تعالى أنه ذكر رياح الخير بالجمع؛ لأن منافعها كثيرة، بخلاف العقيم أفردها لأن فيها الدمار والإهلاك لجهة معينة وليس فيها عدم الإنتاج[2].

وهذه الظاهرة جريان الفلك في البحر التي دلت عليها سورة يونس عليه السلام كانت سبباً في إسلام شخص إنجليزي، حيث كان ربابنة البواخر الكبرى بين انجلترا والهند يقرأ ترجمة للقرآن باللغة الإنجليزية، فرآى هذه الآية وما فيها من بلاغة ووصفها لمن معه في البحر وما تفعله الرياح بالبواخر العظيمة فجعل يتأمل سائر الآيات الواردة في وصف البحر، فاتصل ببعض مسلمي الهند فسأله هل تعلم أن نبيكم سافر في البحار؟ فقال أنه لم يسافر في البحر أبداً، فصدق الأجنبي بصدق حقيقة القرآن وأنه وحي من الله ﷻ وتعلم اللغة العربية وأسلم وسكن في مصر وكان اسمه عبد الله براون رحمه الله ﷻ، ألا يدل هذا على عظيم قدرته وربوبيته ووحدانيته ﷻ فهذه الظاهرة وغيرها من المظاهر الكونية الدالة على ربوبيته كانت سبباً في إسلام الكثيرين من الأجانب[3].

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (ج200/1-201).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج86/17) و(ج434/22). عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج527/14) ، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج530/4).

(3) انظر: عبد الله التليدي، دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون (ص124).

7-الرزق.

الرزق آية عظيمة ومن مظاهر قدرة الله ﷻ فكل ما في الكون هو رزق من عند الله ﷻ، فإذا نظرت إلى جميع من حولك من نعم وخيرات وجدتها جميعها رزقاً من عند الله فمن الذي يُنزل المطر من السماء؟، ومن الذي ينبت كل ما في الأرض من نبات؟، ومن الذي يرزق الإنسان منذ تكوينه في بطن أمه؟، ومن الذي يرزق الأسماك في البحار؟ ومن الذي يرزق العصفور في عشه؟، ومن الذي ييسر كل أسباب الرزق للإنسان؟ إنه الله فإنه يرزق الجميع مؤمناً وكافراً وما على الإنسان إلا التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب والله خير الرازقين، قال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس:31].

في هذه الآية خطاب من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ، فيقول له قل أيها النبي لمشركي مكة وغيرهم منّ الذي يُنزل لكم المطر من السماء وبه تحيى الأرض بالزرع والثمار على اختلاف أنواعها، ويخرج منها العنب والرومان والزيتون وغيرها فيرزقكم منها جميعاً دون اقتصار على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ورحمته كما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:10-11] ، فإجابة المشركين بلا شك ولاريب ستقول إنه الله ﷻ الصانع لذلك كله لوضوح الأمر وأنه لا جواب في الواقع غيره، فالله ﷻ هو الواحد الأحد والمستحق بالعبادة والثابت في ربوبيته(1).

وهذه الآية كافحة لوجوه القدرية الزاعمين أن الأرزاق منقسمة بين العبد وربه فمنها ما رزقه الله ﷻ العبد وهو الحلال ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام، فهذه الآية ناعية عليهم(2).

ومسألة الرزق من خصائص الربوبية والمشركون كلهم معترفون بأن الرزاق هو الله وأن أصنامهم لا تملك لهم رزقاً ولا غيره، واعترافهم بتفرد الله ﷻ بالرزق يوجب عليهم إفراده بالألوهية والعبادة، ويقوم هذا الدليل على اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وأن من أقر بوحدانية الرب

(1) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج163/11).

(2) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج345/2).

الرزاق أداه إقراره لتوحيد الله في ألوهيته، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وهذا المعنى وارد في قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[يونس:31] فالآية جمعت بين دليل الرزق والملك والخلق والتدبير موضحةً إسناد المشركين هذه الأمور إلى فاعلها الحقيقي ألا وهو الله ﷻ فمن هذا المنطلق يتوجب عليهم أن يتقوا الله ويفردوه بالعبادة(1)، أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وعبادتكم رباً من غير أن يرزقكم شيئاً ولا يملك لكم ضراً ولا نفعاً فيجب عليكم أن تتقوا الله؛ لأنه هو وحده المتفرد بكل خصائص الربوبية، وليس بعد الحق إلا الضلال وليس أحد يستحق العبادة إلا الله فإذا كان هو الحق فإدعاء المشركين ألوهية غيره من الشركاء والأصنام ضلال وبُعد عن طريق الحق والصواب (2).

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ:24]، قال الزمخشري (3) : "أمره بأن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله "يرزقكم الله" وذلك للإشعار بأنهم مقرون بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به ؛ لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم أن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون، من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق؟ ألا ترى إلى قوله ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾ فالجواب "فَسَيَقُولُونَ اللّهُ" ثم قال ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[يونس:32] فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عناداً وإصراراً وحذراً من إلزام الحجة(4)".

8- السمع والبصر.

---

(1) انظر: محمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص285).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج84/15).

(3) الزمخشري هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي جار الله العلامة إمام اللغة والنحو والبيان، له تفسير باسمه سماه تفسير الكشاف، وكتاب الفائق في غريب الحديث، لكنه داعية للاعتزال، ولد سنة 467هـ، وتوفي سنة 538هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان (ج4/6). الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (ج151/20-154).

(4) الزمخشري، تفسير الكشاف (ج581/3).

قال الله ﷻ: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبصَارَ ﴾[يونس:31]، إن السمع والبصر هما نعمتان عظيمتان أنعم الله ﷻ بهما على الإنسان ومن خلالهما يكون الإنسان إنساناً يسمع ويدرك ما يدور حوله وإذا فقدهما فيكون كالجماد لا يدرك ولا يعلم شيئاً، ومن خلال هاتين النعمتين تكونت معرفة الإنسان وتوسعت مداركه لمعرفة جميع ما يدور حوله وعن طريقهما ينطلق الإنسان إلى أهدافه تطلعاته المستقبلية، والله ﷻ هو المالك والمتصرف لحاستي السمع والبصر وهو الذي أنعم بهما على الإنسان وأنهما يعملان بقدرته ﷻ وهو الذي يمدهما بالقوة ولو شاء الله لعطل هذه القوة وأبطل عمل السمع والبصر، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[الأنعام:46][(1)].

وربما كثير من الناس الذين أنعم الله عليهم بهذه النعم لا يعرفون عظمتها ويتغافلون عن إدراك وظيفة السمع والبصر إلا بعد فقدانها، فالله ﷻهو خلق السمع والبصر ليدلل على عظمته وقوة تدبيره للإنسان وخص هاتين الحاستين لأن بهما يدرك الإنسان لجميع ما حوله ويحصل جميع العلوم النافعة وليشاهد قدرة الله تعالى وعظمته ودلائل توحيده في الكون وليحمد الله تعالى على هاتين الحاستين؛ فبدونها لا يستطيع الإنسان أن يفعل شيء فتبارك الله أحسن الخالقين.

والمتأمل لآيات القرآن الكريم يلاحظ في كل الآيات القرآنية تقدم السمع على البصر ولا تكاد تجد آية قُدم فيها البصر على السمع؛ ذلك لأن السمع أعظم وأهم من البصر فيتعلم الإنسان بواسطة السمع أضعاف أضعاف ما يتعلمه بواسطة البصر، والأصم منذ الولادة لا يستطيع أن يتعلم اللغة أبداً فهو أبكم أيضاً بينما المولود بدون نعمة البصر يستطيع أن يتعلم اللغات بكل سهولة ويسر، فتأمل إعجاز القرآن الكريم وقدرة الله ﷻ في خلقه للإنسان، وتستطيع أن تعد مئات بل ألاف العباقرة الذين فقدوا نعمة السمع وخاصة إذا كان منذ الولادة أو الطفولة المبكرة، ولا شك أن حاسة البصر من النعم التي لا تقدر بثمن بل لو وزنت أعمال العباد جميعاً لما كانت كافية لنعمة البصر التي أنعم الله بها على الإنسان، وقد ذكر الله نعمة البصر مقترنة بنعمة السمع والفؤاد.

---

(1) انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج6/1000-1001).

والسمع والبصر هما أهم الوسائل التي بها يتعرف الإنسان على ما حوله وتشترك بعد ذلك بقية الحواس الخمس، كما في قوله ﷻ: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:78] ويخرج الطفل إلى الدنيا وليس لديه من المعرفة شيء ولكنه يكتسب هذه المعرفة بواسطة الحواس الخمس وأهمها السمع والبصر، فالمولود يسمع أي صوت ويصرخ منه ويستطيع أن يميز بقوة صوت أمه بل وهو في بطن أمه منذ الشهر الرابع يستطيع سماع الأصوات وهو في ظلام تام ولا يستطيع بأي حال أن يرى شيئا قبل وقت خروجه هل يستطيع أحد أن يفعل ويخلق هذا غير الله المتفرد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[1]، وما يزال البشر يكتشفون حقائق عن طبيعة خلق الله للسمع والبصر، ومن دقة صنع الله لهذين الجهازين ما يزيد السؤال شمولاً وحيرة حولهما؟ فإن تركيبة العين وما فيها من أعصاب وأمور أخري وكيف يتم إدراكها للمرئيات، أو تركيب الأذن وأجزائها وإدراكها للأصوات المختلفة للعالم وحده يدبر الرؤوس ويدعو إلى التأمل والنظر في خلق الله ﷻ، فإن كثيراً من الناس من يبهرهم صنع جهاز يصنعه بيده وينشره على الوسائل المختلفة فهذا لا شيء مقابل صنع الله ﷻ في الإنسان نفسه ولكن أكثر الناس لا يفكرون أبداً في هاتين النعمتين العظيمتين غافلين عن هذا الإبداع والخلق ويمرون عليه مرور الكرام من غير تفكر وتدبر لصنع الله في الإنسان نفسه[2].

وقوله ﷻ: ﴿فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[يونس:32]، قال الرازي: "أن الجبائي استدل بهذه الآية وقال: هذا يدل على بطلان قول المجبرة أنه تعالى يصرف الكفار عن الإيمان لأنه لو كان كذلك لما جاز أن يقول فأني تصرفون كما لا يقول إذا أعمى بصر أحدهم إني عميت"[3].

9- إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي.

لازالت الظواهر والدلائل الكونية متتالية في سورة يونس ﷺ لتدل على عظمة ربوبية الخالق الرازق المحي المميت وإنه لا إله إلا هو يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، قالﷻ:

(1) محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص324-336) بتصرف

(2) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1781/3).

(3) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير (ج247/17).

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[يونس:31] فإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي من المشاهد الربانية التي تدل على وجود الله وعلى ربوبيته، وتفسير قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي من يخرج النسمة من النطفة أو الطير من البيضة أو السنبلة من الحبة، والنبات من الأرض؟ وإذا وقفت أمام البويضة والبيضة يخرج منها الدجاج والفرخ وكذلك يخرج منها الإنسان فإذا تأملت ذلك فهذا كافياً على إيمانك قدرة الله ﷻ وربوبيته وإلا فأين كانت تكمن السنبلة في الحبة؟ وأين كان يكمن العود؟ وأين كان الفرخ في البيضة؟ وأين كان يوجد العظم واللحم؟ وأين في البويضة كان الإنسان؟ وهل يكفي أن نقول: إن هذا العالم بما فيه كان في النبتة والنواة وفي البويضة، لينقضي العجب العاجب الذي لا تفسير له ولا تأويل إلا قدرة الله وتدبيره لكل ما في الكون، وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فالآية فيها قولان الأول: كأن يخرج النطفة من الإنسان، والبيضة من الطائر، الثاني: قيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن(1).

والرأي الراجح هو الرأي الأول: وهو إخراج النطفة من الإنسان وإخراج البيضة من الطائر؛ لأنه أقرب للحقيقة وللصواب، وأدلة الترجيح أن هناك أمثلة علمية كثيرة تدل على إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي: مثل ما يحدث في حياتنا اليومية فالغذاء المحروق الذي يتناوله الإنسان يتولد منه الدم، فتحول الغذاء الذي يموت بالنار إلى دم حي في جسم الإنسان الحي، ويتحول هذا الدم إلى فضلات ميتة بالاحتراق، وأيضاً إخراج الميت من الحي كالخلايا الميتة في الجلد التي يتم طرحها مع البخار والعرق، كل هذا يلاحظ في كل لحظة من آناء الليل وأطراف النهار ويدل ذلك على أعجوبة تواجه البشرية بعلامات استفهام ولا جواب إلا أنه هناك إله واحد أحد يهب الحياة ويدبر الأمر(2).

---

(1) انظر: القاسمي، محاسن التأويل (ج22/6). سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1781/3).

(2) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط (ج967/2). سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1782/3).

10- بدء الخلق وإعادته.

قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[يونس:34]، من مظاهر قدرة الله ﷻ بدء الخلق وإعادته وإحياء الموتى بعد وفاتهم، وقد أخبر الله ﷻ أنه يحيى العظام بعد ما أصبحت رماداً وأنه قد علم ما تنقص الأرض من لحوم بني أدم وعظامهم فيرد إليهم ذلك عند البعث وقيام الأجساد لرب العالمين فينشيء تلك الأجساد على ما كانت عليه ويرد إليها أرواحها ثم يخلقها خلقاً جديداً، كما أن السموات والأرض لم يعدما عدماً صرفاً، وإنما يتم تبديلهما وتغييرها من حال إلى حال[1]، وهذا ضرب آخر من الحجة أقامه الله ﷻ دليلاً على وحدانيته وعلى ربوبيته وبطلان الإشراك به وجاءت الآية بطريق السؤال لتوبيخهم وإلزام الخصم، فيقول الله ﷻ قل لهم أيها الرسول: هل من شركائكم الذين عبدتموهم مع الله أو من دون الله من الأصنام وغيرها من له مثل هذا التصرف في الكون ببدء الخلق في مراحل ثم إعادته في مرة أخرى، فهم لم يجيبوا عن هذا السؤال لإنكارهم البعث والمعاد فالله ﷻ رسوله ﷺ الإجابة وأن القادر على ذلك هو الله وحده لأنه ليس بإمكان البشر بأي شكل من الأشكال القدرة على إعادة أي مخلوق للحياة بعد الموت، ناهيك عن ذلك أنه يستحال عقلاً فعل مثل هذه الأمور التي كلها بيد الله ﷻ وليس أدل على ذلك من الواقع ؛ فإن الإنسان حريص علي بقاء الأحياء من حوله ولكنه عاجز عن إعادة ميت إلى الحياة مرة آخري، والمشركين ينكرون إعادة الأحياء الحيوانية دون الأحياء النباتية إذ هم يشاهدون بدء خلق النبات في الأرض حين يصيبها ماء المطر في فصل الشتاء وموته في فصل الصيف والخريف ثم إعادته بمثل ما بدأه مرة آخرى ويقرون بأن الله هو الذي يفعل البدء والإعادة، لأنهم يشاهدون كلا منهما وهم لا يسلمون إلا يرون بأعينهم أو يلمسونه بأيديهم[2].

ومعنى الآية الواردة في سورة يونس، قال الطبري: "من ينشئ خلق شيء من غير أصل فيحدث خلقه ابتداءً ثم يفنيه بعد إنشائه ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه، فإنهم لا يقدر على دعوى ذلك لها"[3] وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (ج35/2).
(2) انظر: أحمد المراغي، تفسير المراغي (ج103/11). وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط (ج969/2-970)
(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج104/15).

[ص:71]، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"(1).

وقال ﷻ: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس:56] أي أن الله ﷻ لما كان قادراً على الإحياء في المرة الأولى فإذا أماته وجب عليه أن يبقي قادراً على إحيائه في المرة الثانية وهذا دليل وبرهان على قدرة الله ﷻ في بدء الخلق وإعادته والقادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى ولهذا قال ﷻ: ﴿ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:53] (2).

الخُلاصة:

إن كل ما ورد في سورة يونس عليه السلام من مظاهر ودلائل وآيات تدل على وحدانيته من خلق السموات وما فيها من نجوم وكواكب وشمس وقمر، والأرض وما فيها من زروع وثمار وبحار وأنهار وأشجار وحيوانات وطيور وأنعام، وتدبير للأمور واختلاف الليل والنهار وتسيير الفلك في البحر والرزق والرياح وإخراج الحي من الميت والعكس وبدء الخلق وإعادته، كل هذا يدل على ربوبية الله ﷻ وأنه وحده المستحق بالعبادة وكل هذا لا يكون إلا لله وحده لا شريك له ولا يصدر إلا من حي عليم قدير، وكما رأينا من إعجاز علمي في خلقه لحاستي السمع والبصر للإنسان ومهما بلغ الإنسان من العلم والمعرفة وشكر النعم يبقي مقصراً في شكر الله ﷻ وكل هذه المظاهر لتدل على وجود رب العالمين وهو المتصرف لكل ما في الكون من مخلوقات وجماد وغير ذلك والإنسان العاقل مجرد تأمله لهذه المظاهر الكونية يدرك بالفطرة وجود رب متفرد في ألوهيته وأسمائه وصفاته وهذه المظاهر هي السبب الرئيسي لسير الكون بأكمله تسير وفق نظام محكم دقيق يدل على عظمة وكمال قدرة الله ﷻ

المطلب الخامس: نواقض توحيد الربوبية كما ورد في سورة يونس عليه السلام.

النقض لغةً: أي إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، والنقض ضد الإبرام، ويقال نقيضك الذي يخالفك، وفي الصحاح: النقض: أي نقض البناء والحبل والعهد وغيره(3)،أي حللت برمه،

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحيض/باب قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: 5]، 1/ 70: حديث رقم 318].

(2) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج266/17).

(3) انظر: ابن منظور: لسان العرب (ج7/ 242 – 243). الرازي، مختار الصحاح (ج1/ 318).

ومنه يقال نقضت ما أبرمه إذا أبطلته أو انتقض هو بنفسه، وتناقض الكلام أي تدافع كأن كل واحد نقض الأخر[1] كما في قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[الرعد:20].

الناقض في الاصطلاح.

هو: "اعتقادات أو أقوال أو أفعال تزيل الإيمان وتقطعه"[2]، أي: هو الاعتقاد والقول والفعل المكفر الذي ينتفي به إيمان العبد ويزول ويخرجه من دائرة الإسلام والإيمان إلى دائرة الكفر، وسميت نواقض؛ لأن الإنسان إذا فعل واحداً منها انتقض إيمانه وإسلامه وخرج من الإيمان إلى الكفر فهو يفسد إيمانه كما يهدم البناء بعد إتمامه وينقض الغزل بعد غزله[3]، وفي المصطلح الفقهي عند الفقهاء؛ يطلق اسم المرتد على الذي ينقض إيمانه بهذه المكفرات الثلاث، أي الفعل والقول والعمل[4]، وهذه النواقض خطرها عظيم فهي من أعظم الذنوب وتخرج صاحبها من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر؛ فتحبط عمله ولو مات على هذه النواقض فهو مشرك خالد مخلد في النار، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[النساء:116]، فكل اعتقاد أو قول أو عمل أو فعل فيه إنكار لخصائص ربوبية الله ﷻ أو بعضها فهو كفر أو ردة؛ فمن ادعى شيء من هذه الخصائص كإدعاء الربوبية أو الملك أو الرزق أو التصرف من دون الله وغيرها من الأمور التي هي من فعل الله، وكذلك يكفر من يصدق بهذه الدعوى كاعتقاد بأن لله ﷻ شريكاً في الخلق والرزق والإحياء والإماتة والاعتقاد بأن الأولياء لهم حق التصرف في الكون واعتقاد تأثير غير الله وتصرفه في الأبراج والكواكب ومساراتها على حياة الناس، واعتقاد أن المخلوق يمكنه أن يرزق المخلوق أو يمنع عنه رزقه أو يضره أو ينفعه، وهذا كثير من الناس يعتقدون ذلك ونسوا أن الله هو الرزاق وبيده الأمر كله وربما يخاف من المخلوق أكثر من خوفه من ربه، وأيضاً من هذه النواقض اعتقاد أن أحداً

---

(1) انظر: الفيومي، المصباح المنير (ج2/ 621).

(2) عبد العزيز العبد اللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية (ص49).

(3) انظر: نسيم شحدة ياسين، شرح أصول العقيدة الإسلامية (ص244).

(4) انظر: الأثري: الإيمان حقيقته، وخوارمه، ونواقضه، عند أهل السنة والجماعة (ص232).

من دون الله يعلم الغيب، واعتقاد حلول الله في خلقه، واعتقاد بأن للمخلوق حقاً في سن القوانين وتشريعها، وغيرها الكثير من النواقض التي تبطل عقيدة التوحيد عند الناس(1).

قال ابن قيم الجوزية:" فمن أنواع الشرك في الربوبية "شرك من جعل مع الله إلهاً آخر ولم يعطل أسمائه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه ثلاثة فجعلوا المسيح إلهاً وأمه إلهاً، وشرك المجوس القائلين بإسناد الخير إلى النور والشر إلى الظلمة، وإله الخير أفضل من إله الشر، ولهذا قال رسول الله ﷺ: "الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ"(2)، وشرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعاله وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته ولهذا كانوا من أشباه المجوس"(3) .

الخُلاصة:

أن من اعتقد مع الله ﷻ مَنْ ينفع ويضر ويرزق وغير ذلك من الأمور التي تدل على ربوبية الله ﷻ أو اعتقد أن هذا الكون ليس صادر عن رب يملك التصرف فيه وحده أو أن هناك أكثر من صانع للعالم فإنه أتى بنواقض توحيد الربوبية، وسورة يونس ﵇ تناولت بعض نواقض توحيد الربوبية الذي كان يعتقدها المشركون في ذلك الوقت سأبينها مع ذكر الآيات التي تدل عليها مع تفسيرها.

ومن صور نواقض توحيد الربوبية كما ورد في سورة يونس ﵇

1- اعتقاد أن غير الله ﷻ ينفع أو يضر.

من نواقض توحيد الربوبية الواردة في سورة يونس ﵇ اعتقاد أن الأصنام والأوثان تنفع وتضر من دون الله ﷻ كما في قوله ﷻ: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[يونس:18] ، فهنا ينكر الله تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره متوهمين أن تلك الآلهة تنفعهم، فأخبر الله ﷻ أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك لكم شيئاً ولن يكون منها أي

(1) انظر: المرجع السابق (ص285 – 286).

(2) [أبو داود: سنن أبي داود، السنة/في القدر، 222/4: حديث رقم 4691]. وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (564/6).

(3) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ج131/130).

خير مما تنتظرونه منها بل يوم القيامة تنكر الآلهة وتتبرأ ممن كانوا يعبدونها كما في قوله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ [يونس:28–29]، ثم أخبر ﷻ أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: "كَانَ بَيْنَ آدَمَ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ"(1)، ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام والأوثان والأنداد فبعث الله الرسل بآياته وبراهينه ودلائل توحيده لنزع هذه العبادة من بين الناس(2).

فهذه الأصنام كالجماد ليس فيها أي حركة فهي لا تنفع ولا تضر والمعبود ينبغى أن يكون عليه ثواباً وعقاباً حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر، ومن جهالتهم تركوا عبادة المعبود الواحد الأحد النافع الضار إلى عبادة ما يعلم يقيناً أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عند الله(3)، وإن كل ما عُبد ومن عُبد من دون الله ﷻ حتى الجن والملائكة لا يملكون لغيرهم النفع والضر بالقدرة الذاتية الغيبية التي هي فوق الأسباب التي منحها الخالق للمخلوقات على اختلاف أنواعها لا بذواتهم وكراماتهم، ولا بتأثير خاص لهم عند الخالق يحملونه به على نفع من شاءوا أو ضر ما شاءوا أو كشف الضر عنه؛ كما يعتقد عباد الأنبياء والأولياء من البشر إلى هذا اليوم(4)، وتفسير الآية عند الزمخشري، ما لا يضرهم ولا ينفعهم أي الأوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر، وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم، ومن حق المعبود أن يأخذ ثواباً على الطاعة وعقاباً على المعصية، فكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى وغيرها وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله(5).

ولا بد لكل إنسان أن يعلم أن النافع الضار هو الله ﷻ وهذا هو توحيد الربوبية، وأن لو أراد الله لك شيئاً فلو اجتمعت أهل الأرض كلها أن يمنعوه عنك لم يستطيعوا كما قال ابْن عَبَّاسٍ،

---

(1) [الحاكم: المستدرك على الصحيحين، التفسير/المستدرك على الصحيحين للحاكم (ج2/ 480) تَفْسِيرُ سُورَةِ حم عسق، 2/ 480: رقم الحديث 3654]. وقال الحاكم معلقًا عليه: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (4/ 256 – 257).

(3) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 108).

(4) انظر: محمد رضا، تفسير المنار (11/ 266).

(5) انظر: الزمخشري: تفسير الكشاف (2/ 336).

قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"(1)، وقوله ﷻ: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[يونس:49] ،إذن لا نافع ولا ضار إلا الله فكل شيء هالك إلا وجه ولا حكم إلا لله ولا رجوع في الدارين إلا إلى الله وإذا انشغلت في طلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين؛ لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه، فإذا كان ما سوى الحق معزولا عن التصرف كانت إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعا للشيء في غير موضعه فيكون ظلماً، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[يونس:106].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يونس:107] قال الرازي: "فالضر والخير واقعان بقدرة الله وبقضائه؛ فيدخل فيه الكفر والإيمان والطاعة والعصيان والسرور والأفات والخيرات وغيرها فبين سبحانه أنه إن قضى لأحد شراً فلا كاشف له إلا هو، وإن قضى لأحد خيراً فلا راد لفضله والله ﷻ رجح جانب الخير على الشر من ثلاثة وجوه الأول: لما ذكر امساس الضر بين أنه لا كاشف له إلا هو وهذا يدل على أنه تعالى يزيل المضار ولم يذكر الخير فقال لا راد لفضله ليدل على أن الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض، الثاني: أنه قال في صفة الخير يصيب به من يشاء من عباده ليدل على أن جانب الخير والرحمة أقوي وأنسب، الثالث قوله الغفور الرحيم ليدل على جانب الرحمة وحاصل الكلام ليدل على أنه متفرد بالخلق والإيجاد والتكوين ولا موجد ولا نافع ولا ضار إلا الله ﷻ ولما بين في صفة الأصنام أنها لا تنفع ولا تضر بين في هذه الآية أنها لا تقدر أيضاً على دفع الضر الواصل من الغير، قال ابن عباس: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، 4/ 667: حديث رقم 2516]. صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج5/ 497).

بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ﴾ يعني بمرض وفقر فلا دافع له إلا هو"(1)، وقال النيسابوري(2) :" في تخصيص الإرادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على أن الخير يصدر عنه ﷻ بالذات والشر بالعرض"(3).

وحقيقة التوحيد أن يكون العبد معتمداً على الله ومتوكلاً عليه، ويعتقد أن الناس مجرد أسباب والأسباب إن شاء الله نفعت وإن شاء لم تنفع، والحمد لله ﷻ إذا حصل المقصود، وإذا لم يحصل المقصود فليعلم أن ما قدر له لا بد أن يكون فليحمد الله أيضاً وذلك ذكر في الحديث الذي سبق ذكره وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولم يضروك بشيء إلا ما كتبه الله عليك، فالأمر كله بيد الله ﷻ وهو النافع الضار ومن اعتقد خلاف ذلك فقد أتى بخلاف التوحيد(4).

2- اعتقاد بأن لله شريكا في الخلق والملك.

من نواقض توحيد الربوبية التي ذكرتها سورة يونس ﵇، اعتقاد أن هناك شريكاً لله ﷻ في الخلق والملك وما في السموات والأرض كما في قوله ﷻ: **﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُون﴾** [يونس:34]، وقوله ﷻ: **﴿أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾** [يونس:55]، وقوله ﷻ: **﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾** [يونس:68].

هذه الآيات تقرر أن كل ما في السموات والأرض ملكٌ لله رب العالمين فهو القادر على بدء الخلق ثم إحياؤه من جديد والمشركين يعترفون بذلك؛ لكنهم يؤفكون وينصرفون عن قصد طريق الرشد والصواب والسبيل(5)، فالمراد هنا التعجب منهم في الذهاب عن هذا الأمر الواضح وإقرارهم بالله ﷻ لكن الذي دعاهم إلى ذلك اتباعهم للهوي والتقليد الأعمى؛ لأن الإخبار عن كون

---

(1) الرازي، التفسير الكبير (ج309/17-310).

(2) الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب أبو القاسم النيسابوري، واعظ و مفسر و صنف في القراءات والتفسير والأدب كان كرامي المذهب ثم تحول للشافعي، توفي سنة406هـ . انظر: الزركلي، الأعلام (ج213/2).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج542/2).

(4) انظر: صالح الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (ج58/2).

(5) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج86/15).

الأصنام آلهة كذب وافتراء على الله ﷻ، وطاعتها وعبادتها مع أنها لا تستحق ذلك يشبه الإفك(1).

والله ﷻ له كل ما في السموات والأرض وكل شيء مملوك له عبداً له والله ﷻ لا يحتاج إلى غيره من المخلوقين بل الكل محتاج إليه فكيف بالله الواحد الأحد موجد وخالق الجميع أن يتخذ ولداً مخلوقاً محتاجاً إليه في كل شيء صغيرة وكبيرة سواء كان مادي كالرزق أو معنوي كالإعانة والنصرة، ولكن أكثركم لا يعلمون وليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان وتقولون على الله ما لا تعلمون وهذا إنكار أكيد ووعيد شديد(2)، فكل ما في الكون من دلائل ربانية لتدل على هذا الملك لله ﷻ وحده ولا يشاركه فيه أحد من خلقه.

قال ابن أبي العز الحنفي: "إن انتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أنه مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه(3)".

الخُلاصة:

إن سورة يونس ؈ ورد فيها بعض من نواقض توحيد الربوبية تمثلت في اعتقاد أن غير الله ينفع ويضر وهذا بلا شك إشراك لله في ربوبيته؛ لأن النافع الضار هو الله ﷻ وهو وحده المتفرد في شؤون عباده وبيده النفع والضر، كذلك اعتقاد أن هناك شركاء مع الله في الخلق والإيجاد وافتراءهم على الله ﷻ باتخاذه الصاحبة والولد وأنه محتاج إلى غيره، ومن المعروف أن الله ﷻ خالق الجميع وجميعنا محتاج إليه.

المطلب السادس: السحر بين السلف والمعتزلة في سورة يونس ؈.

من العقائد المهمة التي وردت في سورة يونس ؈، السحر، وسياق ذكره كان فالحوار الذي جرى بين نبي الله موسى ؈ وقومه عندما أرسله الله ﷻ إليهم فكذبوه وادعوا أن ما جاء به هو من باب السحر، فالله ﷻ أيد نبيه بالمعجزات الدالة على صدقه وأنها ليس من قبيل السحر، وقد ورد في سورة يونس ؈ آيات تبين حقيقة السحر كما في قوله ﷻ: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا**

---

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج2449/17).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج282/4). وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج221/11).

(3) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص36).

قَالُواْ إِنَّ هَـذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس:76]، وقوله ﴿فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:81].

أولاً: تعريف السحر لغةً.

السحر مصدر سَحَرَه يسحره سحراً، وجمعه أسحار، والسِّحْرُ يأتي في اللغة بمعنى الصرف عن حقيقة الشيء ويبدو الشيء كأنه خيال، أي بمعنى التمويه والخديعة، وسمى السحر سحراً؛ لأنه يقلب حال الإنسان الطبيعية ويغيرها إلى المرض والحزن(1).

والسحر هو: "كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع، وكل ما لطف مأخذه ودق"(2)، والسِّحْرَ: الرئة وهو مكان الغذاء وسميت بذلك لخفائها وسيرها إلى أجزاء الجسم بلطف وخفاء(3)، والسَّحَرُ: أي قطعة من الليل(4).

ثانياً: السحر في اصطلاح السلف.

لقد تباينت واختلفت تعريفات العلماء لمفهوم السحر وذلك لكثرة أنواعه(5)، ولكن من خلال اطلاعي على تعريفاتهم ارتأيت أن التعريف الملائم للسحر كما ورد في سورة يونس عليه السلام، أنه هو تمويه وخداع، وعليه فيمكن تعريف السحر بأنه كل أمر خفي سببه يتخيله الإنسان علي خلاف ما هو عليه في الواقع والحقيقة، ويجري مجرى التمويه والخداع(6)، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:81] ، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس:77].

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج348/4). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج679/2). الأزهري، تهذيب اللغة (ج171/4).

(2) إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط (ج419/1).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج255/1).

(4) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج171/4).

(5) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج41/4).

(6) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج446/2). وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج241/11). الرازي، التفسير الكبير (ج619/3).

والسحر ثابت وله وجود حقيقي تأثير واقعي يخلقه الله ﷻ عندما يشاء[1]، ولو لم يكن حقيقي لما أمرنا الله ﷻ بالاستعاذة منه[2]، ولكن تأثيره على الشخص يقع بمشيئة الله وإذنه كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ ﴾[البقرة:102]، فهو مرتبط بالقضاء والقدر الكوني أي: بمعنى ما يحبه الله ﷻ وما لا يحبه ولا بد أن يقع، فالسحر أمر لا يحبه الله ولا يرضاه لكن له وجود وتأثير[3]، ومما يدل على أن السحر له تأثيراً ما حدث بين موسى ﵇ والطاغية فرعون، وكان فرعون متخوفاً جداً من سحر موسى ﵇ لعلمه بالسحر وأن له تأثير وخوفه من سيطرة موسى ﵇ على المُلك والديار وإخراجهم منها[4] كما ورد في قوله ﷻ: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُون﴾[الأعراف:110]، لذلك طلب من قومه أن يأتوه بالسحرة الماهرين المتقنين بالسحر لمبارزة موسى ﵇[5] كما في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيم﴾[يونس:79]، ومن التأثيرات التي تطرأ بسبب وجود السحر منه ما يسبب القتل ومنه من يمرض الإنسان ويصبحه كأنه مرهق دائماً ومنه من يصيب العقل ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه أو يبغض أحدهما الآخر وغير ذلك من الأعراض الجانبية التي تسبب العداوة والبغضاء بين أفراد الأسرة الواحدة[6]، وقد ورد في قوله ﷺ: "مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ سُمٌّ وَلاَ سِحْرٌ "[7]، ففي هذا الحديث إشارة إلى أن السحر حقيقي وذلك من خلال مقارنته بالسم، وفيه كيفية الوقاية منه ولا يتوقى من أي شيء إلا إذا كان له تأثير ووجوده حقيقي[8].

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج2/44-46).

(2) انظر: ابن قدامة المقدسي، المغني (ج9/29).

(3) انظر: حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج2/545). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج11/267).

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج7/257). محمد رضا، تفسير المنار (ج9/53).

(5) انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص350).

(6) ابن قدامة المقدسي، المغني (ج9/28) بتصرف.

(7) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأَطْعِمَةِ/باب العَجْوَةِ، 7/80: حديث رقم 5445].

(8) انظر: عواد المعتق، حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة (ص155).

ثالثاً: السحر اصطلاحاً عند المعتزلة.

من منهج المعتزلة اعتمادهم على العقل فجعلوه مقياساً في أغلب قضايا العقيدة ومن بين هذه القضايا السحر، فالمعتزلة ادعت أن السحر لا وجود ولا تأثير ولا حقيقة له، في مرض أو حل أو عقد[(1)]، واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[طه:66]، فالسحر يقع عندهم تخيلاً وعلى سبيل التمويه والحيلة قال القاضي عبد الجبار: " السحر في الحقيقة لا يوجب المضرة؛ لأنه ضرب من التمويه والحيلة وإنما يقع به التقريع والتخويف" [(2)]، فيتضح مما سبق أن المعتزلة تنكر السحر وتعده من قبيل الخيال والتمويه فلا حقيقة له [(3)] .

مناقشة المعتزلة والرد عليهم:

1- ما عليه السلف الصالح إثبات حقيقة السحر وأنه موجود قطعاً وله بعض التأثيرات الجانبية التي تطرأ على المسحور والتي بينتها سابقاً.

2- الآية التي استدلوا بها على تأويل السحر بالخيال كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[طه:66]، فهي لا تدل على نفي السحر وأنه مجرد خيال فالذي وقع بين موسى عليه السلام وفرعون كان من هذا النوع مع العلم بأن أنواع السحر كثيرة ومتعددة ومن بينها سحر الخيال أو التخيل [(4)]

3- قال ابن قيم الجوزية:" إن في الدنيا سحرة وسحراً، وإن السحر كائن موجود في الدنيا"[(5)].

من خلال المقارنة بين كل من السلف والمعتزلة في القضية العقدية السابقة يتبين أن السحر له تأثير ووجود حقيقي، وهناك بعض من التأثيرات التي تطرأ على الشخص المسحور، لا كما ادعت المعتزلة أن السحر ليس له تأثير ولا وجود حقيقي وأنه مجرد الخيال.

---

(1) انظر: الزمخشري، تفسير الكشاف (ج173/1). القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص28-29).

(2) القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن (ج172/1).

(3) انظر: الزمخشري: الكشاف (ج73/3).

(4) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج621/3- 628). الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج41/4- 45).

(5) ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية (ج294/2).

المبحث الثالث

توحيد الألوهية بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

يعتبر توحيد الألوهية هو التوحيد المطلوب والذي أرسل الله تعالى الرسل من أجله، فجميع الرسل كانت دعوتهم لأقوامهم إفراد الله تعالى بالألوهية وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن يفردوه بالعبادة وحده دون ما سواه من عبادة الأوثان والأصنام، لذلك كان توحيد الألوهية هو الأساس في دعوة الرسل جميعاً وذلك لتضمنه إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات [1]، وفي هذا المبحث سأتناول الحديث عن تعريف هذا التوحيد وبعض مظاهره ونواقضه كما ورد في سورة يونس عليه السلام، مع بيان معتقد المعتزلة فيه.

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية لغةً واصطلاحاً عند السلف.

أولاً: توحيد الألوهية لغةً:

كما عرفت التوحيد سابقاً في اللغة بأنه: الإفراد، أما الألوهية في اللغة فهي مشتقة من إله على وزن فعال بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه أي معبود، والهمزة واللام والهاء أصل واحد يدل على التعبد فالإله الله تعالى وسمي بذلك؛ لأنه معبود ويقال تأله الرجل: إذا تعبد، فالله تعالى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وهذا أخص وصف له، واسم الله الأكبر هو الله لا إله إلا الله وحده، وهو الاسم الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق، والله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، والإله الحق هو الله والآلهة الباطلة التي تعبد من دون الله، وهي الأصنام وسموها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها وأسماؤهم تتبع معتقداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه، ولكن الإله الحق هو الرزاق الخالق ومن لم يكن كذلك فهو ليس بإله [2].

---

(1) انظر : ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج224/1).

(2) انظر: الرازي، مختار الصحاح (ج20/1). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج127/1). عبد الله بن حميد، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية (ص25). عبد الرحمن السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ص164). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج122/1-123). ابن منظور، لسان العرب (ج467/13).

من خلال ما سبق يتضح أن الإله هو الله وحده المعبود بحق وهو الاسم الجامع الشامل لجميع صفاته العلى وأسمائه الحسنى، وما سواه فهي آلهة باطلة.

ثانياً: توحيد الألوهية اصطلاحاً عند السلف.

قال ابن تيمية: "فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادةً واستعانةً ومحبةً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً وإجلالاً وإكراماً، والله ﷻ له حق لا يشاركه فيه غيره فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله"[(1)]، وعليه فتوحيد الألوهية هو الاعتقاد بأن الله ﷻ هو الإله الحق المتفرد بالعبادة، ومحبته الكاملة والإخلاص له في الدين والتوكل عليه والخوف منه، والرضا به رباً وإلهاً دون ما سواه من الأشياء والآلهة الأخرى[(2)].

ويدخل تحت هذا النوع كلمة التوحيد:" لا إله إلا الله" فأركانه هي أركان هذه الكلمة وهما ركنان:

الأول: النفي ويعنى نفي الألوهية واستحقاق العبادة عن كل ما سواه من الأنبياء والملائكة؛ فكل إله غير الله باطل.

الثاني: الإثبات: إثبات أن الله هو الإله الحق المستحق للعبادة بأنواعها الظاهرة كالصلاة والصيام والباطنة كالخوف والرجاء[(3)].

الخُلاصة:

توحيد الألوهية هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، قولاً وعملاً، بمعنى أن لا يعبد إلا الله وحده ولا يشاركه معه في عبادته أحداً كائناً من كان؛ لأنه وحده المستحق بالعبادة وإخلاص العمل سواء كان عمل من أعمال القلوب أو الجوارح، ومن هذه العبادات الإسلام والإيمان والخوف والنذر والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل وغيرها الكثير من أنواع العبادات [(4)].

---

(1) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (ج365/1).

(2) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية (ج93/2). محمد ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص11). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص29). محمد هراس، دعوة التوحيد (ص32).

(3) انظر: عبد القادر صوفي، المفيد في مهام التوحيد (ص68).

(4) انظر: المرجع السابق (59/1). عثمان جمعة ضميرية: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص233). عبد الرحمن حماد، الإرشاد إلى توحيد العباد (ص9–10).

ومن أسماء توحيد الألوهية: يسمى باعتبار إضافته إلى الله تعالى بتوحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق له عدة مسميات: توحيد العبودية والعبادة، والعمل والقصد والإرادة والطلب وذلك لأنه يستلزم الإخلاص في كل الأعمال ابتغاءً لمرضاة الله وثوابه الجزيل دون غيره.[1]

ثالثاً: أدلة توحيد الألوهية من الكتاب والسنة والإجماع.

توحيد الألوهية هو المقصد الأعظم من بعثة الرسل عليهم السلام وهو الذي حصل بسببه النزاع بين الأنبياء وأقوامهم فقد كانوا يعبدون الأصنام والأوثان ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله وتشفع لهم من دون الله ﷻ، وهذا التوحيد أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه الإنسان السالك إلى الله ﷻ [2] لذلك اهتم به القرآن الكريم والسنة النبوية اهتماماً كبيراً لخطورته وأهميته.

أولاً: الأدلة من الكتاب.

قال ﷻ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون ﴾[يونس:18]، وأيضاً قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين ﴾[النحل:36]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون ﴾[الأنبياء:25]

كما أن سورة الكافرون تدل على توحيد الألوهية، فهذه الآيات وغيرها الكثير لتدلُ على أهمية توحيد الألوهية وأن الله ﷻ بعث في كل أمة رسولاً يدعو إلى عبادة الله ﷻ وينهي عن عبادة ما سواه ومنذ أن حصل الشرك في بني أدم في قوم نوح ﷺ ثم بعث الله ﷻ لهم نوحاً فكان أول رسول بعثه الله ﷻ إلي الأرض إلى أن ختمهم بالنبي محمد ﷺ، الذي عمت دعوته كل الخلائق من الإنس والجن في جميع مشارق الأرض ومغاربها والله ﷻ ما بعث من رسول إلا أوحي إليه أنه لا معبود في السموات والأرض وتصلح العبادة له سواي فاعبدون وأفردوا لي الألوهية[3].

---

(1) انظر: عبد الله الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص20).

(2) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص28).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/489). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/427).

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية.

1- عن ابن عباس ﷺ قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ"[1]

2- وما رواه معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال: "يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟"، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟"، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ"[2]

3- قال ﷺ: **"**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**"**[3].

ثالثاً: أدلة الإجماع.

1- قال أبو بكر بن المنذر[4]: "أجمع كل ما أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام وهو بالغ صحيح يعقل أنه مسلم فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدا يجب عليه ما يجب على المرتد"[5]

2- السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتين ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ، وأن كل كافر فإنه يدعي إلى

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد/باب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، 9/ 114: حديث رقم7372].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد/ باب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، 9/ 114: حديث رقم 7373].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ/ بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ 9/ 15: حديث رقم 20] .

(4) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، كان فقيها عالما مطلعا شيخ الحرم بمكة، صنف في اختلاف العلماء كتبا لم يصنف أحد مثلها، توفي بمكة واختلف بتاريخ وفاته فقيل سنة (309-310) له تصانيف عديدة منها الإشراف والمبسوط. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج207/4)، الزركلي، الأعلام، (ج294/5).

(5) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج7/8).

الشهادتين سواء كان معطلاً أو مشركاً أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً ولا يصير مسلماً بدون ذلك(1).

ترى الباحثة: من خلال الأدلة التي وردت في بيان توحيد الألوهية يتبين أن هذا التوحيد هو البنيان الذي يقوم عليه الإسلام، وهو الذي يميز المؤمن والكافر وبدونه يكون العبد كافراً وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهو المطلوب من العباد.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية بين السلف والمعتزلة.

أولاً: توحيد الألوهية عند السلف.

توحيد الألوهية عند السلف هو الذي من أجله وقعت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم، ومن أجله قامت الحرب بين المشركين والموحدين، فهو الفارق بينهم وعليه يقع الثواب والعقاب، قال ابن تيمية: "التوحيد ضد الشرك فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله فعبده ولم يشرك به شيئا كان موحدا"(2)، وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ وهو جُل اهتمام الأنبياء قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ ﴾[النحل:36]، فالعبادة لا تصح إلا لله ﷻ ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك، وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات وذهب بعد ذلك لزيارة قبر صاحبه ويتعبده ويتقرب إليه فهذا مخل بالتوحيد كافر خالد مخلد في النار، فتوحيد الألوهية أعظم ما أمر الله ﷻ به والأصل الذي يبنى عليه الدين وهذا التوحيد يظهر في سورة يونس ﵇ بصورة واضحة كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُون﴾[يونس:3].

وقوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون﴾[يونس:18]، إذن الطريق الفطري لإثبات توحيد الألوهية هو الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية، فإن قلب الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه ونفعه وضره ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل والأعمال التي تقربه وتقوي صلته بالله ﷻ

(1) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج7/8-11).

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (ج1/51).

فتوحيد الربوبية باب لتوحيد الألوهية ومن أجل ذلك احتج الله على المشركين[1]، كما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس:31].

يتضح أن توحيد الألوهية متضمن توحيد الله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته وليس العكس، لأن العبد الذي يوحد الله في ألوهيته يقر أنه وحده المستحق للعبادة وبأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة؛ لأن العبودية لا تكون إلا لمن له صفات الكمال ولا يوجد غير الله ﷻ متصف بصفات الكمال[2]، وكما أن الله يحب أن يعبد يحب أن يحمد ويثني عليه ويذكر بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وهذه هي الغاية من خلق الإنس والجن[3].

ويرى السلف أن توحيد الألوهية ينتظم في أصليين شريفيين

الأصل الأول: إخلاص العبادة لله ﷻ:

الإخلاص هو أن يقصد الإنسان فيما يفعله وجه الله ﷻ متعرياً عن الالتفات إلى غيره قال ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة﴾[البينة:5] والذى ألزم الله تعالى به عباده إلى الموت، فالعمل الخالص ما يكون لله وحده لا شريك لأحد فيه البتة[4]، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينِ﴾[الزمر:11] فالعبادة الخالصة تكون لله وحده لا شريك له فالمؤمن يعبد الله ويخلص له العبادة ولا يخاف إلا الله ولا يدعو إلا الله ولا يتقرب إلا لله ﷻ، فتوحيد الألوهية لا يكون دون الإخلاص لله ﷻ في كل كبيرة أو صغيرة [5].

---

(1) انظر: عبد الرازق العفيفي، مذكرة التوحيد (ص38–40). ابن العثيمين، شرح ثلاثة أصول (ص41). عبد القادر صوفي، المفيد في مهمات التوحيد (ص60).

(2) انظر: محمد ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص12).

(3) انظر: ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص239).

(4) انظر: المقريزي، تجريد التوحيد المفيد (ص42).

(5) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة (ج3/290)، نفس المؤلف، التدمرية (ص232).

الأصل الثاني: موافقة العبادة لما شرعه الله ﷻ في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

إن عبادة الله ﷻ مبناها على الشرع والاتباع لا على الأهواء والابتداع، فالموحد هو الذي يعبد الله ﷻ بما شرعه في كتابه وسنه رسوله ﷺ، لا على اتباعٍ للأهواء والبدع، كما في قوله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[الشورى:21]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:85][1]، وكما جاء في سنة رسولنا محمد ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ"[2]، فمن يعبد غير ما أمر الله به من استغاثة وتبرك والتقرب من الأموات واتخاذ قبورهم مساجد وغير ذلك من الأمور المبتدعة فهو شرك بالله ﷻ وذلك مردود على صاحبه.

فإذا اختل واحد من هذين الشرطين لم تصح العبادة؛ فإنها إن خلت من الإخلاص كانت رياء، وهو الشرك الأصغر، وإن خلت من المتابعة كانت ابتداعا[3]، فلا بد من إخلاص العمل والعبادة لله ﷻ ووفق ما جاء به في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

ثالثاً: توحيد الألوهية عند المعتزلة.

المعتزلة يرون أن الإله هو الخالق، فعندما ذكر القاضي عبد الجبار دليل التمانع جعله تفسيراً لكلمة التوحيد" لا إله إلا الله"، إذ يقول فأما دلالة السمع أي على دليل التمانع فأكثر من أن تذكر نحو قوله لا إله إلا هو وأشباهه[4]، ويقول القاضي عبد الجبار: "إن حقيقة الإله هو القادر على خلق الأجسام وإحيائها والإنعام عليها بالنعم العظيمة"[5]، والمعتزلة من المتكلمين الذين لا تكاد توجد في كتبهم كلمة واحدة عن توحيد الألوهية أو توحيد العبادة، وهو التوحيد الذي دل عليه القرآن صراحة ومتعلق بعبودية الإنسان مع ربه، ويدعون أنهم حماة العقيدة وهم عنها ببعيد ويخوضون في مسائل لم يكن فيها خلاف كبير، ويسلكون فيها مسالك وعرة وهم كما قيل"

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج80/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح/ باب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، 3/ 184: حديث رقم 2697].

(3) انظر: محمد خليل هراس، دعوة التوحيد (ص44).

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص283–284).

(5) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج210/5).

لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل ولا سمين فينتقل"[1] فهم أهملوا توحيد الألوهية ولم يجعلوه من جُل اهتمامتهم وإن أشاروا إليه فلم يصيبوا فهم فسروا الإله بالقادر على الاختراع، وفسروا الألوهية بالربوبية وهذا إلغاء بالكامل لتوحيد الألوهية فإذا ثبت أنه لا يقدر على الاختراع إلا الله كان هذا معنى لا إله إلا الله[2]، واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[الأنبياء:22] ، فيقولون أن هذه الآية تدل على دليل التمانع وهذا باطل[3].

مناقشة المعتزلة والرد عليهم:

1- ليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع، بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد، قال ابن تيمية: "الإله هو المألوه أي المستحق لأن يؤله يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله"[4]، ويفهم من كلام ابن تيمية أن الإله هو المعبود وليس القادر على الاختراع كما أن المشركين كانوا يقرون بالربوبية ولا يقرون ب" لا إله إلا الله"[5].

2- دليل التمانع الذي استدلوا به على توحيد الأُلوهية ليس في محله وإنما هو دليل على توحيد الربوبية المستقر في الفطر وبما أن فكرهم منصب على توحيد الربوبية فسروا هذه الآية بناء على هذا التوحيد؛ لأن توحيد الألوهية لم يذكر عندهم، وأغفلوا ما ورد في قوله ﷻ: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ**﴾[الأنبياء:22][6].

3- تفسير التوحيد عند الأمة وصوابه "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[7]، وبهذه العبارة يتميز المؤمن من الكافر وتكفي وحدها في الدخول في الإسلام فهي أول ما يدخل به في الإسلام وآخر

(1) انظر: سعود خلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف والمبتدعة (ج115/1).
(2) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (ج386/2).
(3) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص31).
(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج202/13).
(5) انظر: المرجع السابق (ج101/3).
(6) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص37).
(7) الدارمي، نقض الإمام أبي سعيد علي المريسي الجهمي فيما افتراه على الله ﷻ من التوحيد (ج152/1).

ما يخرج به من الدنيا، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"(1)، فالله ﷻ أرسل رسله ليدعو إلى عبادته وإفراده بالألوهية دون ما سواه.

4- إن ما ذهبت إليه المعتزلة يترتب عليه خلط بين نوعي التوحيد، وهذا القول لم يذكر في القرآن الكريم وهو نزل بلسان عربي في غاية البيان والفصاحة لا لبس فيه، بالإضافة إلى أن كتب اللغة جميعها لم تذكر مثل ما ذهبت إليه المعتزلة فقولهم باطل في اللغة وفي الشرع وفي العقل(2)

المطلب الثالث: مظاهر توحيد الألوهية.

تحدثت في ثنايا هذا البحث عن مظاهر توحيد الربوبية في سورة يونس عليه السلام وبينت الآيات الدالة على مظاهر ربوبيته وهذه الآيات تضمنت الدلالة على مظاهر أُلوهيته، لأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الأُلوهية بمعنى أن الإيمان بوحدانية الرب الخالق الرازق المحي المميت يستلزم أن يعبد الله ﷻ ويوحده في ألوهيته، لأنه ما دام أقر بالرب الواحد لزم لأن يتبع ذلك بتوحيد الإله كما في قوله ﷻ: ﴿أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون﴾[يونس:66]، وتوحيد الأُلوهية متضمن للربوبية بمعنى أن الإيمان بوحدانية الله وتقديم العبادة له لا يحصل إلا ممن أقر بأن هذا الإله المعبود رب العالمين، وهو وحده المستحق بالعبادة ومن عبده استقر في قلبه أنه ربه الخالق الرازق له ما في السموات والأرض(3)، وذلك واضح في سورة يونس عليه السلام كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُون﴾[يونس:3]، قال ابن قيم الجوزية في بيان ذلك: "القرآن يقرر توحيد الألوهية

---

(1) [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الجنائز/فِي التَّلْقِينِ، 3/ 190: حديث رقم 3116]، قال الألباني رحمه الله تعالى: "صحيح". صحيح وضعيف سنن أبي داود (ج116/7).

(2) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج138/3).

(3) انظر: محمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص122-123).

بتوحيد الربوبية فيقرر كونه معبودا وحده بكونه خالقا رازقا وحده"[1]، فمظاهر توحيد الألوهية هي التي دلت عليها مظاهر توحيد الربوبية [2] .

المطلب الرابع: الولاية بين السلف والمعتزلة في سورة يونس ﷺ.

من فضل الله ﷻ ورحمته على عباده أن فتح للمتقين من المؤمنين أفاق بعيدة يرتقون من خلالها إلى مرتبة الأولياء الصالحين، فكلما جاهد الإنسان بنفسه وتعلق بعبادة الله ﷻ وأكثر من الطاعات، وتخلص بقدر الإمكان من الأمراض والشهوات التي تصيب القلوب، والبعد عن الذنوب والمعاصي زاد شعوره بصفاء نفسه ونور قلبه وجمال روحه وحياته؛ وذلك لأن رحمة الله ونوره لا يُقذف في قلوب المنغمسين في الشهوات لذلك لا بد من مجاهدة النفس لكي نكون من أولياء الله الصالحين [3]

وقد ورد في سورة يونس ﷺ ذكر لأولياء الله الصالحين وما أعده الله لهم في الحياة الأخرة كما في قوله ﷻ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:62-64]

أولاً: تعريف الولاية لغةً.

الولاية في اللغة مشتقة من الفعل الثلاثي ولي، وهي ضد العداوة والجمع أولياء ويراد بها القرب والدنو والمحبة والنصرة والسلطان[4]، فيختلف معناها حسب مصدرها فإذا كانت الولاية بالفتح فهي بمعنى المحبة والنصرة، وقيل القرابة والنسب وإذا كانت الولاية بالكسر فهي بمعنى السلطان

(1) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن (ص428).
(2) انظر: البحث من صفحة (57-78).
(3) انظر: حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية (ص174).
(4) انظر: مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج40/ 241- 253). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج141/6). الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ص1344).

والملك والإمارة، فيقال فلان والٍ على غيره أي متمكن للولاية [1]، فهي تشعر بالقدرة على الفعل مع التدبر، والذي لم تجتمع فيه تلك الأمور فلا يطلق عليه والي [2].

من خلال ما سبق يتبين أن المقصود بالولاية المحبة والنصرة الناشئة عن القرابة والنسب أو القدرة والتدبير والسلطان والملك.

ثانياً: تعريف الولاية اصطلاحاً.

تعددت تعريفات العلماء للولاية والأولياء ولكن ما يجمعها أنهم جميعاً جعلوا القاسم المشترك للأولياء هو الإيمان وتقوى ﷻ، ومراقبته في جميع أمورهم واتباع أوامره واجتناب نواهيه.

فالولاية هي:" عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، وليس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا رياضة" [3]، فولي الله ﷻ هو المداوم على طاعته لله ﷻ ومخلصاً له في جميع أنواع عبادته بعيداً عن الرياء والشهرة [4]، وعلى قرب من الله ﷻ دوماً، من خلال طاعته لله ﷻ واتباع أوامره واعراضه عن الانغماس في شهوات الدنيا وملذاتها [5]، فيؤمنون بما يجب الإيمان به ويجتنبون ما يجب عليهم اجتنابه من الذنوب والمعاصي [6]، وأفضل أولياء الله ﷻ هم الأنبياء صلوات الله عليهم وأعلاهم مرتبة المرسلين وأولى العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ [7]، وكما نعلم فإن المؤمنين ليسوا على درجة واحدة من الإيمان والتقوى فالإيمان يزيد وينقص وهكذا الولاية فهي مرتبطة بإيمان العباد وطاعتهم لله ﷻ، فهم متفاضلون في ولاية الله ﷻ حسب إيمانهم وتقواهم فقد تكون ولايتهم لله ﷻ كاملة وقد تكون ناقصة، فمن

---

(1) انظر: الكفوى، الكليات (ج940/1). ابن منظور، لسان العرب (ج407/15).

(2) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج227/5).

(3) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي (ص194).

(4) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (ج342/11).

(5) انظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج106/3). عبد الرزاق البدر، الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ج42/1).

(6) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج519/2-520).

(7) انظر: ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص10).

كان أكملهم إيماناً وتقوي كان أكملهم ولاية لله ﷻ [1]، وهذا تفصيل ما قاله الإمام ابن أبي العز الحنفي:" والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله ﷻ أطوعهم وأتبعهم للقرآن" [2].

وسورة يونس عليه السلام ذكرت صفات الأولياء المتصفون بالولاية الكاملة لله ﷻ كما في قوله ﷻ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[يونس:62-64]، فهذه الآية لخصت صفات الأولياء ألا وهي الإيمان والتقوى فكل من كان تقياً لله ﷻ فهو من أولياء الله الصالحين، فولي الله هو من آمن واتقي [3]، ولكن أولياء الله ﷻ المخلصين هم خُلَّص المؤمنين الذين يعبدون الله في الظاهر والباطن ابتغاء مرضاة الله ﷻ كما في قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يونس:63] [4]، وقد سماها ابن القيم ولاية خاصة [5] .

من خلال ما سبق يتضح أن للولاية مرتبتين هما مرتبة أصحاب اليمين والمقتصدون وهم الذين تقربوا إلى الله ﷻ بأداء الفرائض المفروضة وفعلوا ما أمرهم الله بفعله واجتنبوا ما أمرهم بتركه، ومرتبة السابقون المقربون وهم من تقربوا إلى الله ﷻ بالنوافل بعد العبادات المفروضة كما في قوله ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة:10- 13]، وغيرها من الآيات التي سردها ابن تيمية لتوضيح منزلة كل مرتبة [6]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج175/11).

(2) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص291-295).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج242/4). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/ 122-123).

(4) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج519/2).

(5) انظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج107/3).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج11/ 176-180). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص294).

وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " (1)

وأما عن ما أعده الله ﷻ لأوليائه الصالحين فورد في قوله ﷻ :﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[يونس: 64]، فلهم البشارة في حياتهم كلها في الحياة الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، فأما عن البشارة في الدنيا فهي المحبة والمودة فيما بينهم والثناء الحسن عليهم، فيعمل أحدهم العمل فيثنون الناس عليه، فعن أبي ذر ﷺ قال قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: "تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ" (2) وتيسير أمورهم وصرف عنهم كل أنواع السوء، إضافة للرؤيا الصالحة الذي يراها المؤمن فهي جزء من أربعة وأربعين أو سبعين جزءاً من النبوة (3)، أما عن البشرى في حياة البرزخ فهي البشارة عند قبض أرواحهم فيتولاهم الله بالرحمة كما في قوله ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:30]، وما يبشر فيه في القبر من رضا الله ﷻ والنعيم الدائم قبره فيكون عليه روضةً من رياض الجنة ويرى مقعده في الجنة، وأما عن البشرى في الحياة الآخرة فهي دخول جنات النعيم الدائم والنجاة من عذاب النار (4)، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[يونس:9].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَاضُعِ، 105/8: حديث رقم6502]

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أُثْنِيَ عَلَى الصَّالِحِ فَهِيَ بُشْرَى وَلَا تَضُرُّهُ، 2034/4: حديث رقم2642]

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج243/4).

(4) انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص 347).

ثالثاً: الولاية عند المعتزلة والرد عليهم.

قال الزمخشري:" أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة" [1]، وقد نقل الأشعري عنهم بالقول:" أن الولاية عندهم الأحكام الشرعية والمدح وأحداث الألطاف، وقال بعضهم الولاية مع الإيمان وهي غير الأحكام والأسماء" [2]

لكن بشر بن المعتمر[3] فعنده الولاية تكون بعد حال الإيمان، وكذلك العداوة بعد حال الكفر، فكان يزعم أن الله ﷻ لا يوالى مؤمناً حال إيمانه وإنما يواليه بعد إيمانه، ولا يعادى أي كافراً حال كفره وإنما يعاديه بعد كفره، وحجته أن الله ﷻ والى المؤمن لإيمانه وجعل عداوته عقاباً للكافر على كفره [4]، فهذا ما يتعلق بالأولياء.

أما كرامات الأولياء فالمعتزلة أبطلتها، واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[الجن:26 -27]، أي أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة، لا كل مرتضى، فلو أثبتوها لحدث إشكال في إثبات المعجزة التي هي فقط للنبي وبين الولي، لأصبح النبي والولي شيء واحد وما تم التفريق بينهما، وليس لديهم أي دليل سوى ذلك الدليل [5]، ولكن لا يعلم الغيب إلا من أعلمه الله ﷻ به، أما النبي ﷺ فيتساوى مع غيره من البشر في عدم العلم به.

مناقشة المعتزلة والرد على المعتزلة.

1- الإيمان والتصديق بكرامة الأولياء حق وهي عقيدة ثابتة مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة، وهي تقع للصالحين من عباده وقد ورد في القرآن الكريم العديد من كرامات

---

(1) الزمخشري، الكشاف (ج355/2).

(2) الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج211/1).

(3) بشر بن المعتمر أبو سهل الهلالي الكوفي كان أبرصاً وفقيهاً وشيخ المعتزلة، من كبار المتكلمين صاحب المدرسة المعروفة بالبشرية، أفرط في القول بالتولد، له العديد من الأشعار توفي سنة210هـ. انظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (ج203/10). الصفدي، الوافي بالوفيات (ج96/10-97). الزركلي، الأعلام (ج55/2).

(4) الخياط، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد (ص62-63) بتصرف.

(5) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج632/4). القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (241/15-246).

الله ﷻ لأوليائه كما حصل مع الفتية الذين آمنوا بربهم وثبتوا على دينهم وسط بيئة الكفر والطغيان وورد ذلك في ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف:9-11] (1)

2- ما ادعته المعتزلة من إنكارهم للكرامة بحجة كونها تحمل نفس معنى النبوة، فهذا باطل لأن هناك فرق واضح بين النبوة والكرامة، فالكرامة أمر يظهره الله على يد عبد صالح متبع لشرع الله ﷻ وشرع رسوله ﷺ كرامة له دون أن يدعي النبوة، كما أن النبوة انقطعت وختمت بالنبي محمد ﷺ ولا نبي بعده(2)

3- إن أعظم كرامات الله ﷻ لزوم الاستقامة، فالله ﷻ لا يكرم عبداً أعظم من كرامته إياه باتباع أوامره وشرعه فيما يحب ويرضى وأيضاً بلزوم طاعته ﷻ وطاعة رسوله ﷺ، بل وأعظمها كرامة الرؤيا الصالحة والبشرى التي تكون عند احتضاره كما في قوله ﷻ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 64](3)

يتلخص مما سبق أن الله ﷻ أرسل رسله وأنبياءه لجميع الأمم وأرسل معهم معجزاتهُم التي تُدلل على أنهم أنبياء الله، فمن آمن بهم وعمل بمنهج الله ﷻ وبمنهج رسوله ﷺ فهو من أولياء الله الصالحين، وبذلك تكون النبوة خاصة للأنبياء والكرامة لمن اتبع هؤلاء الأنبياء من الصالحين فلا يوجد أي لبس ومعارضة بين النبوة والولاية أو بين المعجزة والكرامة .

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج156/3). للمزيد من معرفة كرامات الأولياء انظر: اللالكائي، كرامات الأولياء فقد أكثر من سرد كرامات أولياء الله الصالحين.

(2) انظر: السفاريني، لوامع الانوار البهية (ج392/2). فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم (ص22).

(3) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص429)، ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج29/10-30).

المطلب الخامس: نواقض توحيد الألوهية.

سورة يونس عليه السلام تضمنت بعض نواقض توحيد الألوهية كأن يتوجه الإنسان إلى غير الله ﷻ بأي شكل من أشكال العبادة كدعاء غيره والكفر به والخروج عن طاعته وغيرها من أنواع العبادة الخاصة لله ﷻ، فيجب على الإنسان إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادة وعبادة غيره بأي نوع من أنواع العبادة فهو كفر وشرك.

أولاً: الكفر.

تعريف الكفر لغةً واصطلاحاً

1- الكفر لغة.

"الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية"(1) وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه، وسمي الكافر كافراً لأن الكفر غطى قلبه كله، ولما دعاه الله على توحيده فقد دعاه إلى نعمة يحبها ولما أبى ورفض كان كافرا بنعمة الله مغطياً لها وحاجباً عنها، ويقال لمن غطى درعه بثوب قد كفر، "والكفر ضد الإيمان" سمي بذلك لأنه تغطية للحق وكفران للنعمة وجحدها (2).

2- الكفر اصطلاحاً.

قال ابن تيمية: "الكفر إنكار ما علم من الدين ضرورة أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها ونحو ذلك"(3)، وقال ابن قيم الجوزية: "الكفر جحد ما علم أن الرسول ﷺ جاء به سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دق الدين وجله" (4)، فالكفر صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه وعرف ما جاء به الله ورسوله، فمن لم يؤمن بعد قيام الحجة عليه فهو كافر سواء كان كفره تكذيباً أو استكباراً أو ريبة أو جحوداً أو غير ذلك(5).

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج191/5).

(2) انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ص470)، ابن منظور، لسان العرب (ج144/5).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج106/1).

(4) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص596).

(5) انظر: ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام (ج49/1-50). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج87/20).

إن معنى الكفر يتمحور حول عدم الإيمان بالله ﷻ وتكذيب ما جاء به الرسول محمد ﷺ والأنبياء من بعده أو التصديق بالبعض دون البعض الآخر سواء كان هذا التكذيب ظن أو شك أو ريب أو إعراض أو غير ذلك[1]، أو الإتيان بقول أو اعتقاد أو عمل يناقض الإيمان[2].

ثانياً: الكفر كما ورد في سورة يونس ﷺ .

ورد الكفر في سورة يونس ﷺ في موضعين:

1- في قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾[يونس:4]، في هذه الآية يبين الله ﷻ ما أعد للذين كفروا وجحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله من شراب حميم قد أُغلي واشتد غليانه أو أنه سخن حتى انتهى حره، فكل مسخن عند العرب فهو حميم وخص الحميم؛ لأنه أكره أنواع العذاب في النفوس، حتى أنه وصف فيما ذكر عن النبي ﷺ ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه كما ذكره الله في قوله ﷻ: ﴿كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[الكهف:29] ولهم مع ذلك عذاب أليم موجع يخلص وجعه إلى قلوبهم بما كانوا يكفرون بالله وبرسوله ويعبدون الأصنام والأوثان من دون الله[3].

2- وقوله ﷻ: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾[يونس:70] يبين الله ﷻ في هذه الآية أنكم أيها الكافرون قد افتريتم الكذب وعبدتم غير الله فلا بد أن تنالوا الجزاء المناسب على ما قدمتم من عقيدة فاسدة وشرك بين واضح وعبر هنا بقوله ﴿نُذِيقُهُمُ﴾إشارة إلى أن هذا العذاب يصيب مشاعرهم وأحاسيسهم ويشعرون بها وكلما نضجت جلودهم أبدلهم جلوداً غيرها وذلك على ما كانوا يقترفونه من كفر، وهذا العذاب الشديد الذي ينسون معه كل ما تمتعوا به في هذه الدنيا الزائلة وسببه أنكم جحدتم كمال الله ونسبتم له الولد والشريك، وفي هذه الآية دلالة واضحة على الخسارة التي جناها الكافرين ويحسبون أنهم

---

(1) انظر: الأثري، الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه (ص243).

(2) انظر عبد الله الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية (ص200).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج22/15)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج309/8). الرازي، التفسير الكبير (ج206/17).

امتلكوا الدنيا ونجحوا في الحصول على كافة منافعها، ونسوا ما أعده الله من نعيم في الآخرة وأن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة[1].

ثانيا: الفسق.

تعريف الفسق لغةً واصطلاحاً.

1- الفسق لغة.

يعنى الخروج عن الطاعة وعن طريق الحق، والميل إلى العصيان بترك أوامر الله ﷻ واتباعٍ لأهوائه ولخطوات الشيطان، كما حصل مع إبليس وفسق عن أمر ربه [2]، والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله وطاعة الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر فهو لا بمؤمن ولا بكافر كما هو عند المعتزلة، أما عند السلف فهو مؤمن وقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان، لكنه لم يخرج من الإيمان[3].

2- الفسق اصطلاحاً.

الفسق هو معصية الله ﷻ وترك أوامره والخروج عن طاعته وعن طريق الحق، فهو مرتبط بالمعنى اللغوي أي الخروج وفي الاصطلاح الخروج عن طاعة وأوامر الله ﷻ، وإذا أطلق يراد به الكفر المخرج من الملة كما في قوله ﷻ: **﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[النور:55]، وأحياناً يراد به الذنوب والمعاصي التي هي دون الكفر بحسب درجة المعصية ونوعها، فالفسق أعم من الكفر، فكل كافر فاسق وليس كل فاسق كافر، فالفسق يشمل الكفر وما دونه من المعاصي[4].

ثانياً: الفسق كما ورد في سورة يونس عليه السلام.

الفسق من نواقض توحيد الألوهية التي وردت في سورة يونس عليه السلام وذلك في قوله ﷻ: **﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**[يونس:33]، أي: أنه كما ثبتت الألوهية

---

(1) انظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3613/7). الجزائري، أيسر التفاسير (ج491/2). وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج222/11).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج308/10). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج502/4).

(3) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج119/1). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج246/1).

(4) انظر: الأثري، الإيمان حقيقته وخوارمه ونواقضه (ص240). الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ج636/1-637). الألوسي، روح المعاني (ج130/11).

والربوبية لله ﷻ ثبتت كلمة الله وحكمه وعدله وقضاؤه في الذين تمردوا وتمادوا في كفرهم وأصروا على ضلالهم وخرجوهم من دائرة الإيمان مع اعترافهم بأن الخالق الرازق هو وحده الذي بعث رسله وخرجوا عن الطاعة، حق عليهم انتفاء الإيمان وأنهم من أهل الخذلان وأنهم أشقياء من ساكني النار، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[الزمر:71]، ويلاحظ أن الآية الواردة في سورة يونس عليه السلام صرحت باليأس من عدم إيمان الذين فسقوا فثبت عليهم العذاب لشقاوتهم وعنادهم[1].

ثالثاً: الشرك وأنواعه في سورة يونس عليه السلام.

1- الشرك لغة.

الشين والراء والكاف أصل يدل على مقارنة وشركة ومخالطة بين شريكين، ويكون الشيء مشتركاً بين اثنين ولا ينفرد أحدهما دون الأخر، ويقال اشتركا بمعنى تشاركا وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله: أي كفر وجعل له شريكاً في ملكه[2]، وفي ربوبيته تعالى الله ﷻ عن الشركاء فالله ﷻ واحد أحد لا شريك ولا ند ولا نديد له[3].

2- الشرك اصطلاحاً.

قال ابن تيمية: "الشرك هو أن تجعل مع الله نداً أي مثلا في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته وهذا الشرك لا يغفره الله ﷻ إلا بالتوبة منه"[4]، وقال حافظ الحكمي[5] هو:

(1) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج165/11-166). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج340/8). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج267/4). الصابوني، صفوة التفاسير (ص542).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج265/3). ابن منظور، لسان العرب (ج448/10). مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج223/27-224).

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج449/10).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج91/1).

(5) حافظ أحمد علي الحكمي، فقيه أديب من علماء جيزان تقع بين الحجاز واليمن ولد في قرية السلام التابعة لمدينة المضايا سنة 1342هـ ، ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله في كتبه ورسائله ومنها الجوهرة الفريدة في العقيدة، والأصول في نهج الرسول، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول. انظر: الزركلي، الأعلام (ج159/2).

"صرف شيء من أنواع العبادة قل أو كثر لغير الله كائناً من كان من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو شجر"[1].

والشرك هو جعل لله شريك في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واتخاذ نداً لله ﷻ في عبادته وملكه والغالب في الشرك أنه يقع في توحيد الألوهية كأن يدعو مع الله غيره ويصرف له شيئاً من أنواع العبادة مثل الذبح لغير الله والنذر والخوف والمحبة [2].

ثانياً: الشرك وأنواعه كما ورد في سورة يونس عليه السلام.

القرآن الكريم بشكل عام والسورة المكية بشكل خاص تحدثت عن الشرك وأنواعه، لكونه كان منتشراً في الجاهلية وسورة يونس عليه السلام تناولت الحديث عن ثلاثة أنواع من الشرك:

أولا: شرك العبادة.

العبادة لغةً هي: الطاعة والخضوع والذل، يقال طريق معبد أي مذلل بكثرة الوطء [3]، والعبادة هي الخضوع للإله على وجه التعظيم، وتعبد أي انفرد بالطاعة ويقال عبد الله عبادة وعبودية أي انقاد له وخضع وذل له [4]، والعبودية "إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله ﷻ لذلك قال ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:23] "[5]، ويقال للمشركين عبدة الطاغوت وللمسلمين عِبادُ الله يعبدون الله ﷻ ويوحدونه وحده[6]

من خلال التعريف اللغوي يظهر لنا معنى العبادة في اللغة الخضوع والتذلل والانقياد لله ﷻ.

أما اصطلاحاً: قال ابن تيمية بتعريفه الشامل للعبادة: "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من

---

(1) حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج457/2).

(2) انظر: صالح الفوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر (ص74). الأثري، الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص236).

(3) انظر: الرازي، مختار الصحاح (ج198/1)، ابن منظور، لسان العرب (ج273/3).

(4) انظر: إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط (ج579/2).

(5) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص542).

(6) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج271/3).

الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة كذلك حب الله ورسوله وخشيته والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه هي من العبادة لله تعالى"[1].

من خلال ما سبق يجب أن يتوفر في العبادة الحب لله ﷻ مع الذل والخضوع له، فإن لم يتوفر الحب والذل لم يكن في عمله عبادة، وشرك العبادة على ذلك حب غير الله واتخاذ شريك له في العبادة كما سبق في تعريف الشرك.

وشرك العبادة ورد في سورة يونس في آيات كثيرة منها في قوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:18] وأيضاً في قوله ﷻ : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾[يونس: 29-28] ، وقوله ﷻ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:104]

كان الناس جميعهم على دين الإسلام منذ زمن آدم إلى زمن نوح عليه السلام، لكن زين الشيطان لقوم نوح عبادة الأصنام واتخاذها آلهة تعبد من دون الله فأخذوا في تعظيمها وتقديسها[2]، كما ورد في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَأٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ"[3].

---

(1) ابن تيمية، العبودية (ص44).

(2) انظر: حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج2/462).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/باب قوله ﷻ: ﴿وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23]، 6/ 160: حديث رقم 4920].

وما رواه عبيد الله بن عبيد بن عمير[1] قال: "أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح وكانت الأبناء تَبرُ الآباء فمات رجل منهم فجزع عليه فجعل لا يعبر عنه فاتخذ مثالا على صورته فكلما اشتاق إليه نظره ثم مات الآباء فقال الأبناء ما اتخذ هذه أبناؤنا إلا أنما كانت ألهتهم فعبدوها"[2]، فأول شرك وقع في الأرض كان في زمن نوح عليه السلام بعبادة الأصنام والأوثان، وكان سببه انتشار الجهل والغلو في تقديس الصالحين واتخاذ التماثيل آلهة وغياب الوازع الديني ويزعمون أنها تقربهم إلى الله وتشفع لهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:3]، ثم انتقل بعد ذلك إلى جزيرة العرب على يد عمرو بن لحي[3]– قبح الله وجه– وقال فيه رسول الله ﷺ: "رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ"[4]، ولم يقتصر شرك العبادة علي عبادة الأصنام والأوثان، وإنما عبدوا الشمس والقمر والنجوم كما فعل قوم إبراهيم عليه السلام، وكذلك بني إسرائيل الذين كانوا يعبدون العجل وغيرهم عبدوا العجل، والنصارى عبدت المسيح، والمجوس الذين عبدوا النار[5]، وأيضاً يدخل ضمن شرك العبادة من سمي ولده اسماً يدل على التعبد لغير الله مثل اسم عبد الرسول، أو عبد الحسين؛ لأنه كما أشرت أن العبادة الحقة لا تكون إلا لله وحده ومن سمى بذلك معتقداً أنه يستحق أن يعبد فقد أشرك، وكذلك العبادات بأنواعها القلبية والقولية والعملية حق خالص لله تعالى ومن صرف شيئاً لغير الله فقد وقع في شرك العبادة [6].

---

(1) عبيد الله بن عبيد أبو وهب الكلاعي الدمشقي، صدوق من السادسة، مات سنة32، انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب (ج1/ 373). ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج7/35).

(2) [الفاكهي: أخبار مكة 5/ 140: حديث رقم 70].

(3) عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي، من قحطان أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأصنام يقال له أبو ثمامة، زار بلاد الشام ودخل أرض مأب فوجد أهلها يعبدون الأصنام فأعجب بها وأخذ صنما يقال له هبل إلى مكة وأمر الناس بعبادته وتقديسه انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج1/77). الزركلي، الأعلام (ج5/84).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: 103]، 6/ 54: رقم الحديث 4623].

(5) حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج2/463–464) بتصرف

(6) انظر: عبد الله الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية (ص161–162).

وقال محمد صديق خان[1] في قوله ﷻ: ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ﴾[هود:26]، قال: "قد تقرر أن العبادة لا تجوز إلا لله وأنه هو المستحق لها فكل ما يسمي عبادة ويصدق عليها مسماها فإن الله يستحقه ولا استحقاق لغيره فيها ومن أشرك فيها أحدا من دون الله فقد جاء بالشرك"[2].

ثانياً: شرك الطاعة والإتباع.

شرك الطاعة والاتباع هو: "عبادة غير الله بتقديم الشعائر الدينية لغير الله، شركاً وطاعةً غير الله شركاً واتباع منهج غير منهج الله شركاً والتحليل والتحريم بغير إذن من الله شركاً"[3]، فكل من أطاع مخلوقاً في تحريم وتحليل، وأطاع الأولياء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله[4]، فهذا شرك في الطاعة والاتباع، فيقول الشنقيطي [5]في بيان ذلك: " أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله ﷻ على ألسنة رسله صلوات الله عليهم وأنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحى مثلهم"[6].

ويتمثل شرك الطاعة في سورة يونس ﷺ في قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُون وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُون﴾[يونس:59-60] ففي هذه الآية أن هناك من يعتقد تحليل وتحريم رزق الله ﷻ وأن الإنسان رازقاً مع الله ﷻ، وهؤلاء هم المشركين الذين كانوا

---

(1) محمد صديق خان بن حسين بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد سنة1248هـ ، ونشأ في قنوج وسافر إلى بهويال طلبا للمعيشة، توفي سنة1307هـ. له تصانيف عديدة منها: فتح البيان في مقاصد القرآن. انظر: الزركلي، الأعلام (ج167/6-168).

(2) محمد صديق خان، الدين الخالص (ج37/2-38).

(3) عثمان ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة (ص254).

(4) انظر: عبد الرحمن التميمي، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص383).

(5) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي الشنقيطي، ولد سنة 1325هـ مفسر ومدرس من علماء شنقيط "موريتانيا" ولد وتعلم بها، استقر مدرسا في المدينة المنورة ثم بالرياض، وتوفي سنة1393هـ بمكة، له تصانيف عديدة منها: أضواء البيان وأداب البحث والمناظرة، منهج ودراسات الأسماء والصفات. انظر: الزركلي، الأعلام (ج45/6-46).

(6) الشنقيطي، أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن (ج259/3).

يحرمون على أنفسهم أنواعا من الرزق ويحللون أنواعاً أخرى من تلقاء أنفسهم وما تمليه عليهم شياطينهم، والله ﷻ هو وحده الذي له حق التشريع والتحليل والتحريم لفصل النزاع وهو حق لله وحده رب الناس وخالق الخلق وهو الذي يعلم ما يصلح لعباده، فبحكم ربوبيته لهم يشرع لهم – وبحكم عبوديته يقبلون أحكامه– ومن قبل تشريعاً غير الله فقد أشرك بالله والتحليل والتحريم حق لله لا يجوز لأحد أن يشاركه فيه قال ﷻ: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام: 121] فجعل ﷻ طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم الله شركاً به ﷻ وكذلك من أطاع العلماء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله كما في قوله ﷻ: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:31] فتحليل وتحريم رزق الله ﷻ يعتبر شركاً في طاعته ؛لأن ذلك لله ﷻ وحده لا يشاركه فيه أحد من خلقه(1).

فهذه الآية نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يحرمون ويحللون من البحائر والسوائب والوصايا وغيرها من أنواع الرزق، قال ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:136]، والله ﷻ أنكر على ما يحرم ويحلل بمجرد الأهواء والآراء التي لا دليل عليها وتوعدهم يوم القيامة كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس:60]، وهؤلاء المشركين بما يفعلونه يضيقون على أنفسهم ما أنعم الله به عليهم فيجعلون بعض الرزق حلالاً وبعضه الآخر حراماً من تلقاء أنفسهم من غير دليل وهذا ما وقع به أيضاً أهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم(2).

وعَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: "يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ"، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ

(1) انظر: صالح الفوزان، التوحيد (ص71-73).

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (ج4/275-276) بتصرف

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون﴾ [التوبة: 31]، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوه"[1].

فشرك الطاعة يكون باتخاذ الأحكام الوضعية العقلية بدلاً من أحكام الشريعة الإسلامية، وفي تحليل ما حرمه الله مثل الزنا والربا، أو تحريم ما أحله الله مثل أكل اللحوم وتعدد الزوجات، قال الشنقيطي: "الحلال هو ما أحله الله والحرام ما حرمه الله والدين هو ما شرعه الله فكل تشريع من غيره باطل والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه كفر بواح"[2].

ثالثاً: شرك الدعاء:

الدعاء لغة: "الدعاء هو العبادة"[3] والشرك فيه شرك في عبادة الله ﷻ، وهو الرغبة إلى الله ﷻ وقد يكون بمعنى الاستغاثة، يقال دعوته أي سألته واستغثته[4]، والدعاء: الخضوع لله ﷻ واظهار غاية التذلل والاستكانة إليه ﷻ، ونحن نعبد الله ﷻ مما شُرعت لنا من العبادات إلا خضوعا وافتقاراً إليه ﷻ [5].

وشرك الدعاء: أي دعاء غير الله ﷻ من الأنبياء والصالحين وغيرهم فيما لا يقدر عليه إلا الله فمن دعا أو استعان[6] أو استغاث[7] أو استعاذ[8] بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد

---

(1) [التِّرمذي: سنن التِّرمذي، أبواب تفسير القرآن/وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، 5/ 27: حديث رقم3095]، قال الألباني رحمه الله تعالى "حسن" صحيح وضعيف سنن الترمذي (ج95/7).

(2) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج48/7).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج257/14).

(4) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ج315/1).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج95/11).

(6) الاستعانة: أي طلب العون والمساعدة من الله ومن طلبها من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، انظر: سليمان عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ص175).

(7) الاستغاثة: طلب الغوث وإزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والغوث يقع لمن وقع في شدة وكرب وخشي الهلاك والمضرة الشديدة. انظر: صالح بن عبد العزيز، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص200).

(8) الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام والتحرز والهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، أو هو طلب العوذ أو طلب العياذ. انظر: صالح بن عبد العزيز، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص191). سليمان عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ص170).

أشرك[1]، سواء أكان من الملائكة أو الأنبياء أو الأصنام أو الحجر أو غير ذلك من مخلوقات الله[2].

قال ابن قيم الجوزية: "من أنواع الشرك الأكبر طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته"[3].

فدعاء غير الله ﷻ هو من الشرك الأكبر الذي لا يغفر له، فهو كما في حديث رسول الله ﷺ، عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ"[4]، وأيضاً ما رواه النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾**[غافر: 60]"[5]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ"[6]، فمن هذه الروايات تتضح أهمية الدعاء أنه هو العبادة نفسها ومن أشرك فيه فقد انتهت عبادته وطاعته، فيجب على المؤمن إخلاص عبادته ودعائه فقط لله وحده فهو وحده الذي يعلم ما يجول في نفس الشخص وهو النافع الضار الذي يستجيب دعاء عبده في الوقت الذي يريده ﷻ.

وهناك أقسام ثلاثة للدعاء الديني:

1-دعاء المرء لنفسه: وهو دعاء الله وحده وهو توحيد محض وعبادة خالصة، إن لم يعتد الداعي في دعائه كما في قوله ﷻ: **﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾**[البقرة:201]

(1) انظر: سليمان عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ص179)

(2) انظر: صالح بن عبد العزيز، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص221).

(3) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج353/1).

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ/ باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ 5/ 456: حديث رقم 3371] ، قال الألباني رحمه الله تعالى: "ضعيف" صحيح وضعيف سنن الترمذي (ج371/7).

(5) [أبو داود: سنن أبي داود، تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوِتْرِ/ بَابُ الدُّعَاءِ ، 2/76-77: حديث رقم 1479]، قال الألباني رحمه الله تعالى: "صحيح" صحيح أبي داود – الأم (ج219/5).

(6) [الترمذي: سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ/ بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ، 455/5: حديث رقم 3370]، قال الألباني رحمه الله تعالى: "حسن"، صحيح وضعيف سنن الترمذي (ج370/7).

2- دعاء الله لغيرك: أي دعاء غيرك لك وهو جائز سواء طلبت منه أو لم تطلب، كما قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:10]، وأيضاً حديث أبي الدرداء ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ"[1].

3- دعاء غير الله ﷻ فهذا هو الشرك الصريح والكفر البواح وهو نوعان:

أ- دعاء غير الله مع الله: كالذي يقول يا ربي وشيخي أو يا ربي وسيدي وهذا شرك صريح إذ أشرك مع الله غيره

ب- دعاء غير الله من دون الله: كالذي يقول يا رجال الدالة يا ديوان الصالحين، وهذا شرك باعتبار أن الداعي وإن اقتصر على المخلوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يبرأ منه في العقد وكأن الله مضمر في كلامه، ويصح في النوع الأول دعاء غير الله من دون الله أيضاً؛ لأنه لما أشرك بدعائه لم يدعو على الوجه المطلوب ولم يذكر الله لفظاً وهذا ما كان منتشراً عند العرب في الجاهلية [2].

فسورة يونس ﷺ من سور القرآن الكريم التي عالجت هذه المسألة ببيان عجز ما يدعونهم من الأصنام والأوثان والأشجار، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:106-107]،وقوله ﷻ : ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس:66]

وأيضاً من خلال التوجه إلى الله وحده لا شريك له في الدعاء كما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: 104-105]، وتذكير السائلين بالتوحيد والإيمان ودعاء الله وحده عند اشتداد المحن والشدائد، كما في سورة يونس ﷺ قال ﷻ:

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ/باب فَضْلِ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، 4/ 2094: حديث رقم 2732].

(2) الجزائري، رسالة الشرك ومظاهره (ص276-282) بتصرف.

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:12]وقوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:22].

أنواع الدعاء وفي أيهما يقع الشرك.

قال ابن تيمية: "الدعاء نوعان: دعاء العبادة ودعاء المسألة وهما متلازمان، فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وكشف ما يضره ودفعه والله ﷻ هو الذي يكشف ويدفع الضر وغيره من المعبودين لا يملكون نفعاً ولا ضراً، فهو يدعو الله للنفع والضر دعاء المسألة ويدعوه خوفاً ورجاءً دعاء العبادة، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء المشركين لأوثانهم دعاء العبادة متضمن لدعاء المسألة"(1).

ودعاء المسألة غير دعاء العبادة، فدعاء العبادة يتناول كل نوع من أنواع العبادة مثل الصلاة والصيام والزكاة وغيرها من العبادات فهو دعاء عبادة، وقول ابن تيمية أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة وأن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة ودعاء المسألة معناه: أن من سأل الله فهو داعى دعاء مسألة متضمن للعبادة وأن الله يحب من عباده أن يدعوه ويسألوه(2).

كيف يقع الشرك في النوعين:

إذا دعا الإنسان أحدا غير الله في هذين النوعين فقد أشرك، فيقع الشرك في النوع الأول دعاء العبادة: إذا صرف الإنسان أي نوع من العبادة لغير الله، قال ابن عثيمين في شرك العبادة: " من صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر كفراً مخرجاً من الملة ولو ركع إنسان أو سجد لشيء يعظمه كتعظيم الله في هذا الركوع والسجود لكان مشركاً خارجاً من الإسلام " (3)

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج10/15-13) بتصرف.
(2) انظر: محمد عبد الوهاب، التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص202).
(3) ابن العثيمين، فتاوي العقيدة (ج162/2).

أما النوع الثاني: دعاء المسألة، فليس كله شرك فإن كان المدعو حياً قادراً على فعل ذلك الشيء فهو ليس بشرك، مثل قولنا اسقني ماء لمن يستطيع ،أما إذا كان المدعو ميتاً والسؤال فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا هو الشرك المخرج من الملة (1).

كذلك لو قصد اتخاذ قبور الأولياء مساجد من غير أن يقصد الدعاء عندهم فذلك محرماً منهياً عنه وصاحبه معرضاً لغضب الرب، والله ﷻ قاتل اليهود والنصارى عندما اتخذوا قبور أوليائهم مساجد، قال رسول الله ﷺ: " لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"(2)، فإذا كان هذا معرض لسخط الرب فكيف من يقصد دعاء الميت ويدعوه لقضاء الحاجات وكشف الكربات(3)، ومنهم من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويتقرب إليها ويدعوها بشتي أنواع العبادة، ثم يدعى أن هذا ليس بشرك باعتقاده أنها المدبرة له وسبب وواسطة فهذا ليس من باب الشرك، ومن المعلوم من الدين بأن هذا عين الشرك (4)

ولا تعتبر المعتزلة الشرك في توحيد الألوهية من الشرك بالله ﷻ، إلا إذا تضمن اعتقاد استقلالية المخلوق بالخلق والإيجاد أو تضمن مشاركة لله في الذات والصفات، لأن هذا التوحيد لا يوجد في أنواع التوحيد عندهم.

3- اعتقاد حق التشريع والتحليل والتحريم.

قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[يونس:59-60].

فتحليل وتحريم رزق الله ﷻ من نواقض توحيد الألوهية، وهؤلاء المشركين كانوا يحرمون على أنفسهم أنواعاً من الرزق ويحللون أنواعاً أخرى من تلقاء أنفسهم وما تمليه عليهم أوليائهم، والله ﷻ هو وحده الذي له حق التحليل والتحريم لفصل النزاع وهو حق لله وحده رب الناس وخالق الخلق، ولا يحق لأحد غيره أن يحلل ويحرم رزق الله ﷻ فهو الذي يعلم ما ينفع ويصلح لعباده، لأنه رب العباد وبحكم ربوبيته لهم يُشرع لهم وبحكم عبوديته له يقبلون أحكامه ومن أخذ

(1) انظر: المرجع السابق (ج126/2-163).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّلاَةِ/ بَابُ الصَّلاَةِ فِي البِيعَةِ، 1/ 95: حديث رقم 435].

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج166/1-167).

(4) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج227/1-228).

تشريعاً غير تشريعه ﷻ فقد أشرك بالله قال ﷻ: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:121]، فجعل ﷻ طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم الله شركاً به وكذلك من أطاع العلماء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله كما في قوله ﷻ: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:31]، فتحليل وتحريم رزق الله ﷻ من نواقض توحيد الألوهية؛ لأن ذلك لله وحده لا يشاركه فيه أحد من خلقه [1].

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[يونس:59-60].

ففي هذه الآية الخطاب لكفار مكة فيقول الله ﷻ قل يا محمد لهم أن ما أنزله الله لكم من رزق، وعبر هنا بالإنزال لأن كل ما في الأرض من ثمار وخيرات، سببها المطر النازل من السماء، فأسند إنزاله إلى الله بهذا الاعتبار، وكذلك الأنعام سبب بقاؤها على الأرض الكلأ والعشب الذي ينبت من المطر فجعلتم بعضه حلالاً على أنفسكم وبعضه حراماً كتحريم ما كانوا يحرمونه من الحرث[2] ومن الأنعام كما في قوله ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[المائدة:103]، والمقصود بالأنعام كالبحيرة[3]

---

(1) انظر: صالح الفوزان، التوحيد (ص71-73).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج111/15). البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج423/2). ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج209/11).

(3) البحيرة: أي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن والخامس ذكر نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها أي شقوها وكانت حراما على النساء لحمها ولبها وإذا ماتت حلت للنساء. انظر الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج213/2). ابن قتيبة الدينوري، غريب القرآن (ص147).

والسائبة[1] والوصيلة[2] والحامي[3]وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً كما في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[الأنعام:136] ، فمن أذن لكم في هذا التحليل والتحريم أهو الله ﷻ أم عليه تفترون.

فهؤلاء المشركين قد وضعوا لأنفسهم ديناً جديداً فحللوا على أنفسهم بعض أنواع الرزق وحرموا البعض الأخر من تلقاء أنفسهم وهذا التحريم والتحليل من أكبر علامات الانحراف في توحيد الألوهية فمن الذي أبلغكم هذه الشرائع عن الله ﷻ ولماذا قبلتموها عمن شرعها لكم ولم يكذبوه وإن كان ذلك من تلقاء أنفسهم فقد افتروا على الله بالكذب فلزمهم ما ألصقوه بالنبي ﷺ فعلق بهم وبرأ الله رسوله منه وهذا الاستدلال من الطريق المسمى بالقلب في علم الجدل[4].

فالله هو الرازق ذو القوة المتين وهو الرحمن الرحيم وهو صاحب النعم التي لا تعد ولا تحصى وصاحب الفضل في أن جعل الشرع له وحده ولم يجعل حق التحليل لغيره من المخلوقين لكي لا يتحكم أحدهما في الأخر والأصل في كل ما خلقه الله للناس من الأرزاق الإباحة وأن ما خلقه الله وسخره لنا من كافة المنافع الدنيوية فالأصل فيه الإباحة ما لم يرد نص على تحريمها، والله ﷻ كتب عليهم جريمة افتراء الكذب على الله إلى ما يكونوا عليه من سوء الحال وشدة العقاب يوم القيامة، وهو ظنوا أنهم سيتركون من غير حساب وعقاب على جريمتهم وافتراءهم الكذب على الله ﷻ فذلك تعدي على وحدانية الله ، فويل للجهلاء المقلدين الذي يحرمون على

(1) السائبة: البعير يسيب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك، وقيل هي: التي تسيب من الأنعام للآلهة لا يركبون لها ظهرا ولا يحلبون لها لبنا ولا يجزون منها وبرا ولا يحملون عليا شيء. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج592/1).

(2) الوصيلة: هي من الغنم إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء وإن كانت أنثي تركت في الغنم، وإن كان ذكرا وأنثي قالوا قد وصلت أخاها فلم تذبح لمكانها وكانت لحومها حراما على النساء ولبن الأنثى حراما على النساء إلا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء. انظر: ابن قتيبة الدينوري، غريب القرآن (ص147).

(3) الحام: الفحل الذي ركب ولد ولده ويقال إذا أنتج من صلبه عشرة أبطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ و ماء . انظر: ابن قتيبة الدينوري، غريب القرآن (ص147-148).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج207/11-208) بتصرف.

الناس ويحللون لهم بالتقليد وإتباع الهوى والرأي في الدين، فمن اعتقد أن ذلك بغير الله وأن المخلوق هو الذي يرزق ويحلل ويحرم فهو مشرك وأخل بتوحيد الألوهية(1).

وقد عده محمد عبد الوهاب(2) من نواقض الإسلام العشرة فقال: "من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر"(3).

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين أن سورة يونس عليه السلام قد تحدثت عن بعض نواقض توحيد الألوهية وقد أطالت في الحديث عنها وفي هذا المطلب بينت تلك النواقض بشيء من التفصيل ومنها الكفر والفسق والشرك واعتقاد أن التحريم والتحليل بيد غير الله ﷻ وبينت أنواع الشرك الثلاثة التي وقع فيها المشركون في ذلك الوقت وعبادتهم للأصنام والأوثان من دون الله مع ذكر الأدلة على ذلك من سورة يونس عليه السلام.

---

(1) انظر: محمد حجازي، التفسير الواضح (ج73/2). محمد رضا، تفسير المنار (ج336/11-337).

(2) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي زعيم النهضة الإصلاحية، ولد سنة1115هـ ولد ونشأ في العيينة بنجد ، ورحل مرتين إلى الحجاز ثم مكث في المدينة، نهج منهج السلف ومحاربة البدع ودعا إلى التوحيد الخالص، له مصنفات عديدة أغلبها رسائل منها: كتاب التوحيد ورسالة كشف الشبهات والمسائل التي خالف فيها الرسول ﷺ أهل الجاهلية. انظر: الزركلي، الأعلام (ج256/6-257).

(3) انظر: محمد عبد الوهاب: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (ص386).

المبحث الرابع

توحيد الأسماء والصفات بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

سورة يونس عليه السلام من السور المكية التي تناولت الحديث عن النوع الثالث من أنواع التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، وهذا النوع له أهمية كبيرة من بين أنواع التوحيد عند السلف، ولعله من أكثر الأنواع اهتماماً عند المعتزلة فهم خاضوا في الحديث عنه وأكثروا من الحديث عنه في مؤلفاتهم وغالوا في استخدام العقل فيه، وفي هذا المبحث سأتناول الحديث عن أسماء الله وصفاته الواردة في السورة، مبينة منهج السلف ومنهج المعتزلة في توحيد الأسماء والصفات، مع بيان بعض نواقضه والله أسأل التوفيق والسداد.

المطلب الأول: تعريف الاسم والصفة لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة.

أولاً: تعريف الاسم والصفة لغةً.

أ – الاسم لغةً:

ألفه ألف وصل، فإذا صغرته قلت سُمَي، وتقول العرب هذا اسم وتلك سم، وسَمُه و سِمُه وسُمُه وسُماه، أي علامته والاسم مشتق من السمو وهو الرفعة والأصل فيه سمو بالواو وجمعه أسماء [1]، وهو ما يعرف به الشيء ويستدل به عليه [2]، وهو "حروف منظومة دالة على معنى مفرد"[3].

ب – الصفة لغةً:

"الواو والصاد والفاء أصل واحد وهو تحلية الشيء ووصفته، أصفه وصفا والصفة الأمارة اللازمة للشيء"[4]، ووصف الشيء أي نعته وتحليته فاتصف به أي صار موصوفاً أو متواصفاً، والصفة الحلية، والوصف والنعت مترادفان[5].

والصفة هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، ويميزها عن غيرها وبها يعرف الموصوف كالبياض والسواد، والعلم والجهل[6].

---

(1) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج79/13). ابن منظور، لسان العرب (ج401/14).

(2) انظر: إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط (ج452/1).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج189/6).

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج115/6).

(5) انظر: الزبيدي، تاج العروس، (ج459/24). إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط (ج1037/2).

(6) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص133).

ثانياً: تعريف الاسم والصفة اصطلاحاً.

أ – تعريف الاسم اصطلاحاً عند السلف.

قال ابن تيمية رحمه الله:" وأسماء الأشياء هي الألفاظ الدالة عليها وليس هي أعيان الأشياء"(1)، وقال ابن قيم الجوزية: هو "اللفظ الدال على المسمى"(2).

والاسم هو: "ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة وهو ينقسم إلى اسم عين وهو الدال على معنى يقوم بذاته كزيد وعمر، وإلى اسم معنى وهو ما لا يقوم بذاته سواء كان معناه وجودياً كالعلم أو عدمياً كالجهل"(3)، والمسمى: هو الشيء الموجود في الأعيان والأذهان، والتسمية: فعل المسمى ووضعه الاسم للمسمى(4).

ب – تعريف الاسم اصطلاحا عند المعتزلة.

الأسماء والصفات عند المعتزلة هي أقوال وكلام دالة على المسميات فقول الله أنه عالم قادر حي أسماء لله وصفات له(5)، قال القاضي عبد الجبار: "اعلم أن الاسم إنما يصير اسماً للمسمى بالقصد ولولا ذلك لم يكن بأن يكون اسماً له أولي من غيره، وهذا معلوم من حال من يريد أن يسمي الشيء باسم؛ لأنه إنما يجعله اسماً له بضرب من القصد والإرادة...."(6)، ويتضح ذلك مما قالته عائشة المناعي: "أن القاضي عبد الجبار يحاول أن يتوصل إلى أن المسِّمى هو الذي يعطي الاسم للمُسَّمى، وليس هناك علاقة طبيعية أو علاقة مباشرة بين الاسم وبين موضوعه المسمى به، وأن الارتباط بين الاسم والمسِّمى أي وضعه الاسم واختراعه له، وبدون هذا القصد لا يرتبط الاسم بالمسمى ولا يكون استحقاق المسمى لاسم معين أولى من استحقاقه لاسم أخر"(7)

ونقل عن الجبائي أنه يزعم أن "التسمية هي الاسم وهي قولنا الله عالم قادر"(8).

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج195/6).

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج16/1).

(3) الجرجاني، التعريفات (ص24).

(4) انظر: محمد التميمي: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص274).

(5) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج158/1).

(6) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج160/5).

(7) عائشة المناعي، أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الامامية (ص146)

(8) الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج388/2).

ويرى المعتزلة أن أسماء الله حروف حادثة مخلوقة وأسماء الله غيره؛ لأنها مخلوقة[1]، والاسم عند المعتزلة: "هو التسمية بمعنى أنها هي نفس الأقوال المؤلفة من الحروف الدالة والاسم هو نفس المدلول فجعلوا التسمية هي الاسم والاسم غير المسمى"[2]، فهم استغلوا الفرق بين الاسم والمسمى فعبروا بلفظة غير ومرادهم من ذلك أن الله كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسماً أو حتى سماه خلقه بأسماء من عندهم، فعند المعتزلة أن أسماء الله غيره[3].

قال القاضي عبد الجبار: "اعلم أن جميع ما ذكرناه في الدلالة على حسن إجراء الأسماء على المسميات من غير إذن يدل على حسن إجرائها على القديم تعالى من غير إذنه؛ لأنا إذا علمناه بالعقل وعلمنا ما يستحقه من الأوصاف وعلمناه فاعلا لما أحدثه لم يمتنع أن تجري عليه من الأسماء ما يفيد ما هو عليه في ذاته وما أوجده من فعله"[4].

الخُلاصة:

وهذا يعنى أن إطلاق الأسماء والصفات على الله ﷻ غير متوقف على النقل، بل هو اجتهادي وفق ما دل عليه المعقول، وهذا مخالف لما عليه السلف، فالاسم عند المعتزلة يدل على الذات، فأسماء الله عند المعتزلة تدل على الذات ولا تحمل معنى غيره فهي فارغة من المعانى وهذا هو معتقدهم إثبات أسماء مجردة دون الصفات، وهدف المعتزلة من وراء ذلك التمهيد لنفى الصفات الإلهية.

الرد على المعتزلة في مسألة الاسم و المسمى.

قال الإمام الطبري: "القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى؛ فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع ولا قول من إمام فيستمع، فالخوض فيه شين، والصمت عنه زين، وحسب امرئ من العلم به والقول فيه أن ينتهى إلى قوله ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾ [الإسراء:110]

وقوله ﷻ: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: 180] ، ويعلم أن ربه هو الذي على

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج186/6).

(2) الجرجاني، شرح المواقف (ج230/8).

(3) انظر: محمد التميمي، معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى(ص267).

(4) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج179/5).

العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر وضل وهلك"[1].

وقال الأصمعي [2] : "من قال أن الاسم غير المسمى فاحكُم أو أشهد عليه بالزندقة فلفظهما سواء"[3].

والإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله فصلَ في هذه المسألة فقال:" فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا واستوى الله على عرشه وسمع الله ورأى وخلق فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي والرحمن من أسماء الله وزنه فعلان والرحمن مشتق من الرحمة ونحو ذلك فالاسم ههنا للمسمى ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله ﷻ كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسماً أو سماه خلقه بأسماء من وضعهم فهذا من أعظم الضلال والإلحاد"[4].

يتضح مما سبق ومن مجموع تلك الروايات أن السلف منهم من اكتفى بالصمت وعد ذلك من الحماقات ومنهم من خاض بها لدحض شبهات المتكلمين وقالوا أن أسماء الله غير مخلوقة، وأن الاسم غير المسمى على إطلاقه باطل ولم يقل أحد من السلف أن الاسم هو المسمى وقد أحسن ابن قيم الجوزية في بيانه العلاقة الوثيقة بين الاسم والمسمى اتصالاً وانفصالاً.

ثالثاً: تعريف الصفة عند السلف والمعتزلة.

أ – تعريف الصفة عند السلف.

الصفة هي الشيء الذي يوجد بالموصوف أو يكون له علامة ووصف يكسبه الوصف الذي هو النعت الذي يصدر عن الصفة[5]، والصفة ما قام بالذات لكي يميزها عن غيرها من

(1) الطبري، صريح السنة (ص26).

(2) الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع بن مظهر بن رباح بن عمرو المعروف بالأصمعي الباهلي، أحد أئمة العلم وصاحب لغة ونحو، ولد بالبصرة سنة 122هـ كان كثير التطواف في البوادي ويقتبس علومها وأخبارها، وتوفي سنة216هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (162/4).ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج170/3- 175).

(3) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج232/2).

(4) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص514).

(5) انظر: الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل (ص244).

أمور ذاتية مثل الوجه، وأمور معنوية مثل العلم والإرادة، وأمور فعلية مثل النزول والاستواء[1]، والمقصود بالصفات هنا "ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها ووردت به نصوص الكتاب والسنة، وإضافة الصفة إلى الله أي ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به، فالله لا يتصف إلا بما قام به لا بما يخلقه بغيره، فإن كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به لا بما هو مباين له"[2].

من خلال ما سبق يتبين أن هناك علاقة وارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للصفة فهي الإمارة وما يوجد في الاسم من صفات تدل عليه وتخصه دون غيره، فالاسم والصفة لا ينفكان.

ب – تعريف الصفة عند المعتزلة.

الصفة عند المعتزلة هي: "وصف الواصف ولم يكن في الأزل واصف والاسم عندهم التسمية ولم يكن في الأزل اسم"[3]، أي أن الله لم يكن في الأزل اسم ولا صفة [4]، وذهبت المعتزلة إلى أن "الصفة هي نفس الوصف والوصف خبر المخبر عمن أخبر عنه بأمر ما، كقوله إنه عالم أو قادر وأنه لا مدلول للصفة والوصف هنا، وإذا ثبت أن الوصف هو القول والإخبار فالعرب تقول الوصف والصفة بمعنى واحد كالوجه والجهة وغيرها، وإذا كان الوصف هو القول فالصفة أيضاً هي القول"[5].

ونقل عن الجبائي أنه زعم أن " الوصف هو الصفة" [6] والمعتزلة القدرية إدعت أن الصفة ليست بمعنى أكثر من الوصف، فالعلم هو العالم فهم جعلوا الصفة والوصف شيء واحد[7]، فالصفة عند المعتزلة ليست حقيقة في الذات بل هي الذات نفسها ويعبر عنها بصفة وتارة بصفة أخرى[8].

---

(1) انظر: محمد التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص31).

(2) محمد التميمي، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها (ص12)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج318/6).

(3) الاسفرايني، التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية (ج63/1).

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص13).

(5) الآمدي، أبكار الأفكار في أصول الدين (ج437/1).

(6)الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج388/2).

(7) انظر: القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج102/1-103). الباقلاني، التمهيد (ص219).

(8) انظر: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص111).

الرد على المعتزلة ومناقشتهم بقولهم أن الوصف هو الصفة وعدم التفريق بينهما.

من خلال التعريف السابق للمعنى اللغوي والاصطلاحي تبين أن هناك فرقا بين الصفة والوصف وأن الوصف غير الصفة وهذا هو مذهب السلف التفريق بينهما، والصفة غير الموصوف [1] ، لكن المعتزلة لم يفرقوا بينهما وجعلوا الصفة هي الوصف وهذا باطل لما دل عليه المعنى اللغوي والاصطلاحي، ومنهج السلف هو الصواب في تلك المسألة، قال ابن تيمية رحمه الله: " والذي عليه السلف إذا قيل لهم علم الله ﷻ وكلامه هل هو غير الله أم لا؟ لم يطلقوا النفي ولا الإثبات، فإنه إذا قيل لهم غيره أوهم أنه مباين له، وإذا قيل ليس غيره أوهم أنه هو بل يستفصل السائل؟ فإن أراد بقوله غيره أنه مباين له منفصل عنه وإن كان مخلوقا فكيف بصفات الخالق؟ وإن أراد بالغير أنها ليست هي هو فليست الصفة هي الموصوف فهي غيره بهذا الاعتبار"[2]، فمن خلال قول ابن تيمية يتضح أن الصفة ليست هي الذات.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الأسماء والصفات عند السلف والمعتزلة

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات عند السلف.

توحيد الأسماء والصفات هو العلم والاعتقاد بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير منزه عن كل عيب ونقص، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة سميع بصير على العرش استوى له الأسماء الحسنى والصفات العلى التي نثبتها له كما يليق بجلاله وعدم التعرض لها بتحريف أو تعطيل ونفى ما نفاه الله عنه واعتقاد كمال ضده له سبحانه وأن صفاته لا تماثل صفات المخلوقين[3].

وهو أيضاً أن يوصف الله ﷻ بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفته به رسله ﷺ نفياً وإثباتاً فنُثبت لله ما أثبته لنفسه وننفي عنه ما نفاه عن نفسه [4].

وقال ابن قيم الجوزية: "التوحيد العملي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله ﷻ وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيه عن صفات النقص، وأن يوصف الله بما وصف

---

(1) انظر: الباقلاني، التمهيد (214).

(2) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (ج297/3).

(3) انظر: أحمد بن إبراهيم بن عيس، الرد على شبهات المستعينين بغير الله (ص25). عبد الله الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية (ص96).

(4) انظر: ابن تيمية، التدمرية (ص7).

به نفسه من غير تحريف لا تعطيل ولا تمثيل بل نثبت له الأسماء والصفات وننفى عنه مشابهة المخلوقات"(1)، وقد جمع الله بين إثباتها ونفي التكيف عنها في قوله ﷻ : ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾[الشوري:11]، وقوله ﷻ: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير﴾[الانعام : 103].

يتبين مما سبق: أن توحيد الأسماء والصفات هو من أنواع التوحيد الخبري الاعتقادي، ويتضمن الإيمان بأن لله ﷻ أسماؤه الحسنى وصفاته العلى نثبتها له كما أثبتها لنفسه وعلى لسان رسوله، من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

ويرى السلف أن توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس هي:

الأول: تنزيه الله ﷻ عن مشابهة المخلوقين وعن أي نقص.

الثاني: الإيمان بالأسماء والصفات كما جاءت في القرآن والسنة دون زيادة أو نقصان أو تحريف أو تغيير أو تبديل.

الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات فنثبتها كما جاءت دون كيف(2).

ويستدلون عليها من القرآن والسنة والعقل كما يأتي:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم .

1 – قال الله ﷻ: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ [الأعراف:180]، فأخبر الله ﷻ بأن له أسماء حسنى وأمرنا أن ندعو بها، ثم أوعد وهدد من ألحد في تلك الأسماء، والإلحاد في أسماء الله وصفاته هو: العدول والميل بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وهو أنواع منها أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، وتسميته بما لا يليق به كتسمية النصارى له أباً، وتشبيه صفاته ﷻ بصفات المخلوقين، ووصفه بما يتعالى ويتنزه عنه ﷻ كقول اليهود أنه فقير، وأخطر هذه الأنواع هو تعطيل الأسماء عن معانيها وصفاتها كما فعلت المعتزلة التي قالت أن

---

(1) ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية (ج93/2). نفس المؤلف، مدارج السالكين (ج85/2).

(2) انظر: محمد ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص15–16).

أسماء الله ألفاظ مجردة لا تدل على صفات ولا على معانى فقالوا سميع بلا سمع، وهذا أعظم الإلحاد عقلاً وشرعاً ولغةً [1] .

2 – قوله ﷻ: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾[الشوري:11]، فهذه الآية كافية في الدلالة على أن لله أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأن ليس لها شبيه وأنه منفرد في هذه الأسماء والصفات ولا يماثلها شيء وله المثل الأعلى، قال ابن أبي العز الحنفي:" اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به المعنى الصحيح وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات ولا يماثله شيء من المخلوقات من صفاته"[2]

3 – قوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد اللَّهُ الصَّمَد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد﴾[الإخلاص]، قال البيضاوي[3] في معنى أحد: أحد بدل أو خبر ثاني يدل على جميع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال إذ الواحد الحقيقي ما يكون عن منزه الذات وعن التعدد وما يستلزم كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية [4]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد﴾ أي لم يكن له ما يماثله ولم يكن له شبيه ولا ند سواء في أسمائه أو في صفاته ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو ولد[5].

---

(1) انظر: محمد الجامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه (ص360). ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج54/1). نفس المؤلف، بدائع الفوائد (ج169/1-170).

(2) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص46).

(3) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي قاضي مفسر علامة، ولد في المدينة البيضاء في فارس وتوفي في تبريز سنة685، له تصانيف عديدة منها أنوار التنزيل وأسرار التأويل. انظر: الزركلي، الأعلام (ج110/4).

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج347/5) بتصرف.

(5) انظر: المرجع السابق (ج347/5).

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية.

1- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: "بِاسْمِكَ نَمُوتُ وَنَحْيَا"، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "[1].

2- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ"[2].

3- وأيضا ما روته عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟"، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ"[3].

وهناك العديد من الأحاديث النبوية في كتب السنة تدل على وحدانية الله في أسمائه وصفاته وأنه لا مثيل له ولا يشبه أحد من المخلوقات.

ثالثاً: الأدلة العقلية الدالة على توحيد الأسماء والصفات.

1- إن هذه المخلوقات العظيمة على تنوعها واختلافها وانتظامها في أداء مصالحها وسيرها في خططها المرسومة لها تدل على عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته

2- النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ومن استجابة الدعاء وتفريج الكربات وإزالة الهموم وكشف الضر هذا يدل على الرحمة وأن الله مطلع على عباده.

3- العقاب ومجازاة الإنسان على عمله والانتقام من العصاة والظالمين يدل على غضب الله لهم وكراهيته وبغضه لهم، أيضاً العكس من إكرام المؤمنين والطائعين والرضا عنهم ليدل على محبته لهم[4].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد/ باب السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا، 9/ 119 حديث رقم 7395].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد/ باب إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا، 9/ 118: حديث رقم 7392].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد/باب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، 9/ 115: حديث رقم 7375].

(4) انظر: صالح الفوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر (ص62).

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات يقدح فيه عدة أمور، وهو ما يعرف بالنواقض وهي.

1- **التشبيه:** أي: تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين، وهو نوعان: الأول وهو ما ادعته النصارى وشبهوا المسيح عيسى ابن مريم بالله ﷻ ، وكذلك ما ادعته اليهود وشبهوا العزيز بالله ﷻ، والمشركين كما ورد في سورة يونس ؑ وادعوا الأصنام أنها آلهة وشبهوا بالله ﷻ، أما النوع الثاني فهو ما ادعته المشبهة وقالوا بتشبيه يد الله ﷻ بأيدي المخلوقين وكذلك سمعه ووجه وقس على ذلك باقي الصفات. [1]

2- **التحريف:** "هو الميل بالنصوص عما هي عليه إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها" وأما ما يخص الأسماء والصفات فهو" تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله ﷻ بها"[2]، وهذا التحريف ينقسم إلى نوعين، الأول: تحريف باللفظ بزيادة أو نقص، كقول الجهمية والمعتزلة في استوى استولى، والثاني: تحريف بالمعنى وإبقاء اللفظ على حاله لكن يتغير معناه كتفسير المعتزلة الغضب بإرادة الغضب، والمحبة بإرادة الإنعام[3].

3- **التعطيل هو:** "نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله ﷻ"[4]، أي: هو إنكار ما يجب لله ﷻ من الأسماء والصفات وهو نوعان: الأول هو تعطيل كلي، كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الصفات وبعضهم ينكر الأسماء والصفات، والثاني: هو تعطيل جزئي، وهم الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض[5] فالتعطيل جحد وإنكار لأسماء الله ﷻ وصفاته العلى.

4- **التكييف:** هو إثبات كيفية الصفة كقول القائل كيفية يد الله، أو استواء الله على عرشه كيفيته كذا وكذا[6].

---

(1) انظر: عبد العزيز السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص25). محمد ياسين، الإيمان (ص18).

(2) محمد التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص59).

(3) انظر: عبد العزيز السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص23).

(4) محمد ياسين، الإيمان (ص19).

(5) انظر: محمد بن عثيمين، فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص18-19).

(6) انظر: المرجع السابق (ص19). محمد بن العثيمين، مذكرة على العقيدة الواسطية (ص3).

كذلك يدخل ضمن نواقض توحيد الأسماء والصفات إثبات صفات لله ﷻ نفاها الله عن نفسه، كإثبات الولد له ﷻ، أو نفى صفات أثبتها الله لنفسه كنفى علمه واستواءه وسمعه وبصره[1]، وأيضاً الإلحاد في أسمائه وصفاته ﷻ من نواقض توحيد الأسماء والصفات[2]

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات عند المعتزلة.

خاضت المعتزلة كثيراً في الحديث عن هذا النوع من أنواع التوحيد، واعتبروا هذا الباب من أهم أبواب العقيدة، فالمعتزلة أجمعت على نفي صفات البارئ ﷻ ويهدفون من وراء ذلك التوحيد المطلق، ونفى المعتزلة للصفات مترتب على رأيهم في التوحيد وبعد ذلك اختلفوا في نفيها فبعضهم كان مذهبه واضح في نفيها بصراحة، بحجة أن إثباتها يستلزم وجود إلهين أزليين وهذا مذهب واصل بن عطاء، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص وصف له لشاركته في الإلهية[3]، فالنفي عند المعتزلة مفصل بينما الإثبات مجمل[4] ومنهم من كان مذهبه كأبي علي الجبائي وأبي هذيل [5] إلى أن الله يستحق الصفات لذاته والصفات هي الذات فعلمه هو هو، وقدرته هي هي وهكذا في سائر الصفات أي أثبتوها اسماً ونفوها فعلاً فلا حقيقة لها وهي منفصلة عن الذات [6]،ومنهم من جعل الصفات تعود إلى معنى السلب بمعنى نفى نقيضها [7]، وكان مذهب أبو هاشم أنها يستحقه لما هو عليه في ذاته، مثل قولنا عالم بذاته أي أنها أحوال وراء الذات[8]،ومن زعم أن لله علماً وقدرة فقد زعم أنه جسم مركب؛ لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز وكل متحيز فهو جسم مركب ومن قال بذلك فهو متشبه [9]وقال الشهرستاني: "والمعتزلة لا ينكرون الصفات كوجوه واعتبارات عقلية لذات واحدة، ولكنهم

---

(1) انظر: محمد ياسين، الإيمان (ص158).

(2) انظر: الأثري، الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص287).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص105). الشهرستاني، الملل والنحل (ج1/44-46).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج6/515).

(5) أبو الهذيل: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي مولي عبد القيس البصري العلاف، متكلم ومن أكبر علماء المعتزلة كان شيخ البصريين في الاعتزال، صاحب التصانيف ولد سنة 135هـ، وتوفي سنة 235هـ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج4/265-267). الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (ج10/542-543).

(6) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (182-183).

(7) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج1/137).

(8) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص182). الشهرستاني، الملل والنحل (ج1/82).

(9) انظر: ابن تيمية، الفتوي الحموية الكبرى (ج1/540).

ينكرون صفات هي ذوات موجودات أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى فإنها إذا كانت موجودات وذوات وراء الذات فإما أن تكون عين الذات، وهو مذهب المعتزلة، وإما أن تكون غير الذات..."[1]، إذن المعتزلة يثبتون الأسماء دون الصفات ولا علاقة للأسماء بالصفات، وشبهتهم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه[2]، ورد المعتزلة الصفات؛ لأنه لو قامت الحوادث بذاته لاتصف بها بعد أن لم يتصف بها ولو اتصف لتغير والتغير دليل الحوادث فتكون الذات حادثة في صفاتها وهذا لا يتفق مع كمال ذاته تعالى[3]، فالصفات عندهم أعراض حادثة ولا تقوم إلا بجسم حادث، وما قامت به الحوادث فهو حادث [4]، فعقيدة المعتزلة في الصفات مقتبسة عن الفلسفة اليونانية فكان هؤلاء يقولون أن الله واجب الوجود بذاته وأنه واحد من كل وجه [5]

الرد على المعتزلة في نفيهم للصفات.

1 – إن الله ﷻ سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات، وإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه فإثبات الأسماء أيضاً يستلزم التشبيه، وإن كان خلاف ذلك عندكم فهذا تناقض في المنهج فإما أن تثبتوا الأسماء والصفات معاً أو تنفوها معاً.

2 – أن كل موجود لا بد له من صفة ولا يمكن وجود ذات مهما كانت مجردة عن الصفات، والله ﷻ له الصفات العلى واللائقة بجلاله ﷻ، وقولهم أنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم فهذا باطل؛ فإن من الأشياء ما يوصف بجسم وهو ليس بجسم مثل قولنا(ليل طويل)[6]، قال البيهقي:" نعتقد في صفات ذاته أنها لم تزل موجودة بذاته ولا تزال ولا نقول فيها أنها هو ولا غيره ولا هو هي ولا غيرها"[7].

3 – يقال للمعتزلة أن اتفاق الأسماء لا يوجب التماثل، فالله ﷻ سمى نفسه بأسماء وسمى مخلوقاته بأسماء وشتان بين الخالق والمخلوق[8]، قال القرطبي: "فالله ﷻ ليس كذاته ذات ولا

(1) الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام (ص193).

(2) انظر: محمد الخميس، الرسالة التدمرية (ص99).

(3) القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص109–110) بتصرف.

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص93).

(5) انظر: زهدي جار الله، المعتزلة (ص61).

(6) انظر: محمد بن العثيمين، تقريب التدمرية (ص29–31).

(7) البيهقي، الأسماء والصفات (ج276/1–277).

(8) انظر: ابن تيمية، التدمرية (ص21–22).

كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة كما استحال أن يكون للذات الحديثة صفة قديمة"[1].

4 – من المعلوم في اللغة والعقل والبديهة أنه ليس معنى كون الشيء عالماً هو معنى قادراً، ولم يجعلها نفس ذاته هو نفس عالماً قادراً فمن جوز أن يكون الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة وقوله متناقض، وقول إن الله عليم بلا علم قول متناقض ومخالف للسان العربي؛ لأن المشتق دال على المعنى المشتق منه فهم قد ثبتوا الْمُشْتَقّ بدون الْمُشْتَقّ منه فراراً من تعدد القدماء مع الله ﷻ [2].

5 – إن القرآن الكريم مملوء بذكر صفات الله ﷻ والسلف الصالح وخاصة القرون الأولى منهم هم أفصح الأمم وأحرصهم على معرفة دينهم، فهم كانوا يسمعون كلام الله ﷻ فلا تكاد تخلو سورة ولم يذكر فيها صفاته، ولم يذكر أنه قد استشكل عليهم شيئاً منها، لعلمِهم بأن معناها على ظاهرها كما يليق بذاته ﷻ ولو كان خلاف ذلك لورد ذلك عنهم[3]

6 – قولهم الصفة زائدة عن الذات أو هل هي غير الذات أم لا؟ يقال لهم أن أريد بقولكم بأن الصفة غير الذات أو زائدة على الذات وأن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الذات فهذا غير صحيح، وأن أريد بها بمعنى أن للذات معني غير معنى الصفة ومفهوم الصفات زائد على مفهوم الذات ولا تنفك عنها فهذا صحيح[4].

المطلب الثالث: طريقة إثبات الأسماء والصفات عند السلف والمعتزلة.

أولاً: طريقة السلف في اثبات الأسماء والصفات .

إن منهج السلف رحمهم الله في باب الأسماء والصفات منهج سديد مبني على العلم والحكمة والسداد في الاعتقاد؛ لأنه مأخوذ من أدلة الكتاب والسنة المؤيدة للعقل الخالية من الشبهات[5]، فهو مبني على إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ، وإنما خاضوا في الحديث

---

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (ج9/16).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (24/3). محمد الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص99). مرعي الحنبلي، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والمحكمات والمتشابهات (ص67).

(3) انظر: ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص57– 58).

(4) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة (ج2/487–489).

(5) انظر: محمد الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص70).

في باب الأسماء والصفات للرد على المتكلمين الذين نفوا الصفات وقاموا بتأويلها خوفاً من التشبيه فوقعوا في التعطيل.

قال ابن تيمية رحمه الله: "طريقة السلف في باب الأسماء والصفات أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً، فَيُثْبِتُ لله ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد عُلِمَ أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد في أسمائه ولا في آياته"[1].

وقال ابن قدامة[2]: "ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها، ولا تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها"[3]

وهذا معناه الاكتفاء بالكتاب والسنة في إطلاق الأسماء والصفات على الله ﷻ، وفي حالة الرد على المخالفين فإن السلف وضعوا قواعد للرد على هؤلاء وتأكيداً لما جاء في الكتاب والسنة.

ومن هذه القواعد ما ردوا به على المعتزلة في نفيهم أسماء الله وصفاته:

1- الاتفاق في الاسم لا يعنى الاتفاق في المسمى .

في بعض الأحيان قد تتفق صفات الله ﷻ بصفات المخلوقين في الاسم واللفظ، ومعلوم أن صفات المخلوقين تختلف عن صفات الله ﷻ فالاتفاق في الأسماء لا يقتضي الاتفاق في المسميات، فقد سمى الله ﷻ نفسه سميعاً، عليماً، قديراً، وغيرها من المسميات، وسمى بعض مخلوقاته بمثل هذه المسميات كما في قوله ﷻ : ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان:2] ، ومعلوم أنه لا تماثل بين السميعُ والسميعَ، فصفات الله ﷻ لائقة بجلاله وكمال عظمته، ولا يجوز لأحد

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج3/3).

(2) شرف الدين أبي الفضل الحسن شرف الدين أبي بكر بن عبد الله بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، قاضي الجبل وابن قاضيه مولوده في التاسع من شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وتوفي في ثالث عشر من رجب سنة احدي وسبعين وسبعمائة بالجبل، انظر، محمد عبد الله الشافعي، الرد الوافر (ج77/1).

(3) المقدسي، ذم التأويل (ص11).

أن ينفيها بحجة التنزيه؛ فيجب إثباتها دون تشبيه بصفات المخلوقين، ويكفي أن الله أخبر عن نفسه بصفات مدح لا نقص فيها بل هي صفات كمال كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:54][(1)].

2 – القول في الصفات كالقول في الذات.

فالله ﷻ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإذا كان له ذات حقيقية فهي لا تشبه ولا تماثل الذوات فذات الله حقيقية ومتصفة بصفاتها التي لا تماثل سائر الذوات[(2)]، فالصفات والذات من باب واحد فكما أننا نثبت ذات الله ﷻ إثبات كيفية مكيفة محدودة، كذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات وإيمان ووجود لا إثبات كيفية وتحديد[(3)]، "وإذا كانت نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى فهي غير معلومة لنا باعتبار التي هي عليها" [(4)] ، وقال ابن تيمية رحمه الله : " وجماع القول بما كان عليه السلف ... فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فمن نفى صفاته كان معطلاً" [(5)].

3 – القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الأخر.

من الأصول التي يقوم عليها منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات القول في بعض الصفات كالقول في البعض الأخر، فكما أن الله ﷻ عليم، حكيم، حي، قدير، وهذه كلها صفات حقيقية، وكذلك محبته ورضاه وغضبه وكراهيته نؤمن بها على وجه الحقيقة [(6)] لا المجاز[(7)]،

---

(1) عثمان ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص240–241) بتصرف.

(2) انظر: ابن تيمية ، التدمرية (ص43).

(3) محمد الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص38) بتصرف.

(4) عثمان ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص241).

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج515/6).

(6) الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، ويفيد اللفظ المطلق والمعني مجرداً عن القرينة ولا يصح نفيها، انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج96/7– 100). ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص299).

(7) المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ولا يفيد المعنى إلا بقرينة دالة عليه، ويجوز نفيه. ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج96/7–100). ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص364)

فحياة الله لا تشبه حياة المخلوقين، وعلم الله لا يشبه علم المخلوقين، وغضبه لا يشبه غضب المخلوقين، وهكذا في باقي الصفات، فينبغي أن نؤمن بصفات الله كلها على ما يليق به وبعظمته دون تشبيه(1)، وقال حافظ الحكمي: "جل عن أن يشبه الأنام في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله؛ لأن الصفات تابعة لموصوفها فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات"(2) .

وطريقة السلف في الإثبات إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فالإثبات عندهم مفصلاً كما في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم﴾[يونس:107]، وأيضاً قوله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُون هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم﴾[الحشر: 22-24]،فأسماء الله وصفاته يكون منصوصاً عليها لا مجملة في لفظ عام(3)، أما النفي فهو عندهم نفى ما نفاه الله ﷻ عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ مع اعتقاد ثبوت كمال ضد الصفة المنفية وكل ما نفاه الله ﷻ عن نفسه هي صفات نقص تنافي كمال ضده، فالنفي عندهم مجمل كما في قوله ﷻ: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾ [الشورى:11]، والنفى المجمل هو "الذي لا يتعرض فيه لنفي عيوب ونقائص معينة؛ لأنه نفي للمماثلة في جميع الصفات فلم يقل ليس كمثله شيء في علمه أو قدرته"(4) وقد يأتي النفى مفصلاً كما في قوله ﷻ ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة:225] ، كما أنه يأتي الإثبات مجملاً كما في قوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾ [الفاتحة:2]، كما أنهم لا يصفون الله بالنفي المحض فيثبتون ضد الصفات المنفية كما قال ﷻ: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[الكهف:49]، فهم يثبتون كمال عدله وهناك العديد من الآيات

---

(1) انظر: عثمان ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص242).

(2) حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج209/1).

(3) انظر: عبد الله الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية (ص88). محمد الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص74). ابن تيمية، التدمرية (ص12).

(4) محمد الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص77).

التي تدل على ذلك، والله ﷻ جمع بين النفي والإثبات في قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11][1]، فالله ﷻ منزه عن صفات النقص كالسنة والنوم والعجز والكسل، متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، وأما فيما لم يرد فيه نفى ولا إثبات وتنازعت الفرق الإسلامية فيه كالجسم والحيز والجهة، فطريقة السلف فيها التوقف في لفظه فلا يثبتوه ولا ينفوه لعدم وروده أما معناه فيفصلون فيه إن كان موافق لما في القرآن والسنة قبلوه وإلا فهو باطل، وهي الطريقة الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل[2] وفي هذا قال الإمام أحمد: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث"[3].

الخُلاصة:

منهج السلف قام على قواعد مثلى دلت عليها نصوص الكتاب والسنة فتميز منهجهم بموافقته لصحيح المنقول وصريح العقل مع سلامته من التناقض والاضطراب، منها أنها قائمة على الإيمان والتسليم بما ورد في الأسماء والصفات الثابتة في القرآن والسنة النبوية دون زيادة أو نقصان، وعلى أنها توقيفية لا اجتهاد فيها، وأن كل اسم من أسمائه دال على جميع الصفات إما بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام، وأسماء الله ﷻ وصفاته كلها كاملة وحسنى وهي صفات مدح وكمال، وأسمائه أعلام وأوصاف وهي غير محصورة في عدد معين نثبتها بلا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، وأسماء الله إن دلت على وصف متعد فإنها تضمن ثبوت الاسم والصفة التي دلت عليها وثبوت حكمها ومقتضاها[4].

ثانياً: طريقة المعتزلة في نفي صفات الله ﷻ.

الاستدلال بالعقل على اثبات الأسماء والصفات.

المعتزلة من المتكلمين الذين يقررون مسائل العقيدة عن طريق الأدلة العقلية ومنهجهم تقديم العقل على النقل، وهذه سمة واضحة عند المتكلمة عامة فهم يقدمون العقل على النقل

(1) انظر: محمد الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص77).

(2) انظر: عبد الله الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية (ص90). ابن تيمية، منهاج السنة (ج523/2).

(3) فالح الدوسري، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (ج25/1).

(4) انظر محمد بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص10-13). محمد الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص70-77).

ويمجدونه ويعتبرونه المصدر والمعيار الأول في قبول ورد النصوص، ويعتبرون إمكانية الوصول إلى الحق عن طريق تقديم العقل على النقل، فالعقل عندهم يفيد اليقين فقال القاضي عبد الجبار في ذلك:" الدلالة أربعة: حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل"[1]، فالمصادر الأخرى من قرآن وسنة وإجماع هي مصادر ثانوية يأخذ بها استئناساً وهي ظنية الدلالة ويعتبرها حجة لكنه قدم العقل عليها.

قال القاضي عبد الجبار في بيان ذلك:" أولها دلالة العقل؛ لأن به يميز بين الحسن والقبيح ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والإجماع" [2]ويبين القاضي عبد الجبار سبب تقديم العقل على النقل فيقول:" لأن الله لم يخاطب إلا أهل العقول ولأن به يُعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والإجماع فهو الأصل في هذا الباب وإن كنا نقول أن الكتاب هو الأصل من حيث أن ما فيه من التنبيه على ما في العقول كما أن فيه الأدلة على الأحكام "[3]، ومما قاله القاضي عبد الجبار عن القرآن:" ليس يصح الاحتجاج به في إثبات التوحيد والعدل وإنما نورده لنبين خروج المخالفين عن التمسك بالقرآن، مع زعمهم أنهم أشد تمسكاً به ونبين أن القرآن كالعقل في أنه يدل على ما نقول وإن كانت دلالته على طريقة التأكيد"[4] واعتبرت المعتزلة القرآن حجة إذا وافقت دلالته دلالة العقل، قال القاضي عبد الجبار:" .... ليصبح أن يعرف أن كلامه تعالى حق ودلالة فلا بد أن يعرف ما في كتاب الله من الآيات الواردة في العدل والتوحيد على ما تقدم له من العلم، فما وافقه حمله علي ظاهره وما خالف الظاهر حمله على المجاز وإلا كان الفرع ناقضا للأصل ولا يمكن في كلامه تعالى سوى هذه الطريقة"[5]، وقال: "آيات القرآن تقتضي بظاهرها التشبيه لذلك وجب تأويلها؛ لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ودليل العقل بعيد عن الاحتمال"[6]، وبما أن المعتزلة اعتبرت العقل هو الأصل قالوا لا يجوز تقديم الفرع على الأصل؛ لأن ذلك طعن في الأصل والطعن في الأصل طعن في الفرع، قال القاضي عبد الجبار:" فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله وذلك لا يجوز

---

(1) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة (ص88).

(2) القاضي عبد الجبار وآخرون، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص139).

(3) المرجع السابق (نفس الصفحة).

(4) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج94/17).

(5) المرجع السابق (ج395/16).

(6) القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج199/1).

وبيان هذا، أن الكتاب إنما ثبت حجة متى ثبت أنه كلام عدل حكيم لا يجوز عليه الكذب وذلك فرع على معرفة الله ...."[1]، والاستدلال بالعقل لا بد أن يعتمد على شرطين أساسين هما: كمال العقل وتمامه، وأن تكون هذه الصفات معقولة من نفس المستدل وغيره[2].

وبناءً على ما سبق يتبين أن مصدر الوحى الأول عند المعتزلة هو العقل فجعلوه هو الأساس، والذي يعتمد عليه في مسائل الاعتقاد، بينما القرآن الكريم فهو فرع ويأخذ بما فيه للاستئناس، فما وافق مذهبهم وعقولهم أخذوا به، وما يخالفهم عمدوا إلى رده وتأويله، ومن خلال بحثي واطلاعي لكتب المعتزلة وجدت أغلب ما يستدلون به على المسائل العقدية هو الدليل العقلي وقليلاً ما يستدلون بالأدلة النقلية ويسمونه الدليل السمعي كما هو في شرح الأصول الخمسة.

الرد على المعتزلة في تقديمهم العقل على النقل.

1- القول بأن العقل أصل النقل باطل وتقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف فوجب الثاني دون الأول؛ وذلك لأن كون الشيء معلوماً بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليس هو لازمة لشيء من الأشياء بل هو من الأمور النسبية الإضافية [3].

2- إن كلام الله هو من له الأحقية في التقديم على العقل، لما فيه من الهداية والرشاد التي يحتاجها العقل، قال ابن تيمية:" ليس فيما يعارض السمع شيء من المعقولات التي يتوقف السمع عليها، فإذن كل ما عارض السمع مما يسمى معقولاً ليس أصلاً للسمع يتوقف العلم بصحة السمع عليه فلا يكون القدح في شيء من المعقولات قدحاً في أصل السمع"[4].

3- الأدلة السمعية(القرآن الكريم والسنة النبوية) هما المصدرين الأصلين في الاستدلال بهما على مسائل العقيدة وهما بلا شك تفيدان اليقين وهما قطعية الدلالة، ولا تعارض بين العقل الصحيح والنقل الصريح بل العقل الصريح يؤيد النقل الصحيح، وإن كان هناك تعارض فإن

---

(1) القاضي عبد الجبار ،شرح الأصول الخمسة (ص88-89).

(2) انظر: رابحة عبد اللطيف، مشكلة الذات الإلهية والصفات عند القاضي عبد الجبار (ص143).

(3) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج823/3) بتصرف.

(4) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج91/1). وقد سرد ابن تيمية الكثير من الردود على من قدم العقل على النقل.

النقل غير صحيح أو العقل غير صحيح[1]، وتقديم العقل على النقل فيه مفسدة كبيرة واتباع لهوى النفس أمام الكتاب والسنة وهذا باطل.

4- إن العقل عند السلف مصدر من مصادر المعرفة، ولكنه محتاج إلى توضيح وتنبيه الكتاب والسنة، لإرشاده إلى الصواب أي أنه ليس مصدر مستقلاً بل لو كان كذلك لحدث تشتت وتفرقة لأن الاعتماد على العقل يؤدي إلى التنازع والخلاف [2]

الخُلاصة:

المعتزلة يقدسون العقل أكثر من النقل وهم بذلك مبتدعة خالفوا الشرع، فالعقل هو عندهم المعيار لكل شيء، وصدق من قال فيهم" وأكثر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين فقد تكلموا في الصفات الإلهية بما لم ينزل الله به من سلطان وأولوا نصوص الشريعة بما تهواه أنفسهم"[3].

المطلب الرابع: الأسماء الواردة في سورة يونس ﷺ عند السلف والمعتزلة.

نبذة عن أسماء الله ﷻ عند السلف والمعتزلة.

أسماء الله الحسنى عند السلف كلها نعوت وليست أعلاماً محضة بل هي أسماء دالة على معانى، وهي صفات كمال توجب له المدح والثناء، ولو كانت أعلاماً محضة وألفاظ لا معانى لها لم تكن حسنى وكانت جامدة[4]، ولو لم تكن أسماؤه دالة على معانى لم يصح أن يخبر عنه بأفعالها، فلا يقال يسمع ويعلم، وهكذا[5]، قال ابن قيم الجوزية: "أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، لذلك كانت حسنى وصفاته كلها صفات كمال ونعوته كلها نعوت جلال وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل، كل شيء من مخلوقاته دال عليه ومرشد لمن رآه بعين

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج490/11) بتصرف

(2) انظر: المصدر السابق (ج296/3).

(3) الألوسي، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية (ص155).

(4) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة (3/ 292). ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج52/1). محمد الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص75-76).

(5) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج53/1).

البصيرة إليه"[1]، وأيضاً قال: "أسماء الله مشتقة من صفاته، وصفاته قديمة به، فأسماؤه غير مخلوقة"[2]

أما أسماء الله الحسنى عند المعتزلة، فهم لا يشترطون ذكرها في القرآن والسنة النبوية بل يكفي بدلالة العقل عليها فقال القاضي عبد الجبار: " وإجراء الأسماء والصفات على الله كإجرائها على غيره في أنه يحسن من غير سمع وتوقيف"[3] أي: أنها ليست توقيفية[4]،فالاسم أو الوصف عند المعتزلة معنى يحدثه المسمى أو الواصف، ومن هذا المنطلق أرجعوا الصفة إلى قصد الواصف، ولو لم يكن هذا المقصود لما صار الاسم اسماً على المسمى، فهم ينفون المعانى ويثبتون أسماء جامدة لا تدل على معانى فيقولون عالم بذاته بلا علم، أو أن العليم والسميع بمعنى واحد، فأسماء الله عند المعتزلة أعلام محضة لا معانى لها[5].

فقول المعتزلة بأن أسماء الله جامدة محضة لا تدل على معانى وصفات باطل من وجوه، أنها لو كانت كذلك لم تدل على الوصفية، وأيضاً الله ﷻ أثني على نفسه بها كما في قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:180]، والجامد من الأسماء لا مدح فيه ولا يدل على الكمال والثناء، وأيضاً يلزم من أنها جامدة عدم اختلاف معانيها فيكون العليم والسميع والبصير بمعنى واحد، وهذا لا يقوله عاقل ومخالف لقواعد اللغة العربية، فكل اسم له دلالة خاصة به، كذلك أن الوصفية من لوازم الأسماء المشتقة، وأسماء الله مشتقة من صفاته فهي دالة على الذات بالعلمية، وبهذا نبطل قول المعتزلة[6]

وفيما يلي الأسماء الواردة في سورة يونس عليه السلام.

1- لفظ الجلالة "الله ﷻ".

أ- لفظ الجلالة "الله" عند السلف:

---

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج144/1).

(2) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص514).

(3) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج180/5).

(4) انظر: حسن العطار الشافعي، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (ج496/2).

(5) انظر: عائشة المناعي، أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الامامية (ص146)، ابن تيمية، التدمرية (ص18).

(6) انظر: محمد العثيمين، المجلي في شرح القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه (ص71-72).

يعتبر لفظ الجلالة الله ﷻ من أكثر الأسماء التي وردت في القرآن الكريم وهو أعظمها، حيث ورد ذكره في سورة يونس عليه السلام في واحد وستين موضعاً، منها في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[يونس:3]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:6] وغيرها الكثير من الآيات التي وردت في سورة يونس عليه السلام.

أما عن المعنى اللغوي للفظ الجلالة الله ﷻ، فسبق الحديث عنه في المبحث الثالث من هذا البحث [1]، وأما اصطلاحاً عند السلف: " الإله هو الذي يؤله فيعبد محبةً وإنابةً وإجلالاً وإكراماً، فالإله هو من يستحق أن يؤله العباد ويدخل فيه حبه وخوفه فما كان من توابع الألوهية فهو حق محض لله ﷻ"[2]، وهو وصف الله الدال على اسمه ﷻ فالله ذو الألوهية أي المعبود لما اتصف به من صفات الألوهية وكلها صفات كمال، فهو واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال[3]، فيلاحظ أن اسم الله ﷻ يدل على معانيه من العبودية والصفة فهو ذو الألوهية ولا معبود بحق سواه.

والله ﷻ اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية وهو وحده المتفرد بالوجود الحقيقي، فإن كل موجود في الكون هالك إلا الله وحده لا شريك له، وهو اسم جامع لصفات الألوهية بأكملها [4]، وقال الخطابي[5]: "الله ﷻ أشهر أسماء الرب تعالى وأعلاها محلاً في الذكر والدعاء، وكذلك جُعل إمام سائر الأسماء وخصت به كلمة الإخلاص ووقعت به الشهادة فصار شعار الإيمان وهو اسم ممنوع لم يتسم به أحد وقد قبض الله ﷻ عنه الألسن فلم يدع به شيء سواه" [6]

---

(1) انظر: صفحة (88) من هذا البحث.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج22/1، 76).

(3) انظر: صالح الفوزان: عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر (ص37). عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص26). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج102/1).

(4) انظر: الغزالي، المقصد الأسني (ص61).

(5) الإمام العلامة المحدث: أبو سليمان حمد بن حمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف كان ثقة من أوعية العلم، أخذ الفقه على المذهب الشافعي ولد سنة 319هـ وقيل .317، له تصانيف عديدة منها، شرح السنن، و شرح الأسماء الحسنى، وغيرها، توفي سنة 388هـ في بلده ببست. انظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (ج23/17-27). نفس المؤلف، تذكرة الحفاظ (ج149/3).

(6) الخطابي، شأن الدعاء (ص30-31).

وهذا الاسم له مميزات وخصائص تميزه عن غيره من الأسماء منها أنه الأصل والأساس لسائر الأسماء الحسنى، وجميعها مضافة إليه فهو مرجع للأسماء الحسنى جميعها ومدار معانيها عليه، كما في قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾[طه:8] ، وأيضاً ما يميز هذا الاسم عن غيره أن الألف واللام لا يسقطان عنه عند النداء فيقال يا الله فصارتا كالجزء الأساسي في الاسم، أما غيره من الأسماء فأسقطت عنها الألف واللام فلا يقال يا الرحيم أو يا الخالق وهكذا، وأيضاً أن اسم الله يبتدأ به في جميع الأمور والأحيان والأدعية والأذكار وعند القسم على أي شيء، وعند الوضوء وفي الصلاة وعند التهليل والتسبيح والتكبير، والبسملة وعند الطعام والشراب وغيرها من الأمور فصار لفظ الله ﷻ مقترناً بها غير منفك عنها[1].

وفيما يتعلق بأن اسم الله مشتق أم غير مشتق: اختلف العلماء في هذه المسألة وخاضوا فيها وفي الحديث حول لفظ الجلالة " الله" قال البعض أنه غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها والله ﷻ اسمه القديم وهو لا مادة له واسم الله أزلي والأزلي في سبق لم يؤخذ من غيره فكيف يكون الاشتقاق؟ فهذا مستحيل فهو اسم محض لا يتضمن صفات تقوم بمسمياتها، كقولنا عمر وزيد، واسم الله لا يسمي به أحد من المخلوقين، وقال البعض الأخر، أنه مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه فقال فريق: أنه مشتق من أله الرجل يأله إليه إذا فرغ من أمر، ومصدرها الآلهة والألوهية، وقال فريق أخر أنه مشتق من أله الذي مضارعها يأله إذا تحير، ومصدرها أله، وقال سيبويه: "مثل الناس أصله: أناس، وقيل أصل الكلمة (لاه) وعليه دخلت الألف واللام للتعظيم ". وخلاصة رأيهم أنهم أرادوا أنه صفة له ﷻ وهي الإلهية كسائر أسمائه العليم والقدير وهي مشتقة من مصادرها ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن تلك الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله، وأجاب ابن قيم الجوزية عن تلك المسألة أننا لا نعنى بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، والاشتقاق هنا أن أحدهما يتضمن الأخر وزيادة، وهو هنا اشتقاق تلازم سمي المتضمن بالكسر مشتقاً وبالفتح مشتقاً منه، وليس اشتقاق مادي ولا محذوف في اشتقاق أسماء الله بهذا المعنى[2].

---

(1) انظر: فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر (ص75).

(2) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ص23) ، القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله وصفاته (ص276-278)، سعد ندا، مفهوم الأسماء والصفات، العدد (45) (ص87) بتصرف.

وأحسن في هذه المسألة ما قاله الخطابي: "فهذه مقالات أصحاب العربية والنحو في هذا الاسم، وأحب وأعجب الأقاويل من ذهب إلى أنه اسم علم وليس بمشتق كسائر الأسماء المشتقة، والدليل على أن الألف واللام لم يدخلا للتعريف دخول حرف النداء كقولك يا ألله وحرف النداء لا يجتمع مع الألف واللام للتعريف ولا نقول يا الرحمن، ولا يا الرحيم كما نقول يا ألله" [1] وإلى هذا الرأى ذهب الإمام ابن قيم الجوزية وقال: "إنما هو نزاع في وجه دلالة اللفظ على ذلك المعنى مع اتفاقهم على أن المعنى واحد، وهذا القدر لا يخرج اللفظ عن إفادته للسامع اليقين بمسماه"[2].

ب- لفظ الجلالة الله ﷻ عند المعتزلة:

أما لفظ الجلالة الله ﷻ عند المعتزلة فأصله الإله فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف؛ لذلك قيل يا ألله بالقطع كما يقال يا إله، والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق وهو الله ﷻ ولم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله، وأله، واستأله، وإن قلت أأسم هو أم صفة قلت أي الزمخشري بل اسم غير صفة، ألا تراك تصفه ولا تصف به فنقول إله واحد صمد، ويري الزمخشري: أن الاسم الأحسن الله مشتق من قولهم أله إذا تحير"[3]، ومن هنا ندرك أن المعتزلة تجرد اسم الله من الدلالة على معناه من الصفة، فهم يثبتونه اسم جامد لا يدل على معنى.

2- الرب.

أ- اسم "الرب" عند السلف.

الرب اسم عظيم لله ﷻ حيث ورد ذكره في سورة يونس عليه السلام في أربعة وعشرين موضعاً ومن الآيات التي ورد فيها اسم الرب قول الله ﷻ: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ** ﴾[يونس: 2] ، وقوله ﷻ : ﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[يونس:10] ، وقوله ﷻ: ﴿ **وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا**

(1) الخطابي، شأن الدعاء (ص35).

(2) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج751/2).

(3) الزمخشري، الكشاف (ج5/1-6).

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[يونس:19] ، وغيرها الكثير من الآيات الواردة في السورة، وأيضاً ذكر في قول النبي ﷺ: "أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ" (1).

والمعني اللغوى لاسم "الرب" سبق الحديث عنه في المطلب الثاني بالتفصيل(2)، وأما المعنى الاصطلاحي: قال ابن تيمية:" الرب هو الذي يُرَبي عبده فيعطيه خَلقهُ ثم يهديه إلى جميع أحوال العبادة وغيرها"(3)، وهو اسم جامع لجميع المخلوقات وهو رب كل شيء وخالقه ولا يخرج عن ربوبيته أي شيء، فكل ما في السموات والأرض تحت سلطانه وقدرته (4)، فالرب هو الخالق البارئ المصور الرزاق السميع العليم المعطي المانع إلى غير ذلك مما يستحق من الأسماء الحسنى الدالة على ربوبيته، فهو اسم يدل على الإحاطة والخلق والتدبير والتربية، وقد يأتي هذا الاسم إما وحده فيقال "الرب" وقد يأتي مضافاً فيقال" رب المشرقين، رب العالمين"(5).

ب- اسم "الرب" عند المعتزلة.

أما اسم "الرب" عند المعتزلة فقال الزمخشري فيه: "الرب المالك ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولا يطلقوا الرب إلا في الله ﷻ وحده وفي غيره على التقيد بالإضافة"(6)، فالمعتزلة قصرت في وصف الربوبية فمنعته أن يكون ذا مشيئة كاملة وقدرة محيطة، وأيضاً منعت أن يكون خالقاً لأفعال العباد ومريداً لها وقادراً عليها مبررين ذلك بصفة عدله.

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ/ بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، 1/ 348: رقم الحديث 479].

(2) انظر: صفحة (43) من هذا البحث.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج22/1)

(4) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج58/1).

(5) انظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج249/2). محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص212). علوي السقاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص171).

(6) الزمخشري، الكشاف (ج10/1).

3- الشهيد.

أ- اسم الله "الشهيد" عند السلف.

من أسماء الله ﷻ الحسنى التي وردت في سورة يونس عليه السلام اسم الشهيد، وقد ذكر في السورة ثلاث مرات، ومن الآيات التي ذكر فيها قول الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾[يونس:46] وقوله ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾[يونس: 61]، كذلك ورد في السنة النبوية من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]"[(1)]

والله ﷻ هو الأمين في شهادته، ومعناه في اللغة هو من شهدته أي اطلعت عليه وحضرته، بمعنى الحضور والعلم والإعلام، والشهيد الحاضر أي العالم على وزن فعيل من أبنية المبالغة في فاعل[(2)].

وأما اصطلاحاً عند السلف: فاسم الشهيد يرجع معناه إلى العليم مع خصوص إضافة، فإن الله ﷻ عالم الغيب والشهادة والغيب هو ما بطن والشهادة ما ظهر، والعلم إذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو شهيد مطلع على كافة المخلوقات يوم القيامة وعلى ما لا يعلمه المخلوقين، بما علم وشاهد منهم ما كانوا يفعلون في الدنيا فهو الذي لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عنه خافية وهو الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء في السموات والأرض[(3)]، لذلك قال ابن أبي العز الحنفي:" الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء ولا يعزب بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له عليم بتفاصيله"[(4)]، يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح[(5)].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:143]، 21/6: حديث رقم 4487].

(2) انظر: الفيومي، المصباح المنير (ج324/1). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج221/3). ابن منظور، لسان العرب (ج238/3-239).

(3) انظر: الغزالي، المقصد الأسني (ص26). الخطابي، شأن الدعاء (ص75-76).

(4) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص43).

(5) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج43/3).

والشهيد: "هو المطلع على جميع الأشياء سمع جميع الأصوات، خفيها وجليلها وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها وأحاط علمه بكل شيء الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه"(1)، ويجب على المكلف أن يعلم أن الشهادة على وجه الكمال هي لله ﷻ وأن جميع الشاهدين سواه يؤدون شهادتهم عنده كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الزمر:69] (2)، والشهيد هو الذي يعلم كل شيء بالمشاهدة والرؤية، فكل شيء عنده مشهود وليس عليه غيب ولا يغيب عنه أي سر، فهو حاضر على كل شيء، وهو الذي يشهد على المتخاصمين فيرجع الحق إلى أهله، ويبطل الباطل وشهادة الله ﷻ أعظم شهادة ولا يماثلها أي شهادة أحد من الخلق، والخلق جميعاً يشهدون له بالكمال دون تشبيه بأي نقص أو تقصير، وجميعهم يشهدون دلائل وحدانيته وقدرته(3).

ب- اسم الله " الشهيد" عند المعتزلة.

أما اسم الله "الشهيد" عند المعتزلة أي المطلع على ما يفعله العباد في الدارين، شاهداً عليهم وهو عندهم بمعنى المهيمن، وقال الزمخشري في قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾[يونس:46]، فذكر هنا الشهادة وما ترتب عليها من العقاب وأن الله أيد شهادته على أفعالهم يوم القيامة، حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم(4).

4- اسم الله " الحق"

أ- اسم الله" الحق" عند السلف.

من الأسماء الحسنى التي وردت في سورة يونس عليه السلام اسم "الحق" حيث ورد ذكره في عدة مواضع ومن الآيات التي ورد فيها اسم "الحق" قوله ﷻ : ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[يونس:32]، وقوله ﷻ: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[يونس: 30] ، وغيرها من الآيات، وفي السنة النبوية ورد في

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص30). نفس المؤلف، تفسير أسماء الله الحسنى (ص211).

(2) انظر: القرطبي، الأسني في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته (ص419).

(3) انظر: شاهر أبو شريخ، موسوعة أسماء الله الحسنى (ص165-166).

(4) الزمخشري، الكشاف (ج350/2). القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج255/5) بتصرف.

الحديث الذي رواه ابن عباس ﷺ: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال:" اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ،..." الحديث(1).

ومعناه في اللغة: يقال للشيء الثابت حقيقة، ويستعمل في الصواب والصدق، كما في قوله ﷻ : ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[يونس:55]، وهو الثابت الذي لا يسوغ جحوده وإنكاره، وهو بمثابة الحكم المطابق والموافق للواقع ويقابله الباطل ويقال للقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب كما في قوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 33](2)، وفي الحق: إحاطة من الحوق فيقال: حقت القيامة أي أحاطت بجميع الخلائق وبأعمالهم وهذا حق ولا أحد ينكره، ويأتي الحق بمعنى الهدى ونقيض الضلال، كما ورد في سورة يونس ؑ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[يونس: 32] (3).

وأما اصطلاحاً عند السلف: "اسم الله الحق هو الموجود الحقيقي الذي يأخذ منه كل حق حقيقته، وهو المتحقق كونه ووجوده وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق"(4).

والله ﷻ هو الحق في ألوهيته وفي أفعاله، وفي أسمائه وصفاته، فلا معبود بحق إلا هو ودينه حق ولقاؤه حق ووعده حق، وهذا لا يشك فيه أحد من مخلوقاته، وهو المتحقق الثابت وجوده أزلاً وأبداً لا يتغير ولا يتناقض، وكل ما عداه من موجودات فهي موجودة بإيجاده لها كما يتبين ذلك بقوله ﷻ: ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[يونس:32] (5)، ويؤيد ذلك ما قاله السعدي:" الحق في ذاته وصفاته فهو واجب الوجود، كامل الصفات

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد/بَابُ التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء:79]، 48/2: حديث رقم 1120].

(2) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص94). الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص246).

(3) شاهر أبو شريخ، موسوعة أسماء الله الحسنى (ص172) بتصرف

(4) الغزالي، المقصد الأسني (ص127). الخطابي، شأن الدعاء (ص76).

(5) انظر: عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص213). عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص158).

والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به فهو الذي لم يزل ولا يزال، بالجلال والجمال والكمال موصوفاً ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً"(1).

ب- اسم الله "الحق" عند المعتزلة.

اسم الله "الحق" من الأسماء التي أنكرتها المعتزلة؛ لأنه لا يتفق مع البرهان العقلي عندهم فما وافق العقل أخذوا به وما خالفه أنكروه، فيقول شيخهم أبو علي الجبائي في اسم الله "الحق" " أن الله ﷻ لا يوصف بأنه حق على الحقيقة، لأن ذلك عبارة عن الأمر الحادث الذي ينفصل به من الباطل ويتعالى عن ذلك، وأول قوله ﷻ: **﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾**[يونس:32] ، وقوله ﷻ: **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[الحج:6]، على أن المراد به أن عبادة الله هو الحق وعبادة غيره هو الباطل ويجوز أن يُعنى به أنه هو الباقي المحي المميت المعاقب، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، أنه يبطل ويذهب ولا يملك لأحد ثواباً ولا عقابا"(2).

5- اسم الله "العليم".

أ- اسم الله "العليم" عند السلف.

أيضاً من أسماء الله الحسنى التي وردت في السورة اسم الله "العليم" فقد ورد مرتين، أحدهما منفرداً غير مقترن كما في قوله ﷻ: **﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾**[يونس:36]، والأخر مقترناً باسم الله السميع، قال ﷻ: **﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[يونس:65]، فمذهب السلف نُثبت صفة العلم وهي صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ وورد ذكرها أيضاً في حديث الاستخارة، عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ – فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ – فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ

---

(1) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص32).

(2) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج5/256).

حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ "[1]، والعلم في اللغة: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وإدراك للشيء على حقيقته، واسم الله " العليم" على وزن فعيل من أبنية المبالغة والله ﷻ المحيط علمه بكل شيء ويعلم الأمور على ظاهرها وباطنها ودقيقها وجليلها على أتم الإمكان، ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله ﷻ علماً من العلوم عالماً كما قال ﷻ في حق يوسف ﵇: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:22][2].

وأما اصطلاحاً عند السلف فالله ﷻ هو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وما فِي قعر البحار ويعلم منبت كل ثمرة وكل زرع ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الحصى والرمل، وأعمال العباد وآثارهم وأفعالهم وحركاتهم ويعلم كل شيء ولا يخفى عليه شيء في السموات والأرض [3].

وكثيراً ما يأتي اسم الله "العليم" في سياق الأعمال والأفعال وجزائها، ليوقظ القلوب من غفلتها وينبه العباد على ضرورة إكمالها وإصلاحها، فالله ﷻ علم ما كان وما يكون وما سيكون ولم يزل عالماً، ولا يزال عالماً بما كان وما يكون لا تخفى عليه خافية في السموات والأرض، وعلمه شامل لجميع المخلوقات ومحيط بها سابق على وجودها، وهو الذي يعلم السر وما خفى منه ولا يدركه علم الخلق، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[يونس:61]، والإنسان مهما بلغ من العلم لم يصل إلى حقيقة علم الله وكماله[4]؛ لأن علم الإنسان مهما بلغت فإنها تبقى محصورة بداخله، وإن انكشف هذا العلم فيبقى ناقص ولا يصل لكماله ﷻ ، ولأن علم الله ﷻ بالأشياء غير مستفاد منها؛ بل الأشياء مستفادة منه وعلم العبد بالأشياء تابع لها وتحصيل حاصل لها وشتان بين علم الخالق وعلم المخلوق[5].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ/بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاسْتِخَارَةِ ، 81/8: حديث رقم 6382].

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج416/12). الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص580). والجرجاني، التعريفات (ص155). ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج292/3) بتصرف.

(3) انظر: أبو الحسين ابن أبي يعلي، طبقات الحنابلة (ج28/1).

(4) انظر: عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص137). عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص169). الخطابي، شأن الدعاء (ص57). ابن منظور، لسان العرب (ج416/12).

(5) انظر: شاهر أبو شريخ، موسوعة أسماء الله الحسنى (ص67-68).

ب- اسم الله " العليم" عند المعتزلة.

سبق الحديث في منهج المعتزلة عن ما قالته في صفة العلم فهم يقولون عالم بلا علم أو عليم بلا علم، فهم يثبتون الاسم وينفون ما تضمنته من صفة ومنعوا أن يشتق منها صفة العلم وبينت في البحث سبب ذلك.

قال القاضي عبد الجبار: "الذي يدل على أنه ﷻ يكون عالماً فيما لا يزال هو أنه لا يستحق هذه الصفة لذاته، والموصوف بصفة من صفات الذات لا يصح خروجه عنها بحال من الأحوال"(1)، وجعل السميع البصير بمعنى العليم، لذلك يقال فلان بصير بالنحو والفقه يعنى عالم بهما ولأن الفقه لا يصح أن يدرك بالبصر فيدرك بالوجه الأخر، وعندهم يوصف الله ﷻ بأنه عالم فيما لم يزل ولا يزال، لأن ما يفيده قولنا عالم يصح عليه من غير توقيف (2)، " والله ﷻ عالم بالأشياء ولا يحتاج في كونه عالماً إلى علم يعلم به يكون ثابتاً له، ولا يقال لا علم له بالأشياء لما فيه من إبهام نفى كونه عالماً، فما كان بهذه الصفة فيجب أن لا يستعمل فيه نفياً أو إثباتاً"(3).

والله ﷻ لو كان عالماً بعلم لكان لا يخلو من أمرين إما أن يكون معلوماً، أولا يكون معلوماً، أي جاهلاً فإن لم يكن معلوماً لا يجوز إثباته؛ لأن إثبات ما لا يعلم يفتح باب الجهات، وإن كان معلوماً فلا يخلو من إما أن يكون موجوداً أو معدوماً ولا يجوز أن يكون معدوماً وإن كان موجوداً فلا يخلو من إما أن يكون قديماً أو محدثاً وهذا كله باطل فلم يبق إلا أن يكون عالماً لذاته(4).

6- اسم الله "السميع"

أ- اسم الله " السميع " عند السلف.

من الأسماء الحسنى الواردة في سورة يونس عليه السلام اسم "السميع" وقد ورد في موضع واحد في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس:65]، وأيضاً ورد في السنة النبوية عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال النبي ﷺ :" أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ

(1) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص160).

(2) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج5/221-22) بتصرف.

(3) المرجع السابق (ج5/227).

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص183).

تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيراً" [1]، ومعناه في اللغة هو فعيل في معنى فاعل والله ﷻ سامع وسميع يسمع السر والنجوى، وقد يأتي بمعنى أجاب كما يقول العبد في صلاته {سمع الله لمن حمد} بمعنى استجاب [2]

وفي الاصطلاح: الله ﷻ هو الذي يسمع كل ما خفي سواء كان في السر أو في النجوى، فيدرك ويسمع صوت النملة على الصخرة الصماء في الليلة شديدة الظلمة، ويسمع حمد وشكر عباده الحامدين الشاكرين فيجازيهم، ويسمع دعاء الداعين له في جوف الليل فيستجيب لهم[3]، فالله ﷻ يدرك الأصوات التي يسمعها المخلوقون، ويسمع جميع الأصوات والأقوال على الرغم من الاختلاف بينها في اللغات، لكن لا تختلف عليه هذه الأصوات ولا تتشابه، ولا تشغله عن سمع دون سمع، ولا يبرمه ولا يغلطه تنوع المسائل وكثرة السائلين [4]

"ولعل السمع يراد به أربعة معاني: أحدهما: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات، الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني، الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سأل، الرابع: سمع قبول وانقياد"[5]

والسميع بمعنى المسمع، أي الذي أعطى المخلوقات قدرة السمع بخلق قدرات وأجهزة سمعية سليمة وأعطى كل مخلوق ما يناسبه من هذه القدرة والحاسة وأيضاً مّن عليهم من المراكز العصبية التي تدرك بواسطتها تلك المسموعات، وأيضاً يأتي اسم السميع مجيب الدعاء ولو بعد حين وعند إرادة الله ﷻ وإجابته دليل سمعه والجهر والسر فلا يجب رفع الصوت عند الدعاء لأنه ﷻ يعلم ويسمع الجهر وما يخفى، ويأتي اسم السميع بمعنى السامع كاسم ذات له قدرة مطلقة لتلبية طلبات المخلوقات وهو ليس بحاجة إلى الهواء أو مادة انتقال الهواء إليه لأنه قريب للمخلوقات أقرب من حبل الوريد [6].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات/ بَابُ الدُّعَاءِ إِذَا عَلاَ عَقَبَةً ، 8/ 82: حديث رقم 6384].

(2) انظر: الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (ص42).

(3) انظر: الغزالي، المقصد الأسنى (ص90).

(4) انظر: الخطابي، شأن الدعاء (ص59). ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص128). عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص126). القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله وصفاته (ص269).

(5) حامد أحمد الطاهر، الجامع لأسماء الله الحسنى (ص162).

(6) انظر: شاهر أبو شريخ، موسوعة أسماء الله الحسنى (ص81).

ب- اسم الله "السميع" عند المعتزلة.

قال القاضي عبد الجبار: "اعلم أنه ﷻ يوصف بأنه سميع بصير ويراد بذلك أنه على حال لاختصاصه بها يُدرك المسموع والمبصر إذا وجدا" وجوز أن يوصف الله بأنه سامع .

وأيضاً قال الجبائي:" أن سميع لا يتعدى إلى مسموع فيوصف ﷻ بذلك فيما لم يزل، وأن سامع يتعدى إلى مسموع فلذلك لم يوصف به فيما لم يزل"(1).

ونقل الشهرستاني أن الجبائي قال: " أن الحي إذا سلمت نفسه عن الآفة سمي سميعاً بصيراً"(2).

7- اسم الله "الغني"

أ- اسم الله "الغني" عند السلف.

اسم الله "الغني" ورد في سورة يونس عليه السلام في موضعٍ واحدٍ في قوله ﷻ: **﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[يونس:68]، وورد في السنة النبوية من حديث عائشة -رضي الله عنها-، لما شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر خرج النبي ﷺ ثم قال: " ... الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ...."(3)

ومعناه في اللغة: "الغين والنون وحرف الياء العلة أصل صحيح يدل على الكفاية والغني في المال، يقال: غَنِيَ يَغْنَى غِنًى، ويقال لا يغني فلان غناء فلان، أي لا يكفي كفايته"(4)، واسم الله الغني هو "الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء وكل أحد يحتاج إليه"(5).

أما اصطلاحاً عند السلف: "فالغني هو اسم لله ﷻ الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لمُلكه، فليست به حاجة إليهم وهم إليه فقراء محتاجين"(6)، فالله ﷻ هو الغني

---

(1) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج5/241).

(2) الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام (ص333).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود، أبواب صلاة الاستسقاء/ بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ ، 304/1: حديث رقم1173]. قال الألباني: إسناده حسن، الألباني، صحيح أبي داود (ج4/337).

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج4/397) بتصرف.

(5) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج3/390).

(6) الخطابي، شأن الدعاء (ص92-93).

بذاته وله الغنى المطلق وكل ما في السموات والأرض محتاج إليه، فله الغنى التام من كافة النواحي لكماله وكمال صفاته التي لا يعتريها أي نقص وهو منزه عن أي علاقة مع الأغيار فمن تعلق بغيره فليس بغني، فالغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلى غيره، والله ﷻ لا تعلق له بغيره من الخلائق لا في ذاته، ولا في صفاته، فلا غنى تام إلا لله وحده لا شريك له[1].

ومن كمال غناه ﷻ أنه لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصيين، فلو أن كل أهل الأرض أمنوا ما زاد في غناه وملكه شيئاً، ولو كفروا فلا ينقص من غناه وملكه، فهو المستغني عن جميع الخلائق، وأيضاً لا ينفعه إنفاق المنفقين، وبذل الباذلين في سبيله، وكذلك لا يضره بخل البخلاء، ومن كمال غناه أن ملكوت السموات والأرض بيده وهو الكريم على عباده في الليل والنهار، ويديه سحاء معطاء في كل وقت فلو أُعطى كل سائل ما تمنى لم ينقص من غناه شيئاً إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط ، فأمر عباده أن يدعونه ويعبدونه في كل وقت وحين ووعدهم بالإجابة وقبول عبادتهم[2]، ومن أعلى درجات الغنى غنى النفس والاكتفاء بالموجود، ولا غنى إلا غنى النفس، فقد يكون الإنسان فقيراً جداً لكن لا يظهر ذلك أمام الناس فيكون أمامهم متعففاً غنياً كما في قوله ﷻ: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:273] [3].

ب- اسم الله " الغني" عند المعتزلة.

عند المعتزلة يجب أن يوصف الله ﷻ بأنه غني على الحقيقة وإنما يقال غني عن الأشياء وإن كانت اللفظة تفيد الغنى الذي لا يصح معنى التعلق فيه من حيث ثبت أن المحتاج يحتاج إلى غيره من المعاني التي يلتذ بها أو تؤديه إلى ذلك المعنى، فلما كان غنياً يفيد نفى ما تقتضيه الحاجة إثباته لم يمتنع أن يتعدى كتعدي الحاجة فصار هنا بمنزلة الإثبات، لذلك لا يوصف الله ﷻ بكل صفة تقتضي معنى الحاجة؛ لأنه غنياً يمنع قول ذلك فيه[4].

---

(1) انظر: القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته (ص206). عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص183). الغزالي، المقصد الأسنى (ص144).

(2) عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص183-185). عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص691) بتصرف.

(3) انظر، شاهر أبو شريخ، موسوعة أسماء الله الحسنى (ص250).

(4) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج5/247) بتصرف يسير.

8- اسم الله "الغفور"

أ- اسم الله "الغفور" عند السلف.

من أسماء الله الحسنى الواردة في سورة يونس عليه السلام اسم الله الغفور، وورد في موضع واحد في قوله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يونس:107]، وورد في السنة النبوية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا – وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا – فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ – وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ – فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ – أَوْ أَصَبْتُ – آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ – أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ – آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاَثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ "[1].

والغفور في اللغة: أصله من غفر "وغَفَرَ اللهُ له ذَنْبَه يَغْفِرُهُ غَفْراً وغِفْرَةً حَسَنَةً، بالكسر، ومَغْفِرَةً وغُفُوراً وغُفْراناً، بضمهما، وغَفِيراً وغَفِيرَةً: غَطَّى عليه، وعَفا عنه، واسْتَغْفَرَهُ من ذَنْبِهِ واسْتَغْفَرَهُ إياهُ: طَلَبَ منه غَفْرَهُ" [2]، والغفر: التغطية والستر يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى غفر له[3]، والغفور اسم على وزن فعول بصيغة المبالغة، مما يدلل على كثرة الغفر لذنوب عباده وفي سورة يونس عليه السلام اقترن باسم الرحيم مما يفيد أنه ﷻ يغفر للمستغفرين؛ لأنه واسع الرحمة فالله ﷻ من رحمته لعباده يغفر لهم ذنوبهم رحمة منه، ولولا رحمته ﷻ لأصاب عباده الهلاك والخسران فالله غفور رحيم[4]،ومنه يؤخذ اسم الغفور والغفَّار، لكثرة ما يغفر من ذنوب عباده.

أما اصطلاحاً عند السلف فمفهوم الغفور هو: " بمعنى الغفار، ولكنه بشيء ينبئ عن نوع مبالغة لا ينبئ عنها الغفار؛ فإنَّ الغفار مبالغة في المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكررة مرة بعد

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/باب قوله ﷻ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾[الفتح:15]، 145/9: حديث رقم 7507].

(2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج451/1).

(3) انظر: الرازي، مختار الصحاح (228/1). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج385/4).

(4) انظر: سعد عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد:46 (ص72-73).

أخرى، فالفعال ينبئ عن كثرة الفعل، والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو غفور بمعنى أنه تام المغفرة والغفران كاملها حتي يبلغ أقصى درجات المغفرة"[1].

والغفور هو الذي تكثر منه المغفرة والستر على عباده المذنبين ويزيد عفوه على مؤاخذته ، والغفار: أي الذي يستر الذنوب في الدنيا بأن لا يهتك عباده، وهو الستار لذنوب عباده والمسدل عليهم ثوب عطفه ورحمته ومغفرته، وعلى ذلك يكون معنى الغفور منصرفاً إلى مغفرة الذنوب في الآخرة والتجاوز عن العقوبة[2] وقيل الغفور، أي كثير الغفر من جهة الكيف فيغفر الذنوب العظيمة، والغفار، أي كثير العفو من جهة الكم فيغفر الذنوب التي لا تعد ولا تحصى[3].

وأيضاً ورد في معنى الغفار، أن الله ﷻ يغفر ذنوب عباده التي كانوا يستحقون الافتضاح بها أمام الخلق، وقد وعدهم بأن يبدل سيئاتهم حسنات، ليستر قُبح ذنوبهم بثواب حسناته[4].

ويجب على كل مكلف أن يعلم أن الله ﷻ هو وحده الغفار الغفور على الإطلاق ولا أحد يغفر ذنوب عباده غيره، فيغفر لهم بعد توبتهم ورجوعهم إلى الله بعد ما فعله من زلاتٍ ومعاصٍ فيعودون كمن لا ذنب له وذلك منصوص عليه في قوله ﷻ: ﴿**إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾

[الأنفال:38] [5]، لذلك ينبغي علينا مجاهدة النفس وكثرة الاستغفار وطلب العفو والمغفرة والتوبة من الله ﷻ وعدم اليأس والقنوط فالله ﷻ يغفر الذنوب مهما عظمت وعظم جرمها[6].

"وهذا الاسم مما انفرد به أهل السنة وحجب عنه المبتدعة من القدرية ودونهم وزعموا أنه لا يغفر إلا لمن تاب، وأما من مات على المعصية فهو مخلد في النار والمعتزلي يضيف إليها حاكم العقل، ويجعل العفو والمغفرة مما يجب للعبد التائب على الرب"[7].

---

(1) الغزالي، المقصد الأسنى (ص105).

(2) انظر: محمد النجدي، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (ص177). الخطابي، شأن الدعاء (ص52، 65).

(3) انظر: شاهر أبو شريخ، موسوعة أسماء الله الحسنى (ص112).

(4) الغزالي، المقصد الأسني (ص80) بتصرف.

(5) انظر: حامد أحمد الطاهر ، الجامع لأسماء الله الحسنى (ص214).

(6) انظر: عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص145).

(7) حامد الطاهر، الجامع لأسماء الله الحسنى (ص214).

9- اسم الله "الرحيم"

أ- اسم الله "الرحيم" عند السلف.

أيضاً من أسماء الله الحسنى اسم الله "الرحيم" وقد ورد في موضع واحد في سورة يونس عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[يونس:107]، وورد في السنة النبوية: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(1).

والرحيم في اللغة: من رحم، فالراء والحاء والميم، أصل يدل على الرقة والحنان والرأفة، يقال رحمه يرحمه أي عطف عليه، والرحمة والمرحمة والرحمة بمعنى واحد، والرحيم اسم من أسماء الله الحسنى وهو صيغة مبالغة من رحِمَ، مشتق من الرحمة، أي كثير الرحمة والعطف والشفقة، ومعناه الرفيق بالمؤمنين والعاطف على خلقه بالرزق والمثيب لهم على عملهم(2).

والرحمة المضافة إلى الله نوعان: رحمة عامة مقرونة بالعلم كما في قوله ﷻ: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا**﴾[غافر:7]، فكل شيء وصله علمُه وهو واصل لكل شيء حتى رحمته وصلت إليه، فهي رحمة عامة شاملة لجميع المخلوقات وتشمل الرحمة الجسدية البدنية الدنيوية كالطعام والشراب وغيره، أما الرحمة الثانية فهي خاصة بالمؤمنين فهي إيمانية دينية دنيوية أخروية أكرم الله بها عباده المؤمنين بالتوفيق والطاعة (3)، أما اصطلاحاً عند السلف: فاسم الله الرحيم خاص بالمؤمنين، كما ورد في قوله ﷻ: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب:43]، وهو عام في التسمية خاص في المعنى، والرحمن خاص في التسمية عام في المعنى أي أنه يختص بالله ﷻ ولا يجوز إطلاقه على أحد غيره، ولا يسمى به أحد فعادل لفظ الجلالة الله، وعام

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب التَّوْبَةِ/بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، 2108/4: حديث رقم 2752].

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج498/2). أحمد عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (ص873).

(3) عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص85-86) بتصرف.

أي يشمل جميع عباده بخلاف الرحيم الخاص بعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان ويجازيهم في الآخرة بالثواب الدائم الذي لا ينقطع، وبالرحمة والفضل والإحسان، ويكرمهم بالعفو والغفران الذي لا تعبر عنه الألسنة ولا تتصوره العقول كما في قوله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: 156] ، كما أن الله ﷻ وصف نبيه محمد ﷺ بالرحيم في قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:128] (1).

"إن في هذين الاسمين دلالة على كمال الرحمة التي هي صفة الله وسعتها، فجميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والمحابِّ والمسار والخيرات من آثار رحمته، كما أن ما صرف عنهم من المكاره والنقم والمخاوف والأخطار والمضار من آثار رحمته؛ فإنه لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يدفع بالسيئات إلا هو وهو أرحم الراحمين"(2).

وغالباً ما يأتي اسم الرحيم إما مقيداً كما في قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43]،أو مقترناً باسم الرحمن كما في البسملة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ولفضل هذين الاسمين افتتح الله بهما كتابه، وكتاب نبي الله سليمان ﵇: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[النمل:30](3)، والرحمن يدل على صفة ذاتية، والرحيم يدل على صفة فعلية، قال ابن قيم الجوزية: "الرحمن دال على الصفة القائمة به ﷻ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ... فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها"(4).

يتضح أن صفة الرحمن صفة ذاتية لله ﷻ، والرحيم صفة فعلية فالله ﷻ هو أرحم بعباده من غيره، وهو الرحمن الرحيم.

(1) انظر: الخطابي، شأن الدعاء (ص38-39)، الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (ص28)، فقه الأسماء الحسنى (ص84)، محمد النجدي، النهج الأسمي (79/1).

(2) عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص83).

(3) انظر: المرجع السابق (ص83).

(4) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج24/1).

والله ﷻ من اسمه الرحيم أي لا يترك محتاج وله حاجة إلا يعطيها له بقدر طاعته، ولا يترك فقيرا في أي مكان كان إلا وسده حاجته ويقوم برعايته ودفع الفقر عنه إما بمال أو جاه أو غير ذلك فإن عجز عن ذلك فيعينه بالدعاء وإظهار الحزن عليه بسبب حاجته رقة ورحمة عليه كأنه مشارك له في ضره وحاجته فهو أرحم بعباده من رحمة العباد بعضهم ببعض[1] يا الله ما أوسع رحمته نسأل الله أن يرحمنا جميعاً في الدنيا والآخرة.

ب- اسم الله "الرحيم" عند المعتزلة.

الرحمن على وزن فعلان من رحم، والرحيم فعيل منه كمريض وسقيم، وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم، لذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة في المعنى، لم يستعمل في غير الله كما أن الله من الأسماء الغالبة، وأما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة من باب تعنتهم وكفرهم، فإن قلت: كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا؟ قلت أقيسه على أخواته من بابه عطشان وسكران فلا أصرفه.

وإن قلت ما معنى وصف الله بالرحمة، معناها العطف والحنوّ ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هي مجاز عن إنعامه على عباده؛ الملك إذا عطف على رعيته أصابهم بمعروفه وإنعامه، فإن قلت: فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى قلت: لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها وأردفه الرحيم كالتتمة وليتناول ما دق منها [2] قال أحمد: "فالرحمة على هذا من صفات الأفعال ولك أن تفسرها بإرادة الخير فيرجع ذلك إلى صفات الذات (أي إرادة الله) والبعض أرجعها إلى صفة فعل، وأما قولهم رحمان الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا فلا دلالة نسبة إلى أيضاً على مبالغة رحمن بالنسبة إلى رحيم، فإن حاصله أن الرحمة منه بالدلالة على إتمامها فلا يلزم إذ من خصوص رحيم أن يكون أقصر مبالغة من رحمة لعمومه" [3]، بل هي صفة ذات من حيث الأصل والقدم، وصفة فعل من حيث تعلقها بالمشيئة إن شاء رحم وإن لم يشأ لم يرحم.

---

(1) انظر: الغزالي، المقصد الأسني (ص64).

(2) الزمخشري: الكشاف (ج1/7-8) بتصرف.

(3) المرجع السابق (ج1/6-8).

فهذا كله من تراث المعتزلة ونزعاتهم الاعتزالية قد حفظ الله ﷻ منها سلف المسلمين وأئمة الدين فإنهم أقروا ما ورد في الكتاب والسنة وأثبتوا له ما أثبته له نبيه ﷺ ونفوا عنه ما نفاه عنه نبيه ﷺ من غير تصرف بكناية أو مجاز وقالوا لسنا أغير على الله من رسوله(1).

إذن اسم الله الرحيم عند المعتزلة من الرحمة التي حملوها على المجاز وهي مجاز عن إنعامه على عباده فهم صرفوها من الحقيقة إلى المجاز لاعتمادهم على الدليل العقلي عندهم، وقد ناقش ابن قيم الجوزية رحمه الله دعوى المجاز فيما يتعلق بصفات الله وأسمائه وبين أنه لا مجاز في صفات الله ﷻ وأن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز لفظ مبتدع لم يعرفه السلف الصالح.

وقد رد على هؤلاء في كتابه مختصر الصواعق المرسلة بحوالي عشرين رداً سأذكر منها هنا ثلاثة ردود(2):

1- من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء مجازاً، ورحمة العبد الضعيفة القاصرة المخلوقة المستعارة من ربه التي هي من آثار رحمته حقيقة، وهل في قلب الحقائق أكثر من هذا فالعباد إنما حصلت لهم هذه الصفات التي هي كمال في حقهم من آثار صفات الرب، فكيف تكون لهم حقيقة وله مجاز فهذا من أعظم السفسطة والتعدي على الله ﷻ

2- كيف يكون أظهر الأسماء التي افتتح الله بها كتابه في القرآن وهي من أظهر شعار التوحيد والكلمة الجارية على ألسنة أهل الإسلام "**بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم**" التي هي مفتاح الطهور والصلاة وجميع الأفعال كيف يكون ذلك مجازاً.

3- قولهم (الرحمة رقة القلب) أتريدون رحمة المخلوق أم رحمة الخالق، أم كل ما سمي رحمة شاهداً أو غائباً؟ فإن قلتم بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئاً وإن قلتم بالثاني والثالث كنتم قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق لمخلوق وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم والقدرة والسمع إلزاماً وجواباً فكيف يكون رحمة أرحم الراحمين مجازاً دون السميع العليم.

---

(1) انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ص63).

(2) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، بتصرف (ج1/362-363) للمزيد انظر (ج1/361-371).

10- اسم الله " ذو الفضل".

أ- اسم الله "ذو الفضل" عند السلف.

من أسماء الله الحسنى الواردة في سورة يونس ﷺ اسم الله "ذو الفضل" وورد في موضعين في قوله ﷻ: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون**﴾[يونس:58]، وقوله ﷻ: ﴿**وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُون**﴾ [يونس:60]، وورد هذا الاسم في السنة النبوية في حديث الاستخارة، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ،..."(1).

و "ذو الفضل" في اللغة، "فهو مأخوذ من فضل، فالفاء والضاد اللام أصل صحيح يدل على زيادة في كل شيء، والمقصود بها هنا الزيادة في الخير، والفضل: أي الفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة والجمع فضول، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، ويقال رجل فاضل أي ذو فضل، والفضل معناه، ابتداء إحسان بلا علم، والفواضل أي: الأيادي الجميلة، والأفضال: الإحسان، والتفضل التطول على غيرك في كثرة الفضل"(2).

أما اصطلاحاً: الله ﷻ ذو الفضل والإحسان العظيم منح مخلوقاته ما لا يلزمه، وتفضل عليهم بما لا يجب عليه فالله ﷻ من أسمائه الكريم الرؤوف الرحيم العليم، تفضل على جميع مخلوقاته بنعمته وفضله وخص المؤمنين بفضل وزيادة فأكرمهم بدار كرامته، والله ﷻ موصوف بالطول والفضل والكرم والإحسان إلى عباده لا يمنعه مانع من إيصال ذلك الفضل إلى من يشاء كما في قوله ﷻ : ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم**﴾[يونس:107]، فجميع النعم التي أنعم وتفضل بها الله ﷻ علينا فهي من فضله على عباده فيعطيهم من غير سؤال ولا استحقاق، فحتى الكافر في هذه الدنيا يتقلب في فضل وإحسان الله ﷻ (3).

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ /باب الدعاء عند الاستخارة، 81/8: حديث رقم 6382].

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج508/1)، ابن منظور، لسان العرب (ج524/11-525). الرازي، مختار الصحاح (ج240/1). الجرجاني، التعريفات (ص167).

(3) انظر: محمد النجدي، النهج الأسمى (ج352/2-353).

وبعض العلماء أطلق على اسم الله" ذو الفضل" اسم "ذو الطول" وورد هذا الاسم في قوله ﷻ : ﴿ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرِ﴾[غافر:3]،قال الخطابي:" ذو الطول أي ذو الفضل، ومعناه أهل الطول والفضل"[(1)].

وقال الطبري:" ذي الطول أي ذي الفضل والنعم المبسوطة على من يشاء من خلقه وتطلق على ذي السعة والغني، يقال فلان لذو طول على أصحابه إذا كان ذا فضل عليهم"[(2)].

الخُلاصة:

إن لفظ ذو الفضل وذو الطول يراد بهما نفس المعنى أي النعيم والإحسان والفضل والكرم الذي أنعمه وتفضل به الله ﷻ على عباده وهو لا حدود له، لكن الكثير يغفل هذه النعم .

ومن فضل الله ﷻ على عباده المؤمنين خاصة، أن يثبتهم على هذا الدين ويعصمهم من اتباع الشيطان، وينور لهم بصائرهم ويكفر سيئاتهم ويغفر لهم ذنوبهم ويزكي نفوسهم ويعطيهم فوق ما يستحقون من الثواب زيادة وإكراماً وتفضلاً من ﷻ : قال ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلُيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾[النساء:173] [(3)]، أيضاً أن الله ﷻ لذو تفضل على عباده بتركه معاقبة العصاة والكفار والمنافقين بالعقوبة في الدنيا، وتأجيل وتأخير العذاب وإعطاؤهم مهلة إلى يوم القيامة وورد ذلك في قوله ﷻ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يونس:60][(4)].

11- اسم الله " الحكيم".

أ- اسم الله "الحكيم" عند السلف.

أخر أسماء الله الحسنى التي وردت في سورة يونس عليه السلام اسم الله "الحكيم" وبه ختمت السورة، وورد هذا الاسم في موضع واحد في قوله ﷻ : ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ

(1) الخطابي، شأن الدعاء (ص104-105).
(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج351/21).
(3) انظر: محمد النجدي، النهج الأسمى (ج354/2).
(4) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج113/15).

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين﴾[يونس:109]، وفي السنة النبوية ورد من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: قُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي" (1). ومعنى الحكيم في اللغة: الحكيم بمعنى العالم والقاضي والذي يحكم ويتقن الأشياء و يدقق في الأمور ويضع الأشياء في مكانها لعلمه وعدله، ويضعها على أفضل وجه، ومن أسماء الله الحكم والحكيم، ووردت في سورة يونس عليه السلام بلفظ " الحاكمين" (2) والحكمة عبارة عن معرفة أفضل حقائق الأشياء بأفضل العلوم، وبأفضل مما هي عليه، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم، والمراد بالحكمة في القرآن تعلم الحلال والحرام(3) وقال ابن قيم الجوزية في بيان معنى الحكمة:" الحكمة إنما تكون في حق من يفعل شيئاً لشيء فيريد بما يفعله الحكمة الناشئة من فعله، فأما من لا يفعل شيئاً لشيء البتة فلا يتصور في حقه الحكمة"(4).

أما اصطلاحاً عند السلف: الحكيم: "هو المحكم لخلق الأشياء صرف عن مفعل إلى فعيل، كقولهم سميع بمعنى مسمع، كقوله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيم﴾[يونس:1]فدل على أن الحكيم هو الذي أحكمت آياته، صرف عن مفعل إلى فعيل والإحكام في خلق الأشياء أي إتقانها والتدبير فيها وحسن التقدير لها، وحسن التدبير في إنشاء كل شيء من خلقه على ما ذهب أن ينشئه عليه وإبرازه على الهيئة التي أراد أن يهيئه عليها"(5).

والله ﷻ هو الحكيم الحق والعظيم في حكمته؛ لأنه وحده الذي يملك ويعرف أجل وأعظم العلوم والأشياء وهو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله أو الشك فيه فهو المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليها شبهة أو خلل، ولا علم يتصف بذلك إلا علمه وحده لا شريك له هو علمه الأزلي الذي لا يتطرقه خفاء، ومن عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله ﷻ فليس بحكيماً، لأنه لم

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ / بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، 2072/4: حديث رقم 2696].

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج140/12). الرازي، مختار الصحاح (ص78). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج318/1).

(3) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص91). ابن منظور، لسان العرب (ج140/12).

(4) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص116).

(5) الخطابي، شأن الدعاء (ص73-74).

يعرف أقدس الأشياء وأعظمها، وجلالة العلم بجلالة المعلوم ولا أقدس وأعظم من الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فثبوت الحكم له ﷻ يتضمن ثبوت جميع الأسماء والصفات والحكم لله وحده لا شريك له لأنه وحده الذي يملك صفات الكمال، وهذا ابطال لما كان يفعله المشركين الذين كانوا يتخذون آلهة من غير الله في الحكم والتشريع فالحكم المطلق لله ﷻ فقط[1].

فالله ﷻ وحده الذي يقضي ويحكم بين عباده بما شاء وكيفما شاء، ولا راد لحكمه وقضائه ولا أحد يستطيع أن يراجع الله ﷻ في حكمه وما يقضيه بين عباده كما يراجع الناس بعضهم البعض، فحكمه نافذ لا محالة[2].

"الحكيم كاسم ذات هو الذي يعلم أفضل ما يناسب المخلوقات خلقاً وتصرفاً، والحكيم كاسم تصرف هو الذي يضع الأمور في أفضل مواضعها بحيث تكون معللة وينجم عنها أثر محمود بالغ التأثير "[3].

والحكيم يتعلق بالمخلوقات التي خلقها الله وبالشرائع التي سيعمل بها الخلائق وكلاهما في غاية الإحكام، فهو الحكيم في أحكامه القدرية والشرعية والجزائية، والفرق بين الأحكام القدرية والشرعية: القدرية متعلقة بما أوجده الله وقدره فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فهي متعلقة بالطاعات والمعاصي، ، والشرعية متعلقة بما يحبه الله ويرضاه فقط أي متعلقة بالطاعات[4].

وقد وصف الله ﷻ القرآن بأنه حكيم كما ورد في سورة يونس عليه السلام ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[يونس:1]، ومن حكمة الله وعظمته تقتضي أن يكون القرآن العظيم حكيماً ومحكماً؛ لأنه الكتاب المقدس وأشرف الكتب السماوية ولأنه ليس مثله كتاب وليس بعده كتاب في كل شيء سواء كان في أسلوبه الرائع الجذاب، أو في أحكامه وتشريعاته أو إيضاحته أو في وعده ووعيده أو أوامره ونواهيه أو غير ذلك، والقرآن أيضاً محكم في كلامه فليس مثل كلام البشر فهو لا نقص فيه ولا فيه حشو وكلام لا فائدة منه فهو أكمل الكتب وأحكمها[5].

---

(1) انظر: الغزالي، المقصد الأسنى (ص120). عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص175).
(2) انظر: عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص175).
(3) شاهر أبو شريخ، موسوعة أسماء الله الحسنى (ص152).
(4) انظر: المرجع السابق (ص151).
(5) انظر: محمد النجدي، النهج الأسمى (ج1/251-252).

يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:" الحكيم الذي إذا أمر بأمر كان حسناً في نفسه، وإذا نهي عن شيء كان قبيحاً في نفسه وإذا أخبر بخبر كان صدقاً، وإذا فعل فعلاً كان صواباً، وإذا أراد شيئاً كان أولي بالإرادة من غيره، وهذا الوصف على الكمال لا يكون إلا لله وحده"(1).

ب- اسم الله " الحكيم" عند المعتزلة.

قال القاضي عبد الجبار: "الحكيم بمعنى عالم، لأن الحكمة هي العلم والحكيم هو العالم لذلك قال ﷻ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[ص:20]، وقال إنما وصف الكتاب بأنه حكمة من حيث كان طريقاً للعلم الذي هو الحكمة في الحقيقة، فعلى هذا يوصف تعالى بأنه حكيم فيما لم يزل، فأما إذا أريد بالحكيم أنه فاعل الأفعال المحكمة فذلك من صفات الأفعال فلا يستعمل فيه على هذا الوجه فيما لم يزل"(2) والحكيم عند الله ﷻ هو العالم العامل(3).

الخُلاصة:

سورة يونس عليه السلام احتوت على عدد لا بأس به من أسماء الله الحسنى منها الله، الرب، العليم، السميع، الغني، وغيرها وحاولت على قدر المستطاع أن أوضح مقصود كل اسم عند كل من السلف والمعتزلة، وتبين أن السلف يثبتون ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ، وينفون ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، أما المعتزلة فقد خاضوا في أسماء الله الحسنى إما بالنفي أو تأويل ما يدل عليه الاسم، لأن أسماء الله عندهم اجتهادية ولا تحمل أي معنى، والذي أدى بهم إلي ذلك اعتمادهم على الدليل العقلي مما نتج عنه التأويل والتلاعب في الألفاظ والمسميات.

---

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج427/3).

(2) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج222/5).

(3) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج316/1).

المطلب الخامس: الصفات الواردة في سورة يونس ﷺ وأقسامها عند السلف والمعتزلة.

قبل الحديث عن الصفات الواردة في سورة يونس ﷺ، لا بد من بيان أقسام الصفات عند السلف والمعتزلة.

أولاً: أقسام الصفات عند السلف.

قال الإمام أبي حنيفة [(1)]: "... لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية، أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم، وأما الفعلية، فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه"[(2)] من خلال هذا القول نستنتج أن الصفات عند السلف قسمان ويضاف إليهما قسم ثالث سماه علماء السلف صفات ذاتية فعلية:

1- صفات ذاتية: "هي التي لا تنفك عن الذات والتي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها وهي التي لا تتجدد تجدد صفات الأفعال" [(3)] أي أنها غير مفارقة للذات وهي لازمة لها أزلاً وأبداً، ولا تتعلق بالمشيئة والقدرة [(4)] وهي قسمان:

أ – صفات ذاتية عقلية: أي دل العقل عليها والاستدلال عليها يحصل بالعقل فيقترن في معرفتها السمع والعقل مثل صفة العلم والحياة والسمع والبصر وغيرها، وأغلب صفات الرب يشترك فيها الدليلان السمعي والعقلي و لأن العقل مستنبط من الدليل الشرعي والعقول يجب أن تصدق هذه الصفات بعد ثبوتها بالدليل السمعي.

ب – صفات ذاتية خبرية: أي أن العقل يفتقر إلى النص في الدلالة عليها ولا سبيل إلى إثباتها إلا عن طريق السمع والخبر عن الله ﷻ ورسوله ﷺ والرسول ويكون الاستدلال عليها بالنص فقط مثل صفة اليدين والوجه والعين . [(5)]

---

(1) النعمان بن ثابت الكوفي، التيمي بالولاء، "أبي حنيفة" فقيه مجتهد، إمام ومؤسس المذهب الحنفي ، ولد ونشأ بالكوفة سنة80هـ، وتوفي ببغداد سنة150هـ، ودفن بمقابر الخيزران، من آثاره الفقه الأكبر في الكلام، والرد علي القدرية. انظر: عمر الدمشقي، معجم المؤلفين (ج104/13).

(2) أبو حنيفة، الفقه الأكبر (ص14-15).

(3) محمد التميمي، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها (ص65)، محمد الجامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه (ص203).

(4) انظر: محمد هراس، شرح العقيدة الواسطية (ص159).

(5) انظر: محمد التميمي، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها (ص71-72).

2- صفات فعلية: هي التي تنفك عن الذات لتعلقها بالمشيئة والقدرة الإلهية في كل وقت وحين، بمعنى إن شاء الإله فعلها وإن شاء لم يفعلها. [1] وهي أيضاً قسمين:

أ – صفات عقلية: مثل صفة الخلق والرزق، وبعض العلماء قال إنها متعدية لمفعول.

ب – صفات خبرية: مثل: الاستواء والإتيان والمجيء والنزول، وهي لازمة لا تتعدي لمفعول[2].

قال البيهقي[3] في هذين النوعين:" ثم صفات الله عز اسمه قسمان أحدهما صفات ذاته وهي ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال، ولا نقول هو ولا غيره، ولا هو هي، والله تعالى يستحقها لذاته لا أنها زيادة صفة على الذات، والأخر صفات فعله وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل فلا يجوز وصفه إلا بما دل عليه كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ"[4].

ومذهب السلف في هذه الأقسام إثباتها كما أثبته الله ﷻ لنفسه وكما أثبتها له رسوله ﷺ، ولا نخوض فيها بآرائنا وأهوائنا بل نفوض حقيقتها إلى الله لعدم معرفتنا بحقيقة الذات؛ ولأن معرفة حقيقة الصفة متوقفة على معرفة حقيقة الذات، فنثبت الذات بصفاتها دون تأويل [5]، لا كما فعلت المعتزلة من نفيها وتأويلها للصفات الخبرية بحجة دلالة السمع عليها وهي عندهم دلالة ظنية ويعتمدون على العقل في إثباتها.

ثانياً: أقسام الصفات عند المعتزلة.

سبق الحديث عن تعريف الصفة عند المعتزلة ولا داعى لإعادتها، فالصفة هي نفس الموصوف لدي المعتزلة، فعندهم وصف الشيء لنفسه لا لمعنى فيه، فهي القول كقولنا عالم، قادر، هي صفات أسماء[6] فهي ليست شيئاً أكثر من الوصف فهم أثبتوا الألفاظ وجردوها من

(1) انظر: أحمد الغامدي، البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص185). محمد التميمي، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها (ص66).

(2) انظر: محمد التميمي، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها، ص (66). محمد الجامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه (ص200،217). أبو حنيفة النعمان، الفقه الأكبر (ص16).

(3) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي الخسروجري، الفقيه الشافعي، ولد سنة384هـ، وتوفي سنة 458هـ بنيسابور تم نقل إلى بيهق ودفن فيها، له تصانيف عديدة منها، دلائل النبوة وشعب الإيمان والأسماء والصفات، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، (ج1/75-76). الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (ج18/163-164).

(4) البيهقي، الأسماء والصفات (ج1/276-277).

(5) انظر: محمد الجامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه (ص208).

(6) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج2/267).

معانيها، قال الباقلاني: "زعمت المعتزلة أن الصفة ليست بمعنى أكثر من الوصف...."[1]، ورغم ذلك فالمعتزلة فيما بينهم اختلفوا في أقسام الصفات وعدد الصفات التي ينسبونها إلى الله ﷻ فعند أبي علي يستحقه القديم لذاته أن يكون قادراً، عالماً، حياً، مدركاً، وأما أبو هاشم: فيقول بها ويثبتها لله ﷻ وما يجب له في كل حال، أي لما عليه في ذاته وهي صفة الذات [2].

فالمعتزلة ينفون الصفات وعندما يذكرونها يكون حديثهم على أساس إثبات الصفات لا نفيها، فهم لا يعترفون بما نقوله عنهم بأنهم نفوا الصفات، لأن الصفات عندهم ألفاظ لا حقائق لها وراء الذات، والصفة هي عين الذات وليست زائدة عليها ورأيهم فيها إثباتاً لا نفي فيه [3].

والقاضي عبد الجبار ذكر أن الصفات تنقسم إلى أربعة أقسام هي:

1- صفات يستحق الله ﷻ الاتصاف بها.
2- صفات تجب له في كل وقت، وهي الصفات الذاتية والتي لا يجوز خروجه عنها بحال من الأحوال، كونه عالماً قادراً... وغيرها، وهذا عند أبي هاشم، أما أبو علي فإنه ينفي تلك الصفات الذاتية
3- صفات تستحيل عليه في كل وقت، وهي مضاد للصفات التي تجب لله في كل وقت نحو كونه عاجزاً، وجاهلاً.
4- صفات يستحقها في وقت دون وقت، نحو كونه مدركاً فإن ذلك مشروط بوجود المدرك، ونحو كونه مريداً وكارهاً فإن ذلك يستند إلى الإرادة والكراهية الحادثتين الموجودتين لا في محل [4]

الخُلاصة:

أن هذا التقسيم للصفات نشأ عن منهجهم في الصفات كما ذكرت سابقاً وما قاله أبو هاشم وأبي علي الجبائي وغيرهم من أئمة المعتزلة في نفيهم وتأويلهم للصفات بشقيها، وقولهم الصفات هي الذات فهو تقسيم شكلي ناقص لا حقيقة له، وغير شامل للصفات الخبرية الثبوتية لأنها

---

(1) الباقلاني، التمهيد (ص217).

(2) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص129).

(3) أحمد الغامدي، البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص209-210) بتصرف.

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص128-129).

تعتبر عندهم من باب المجاز، وما أثبتته من الصفات فهو ليس كما يليق بالله ﷻ بل يثبتونها كما دل عليها العقل وبطريقة فلسفية بحتة بعيدة عن القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثاً: الصفات الواردة في سورة يونس ﷺ.

القسم الأول: الصفات الذاتية عند السلف والمعتزلة في سورة يونس ﷺ.

من الصفات الذاتية التي وردت في سورة يونس ﷺ: **(العلم، السمع، العزة، الملك، الغني، الشهادة، الإرادة، المشيئة).**

1- صفة العلم.

العلم صفة ذاتية ثبتت ودل عليها الكتاب والسنة وهي مأخوذة من اسمه "العليم"[(1)]، ويجب القطع بأن الله ﷻ عالم بعلم واحد أزلي قديم ذاتي تتكشف به المعلومات عند تعلقه بها، وعلمه كسائر صفاته وهذا مذهب السلف للرد على المعتزلة القائلين أنه يعلم بالذات لا بصفة زائدة عليها، والدليل على أن صفاته زائدة على ذاته ورود الأدلة على أنه ﷻ عالم قادر حي، وكونه عالماً يعلل على قيامه بالعلم في جميع الأحوال في الغائب والشاهد، ويعلم السر والنجوى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء والأرض ويعلم جميع أعمال عباده قبل فعله إياها وهذا أيضاً رداً على المعتزلة [(2)] وسبق الحديث عن هذه الصفة في اسم الله "العليم"

2- صفة السمع.

من الصفات الذاتية التي وردت في سورة يونس ﷺ صفة السمع وهي صفة ثابتة وحقيقية لله ﷻ تليق بجلاله وعظمته، فكما أن ذاته حقيقية لا تشبه ذواتنا فصفاته أيضاً حقيقة لا تشبه صفاتنا، فهي من صفات الكمال ونعوت الجلال، وانظر ما قاله سيدنا إبراهيم لأبيه وهو يعاتبه بعبادته للأصنام التي لا تسمع، ولا تبصر في قوله ﷻ: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا**﴾[مريم:42] [(3)] وقد تحدثت عن هذه الصفة في اسم الله "السميع".

---

(1) انظر: علوي السقاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص255).

(2) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ص145-146).

(3) انظر: محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص318-319).

3- صفة العزة.

الله ﷻ أثبت لنفسه صفة العزة وهي مشتقة من اسم الله العزيز وهي صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ [1]، ووردت في سورة يونس ﵇ في قوله ﷻ : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[يونس:65]، ووردت في السنة النبوية من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ قالا قال رسول الله ﷺ: " الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ "[2]، والله ﷻ هو العزيز الذي ذل لعزه كل عزيز، وهو الغالب على كل شيء، وكل عزة حصلت لأي شيء كان فهي من عزته، وإذا أطلق على الله ﷻ فإنما يراد به الاعتراف له بالقدم والأزلية الذي لا يطرأ عليه تغير من القدرة والقوة، وذلك تنزيه له ﷻ عن الحدوث، وهو المنيع الذي لا يغلب[3]، الغالب فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، والله صفته العزة أي القوة والشدة والغلبة وعزته وجبروته ليس كمثلها شيء [4]، والعزة تضاف إلى الله من باب إضافة الصفة للموصوف بها، أي: اضافة تشريف، وتضاف إضافة المخلوق إلى خالقه وهي العزة التي يعز بها الله أنبياءه وعباده الصالحين فيعز من يشاء ويذل من يشاء[5].

ب- صفة العزة عند المعتزلة.

قال القاضي عبد الجبار: "صفة العزة عند المعتزلة أن الله ﷻ لا تلحقه ذلة ولا اهتضام، لأنه قادر فلا يجوز أن تلحقه ذلة لذلك وصفناه فيما لم يزل" [6]،وقد نقل أبو الحسن الأشعري: أن أبا هذيل أثبت العزة والعظمة والجلال فقال:" هي البارئ كما في العلم والقدرة"[7].

من خلال ما سبق في مفهوم المعتزلة لصفة العزة يتضح أن المعتزلة تنفي الصفات القائمة بالله ﷻ وهم يثبتون الأثر من حيث أنه عزيزاً، قادراً، عالماً، وهكذا في باقي الصفات، فهذا مفهومهم من إثبات الصفات، فصحة الفعل بأحوال الجملة ومرادهم دون أحوال المعانى أو أحوال محالها

---

(1) انظر: علوي السقاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص247).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ 2023/4: رقم الحديث 2620].

(3) انظر: الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (ص34)، البيهقي، الأسماء والصفات (ج94/1).

(4) انظر: شاهر أبو شريخ، موسوعة أسماء الله الحسنى (ص37).

(5) انظر: أبو محمد عبد العزيز بن محمد السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص66).

(6) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج213/5).

(7) الأشعري، مقالات الإسلاميين 144/1).

[1]، فهم يثبتون أحوالاً هي صفات لا موجودة ولا معدومة، ولا معلومة ولا مجهولة، أي هي على حالها لا تعرف مع الذات، والله يستحق الصفات لما هو عليه في ذاته [2]

4- صفة الملك.

أ- صفة الملك عند السلف.

صفة الملك هي من الصفات الذاتية ومن الصفات الفعلية إن وصف الله بأنه ملك وأفضل الملوك وأعزهم كان ذلك من الصفات الذاتية، وإن وصف بأنه المالك والسلطان كان ذلك من الصفات الفعلية [3]، وصفة الملك صفة دل عليها الكتاب والسنة [4]، ووردت في سورة يونس عليه السلام في قوله ﷻ : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس:31].

ووردت في السنة النبوية من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ"[5]، فصفة الملك هي صفة عظيمة لله ﷻ فهو الذي يملك الملك يعطيه من يشاء ويصرفه عمن يشاء، يعز من يشاء ويذل من يشاء، فجميع الملوك والأملاك تحت أمره ونهيه، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع[6]، فهو المتصرف لجميع الأشياء كيفما شاء بدون مدافعة ومنازعة من أحد، والله له كمال التصرف في جميع أمورنا في الدنيا والآخرة فنحن جميعاً مضطرون إليه مفتقرون إليه في جميع ما نحتاجه، فهو بحكمته وعدله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وبيده الإيجاد والإعداد والإحياء والإماتة والأحكام والشرائع وكل ما في الكون من موجودات فهي تحت ملكه وتصرفه وحده لا شريك له، وهذا دليل واضح على وجوب إفراده بالعبادة وعبادة غيره مما لا تملك لنفسها نفعاً ولا

---

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج104/1).

(2) الشهرستاني، الملل والنحل، (82/1)، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص182-183) بتصرف.

(3) انظر، صالح الأطرم، الأسئلة والأجوبة في العقيدة (ص12)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج150/1-152).

(4) انظر: علوي السقاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص326).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ/باب قوله ﷻ: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:67]، 6/ 126: حديث رقم 4812].

(6) انظر: الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى (ص62). الخطابي، شأن الدعاء (ص40).

ضراً ولا حياة ولا موت لأبطل الباطل، كما ورد في قوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[يونس:18]، لأن هذه الآلهة لا تملك مثقال ذرة من هذا الكون فكيف تُعبد من دون الله فالعبادة لله الذي يملك السموات والأرض وما فيهن(1).

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "إن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع والإكرام والإهانة والإثابة والعقوبة والغضب والرضا والتولية والعزل وإعزاز من يليق به العز وإذلال من يليق به الذل،.... فهو المتصرف في المماليك كلها وحده تصرف ملك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك لا ينازعه في ملكه منازع ولا يعارضه فيه معارض؛ فتصرفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان والحكمة والمصلحة والرحمة فلا يخرج تصرفه عن ذلك"(2).

ب- صفة الملك عند المعتزلة.

إذا قيل للمعتزلة أتصفون الله ﷻ بأنه مِلِك ومالك قالوا نعم، وقصدهم هنا أنه قادر لأن المالك للشيء هو القادر عليه لذلك قالوا في معنى قوله ﷻ : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:4] ،أي القادر عليه ويقال للواحد منا أنه القادر عليه وإذا قرئ "ملك" فالمراد القدرة على العباد الذين يتصرف الله ﷻ فيهم بما يوجب الانقياد له، ويقال إنه مالك لداره بمعنى أنه له القدرة على التصرف بها بالعقود والأفعال، فالمالك عند المعتزلة القادر على الشيء إذا لم يمنع من التصرف فيه على الوجه الذي قدر عليه، والله ﷻ مالك الدنيا وإن لم يوصف بالقدرة عليها وهي موجودة إنما صح لأن المراد به أنه قادر على إفنائها أو جمعها فالمملوك محذوف(3)، وفسرها الزمخشري أن الله ﷻ له الملك على كل موجود (4)، لكن الذي عليه السلف أن ملك الله ﷻ مطلق لا حدود له، فهو المالك والمتصرف لكل ما في الكون.

---

(1) انظر: عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص99-102).

(2) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص123-124).

(3) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج207/5). نفس المؤلف: تنزيه القرآن عن المطاعن (ص10).

(4) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج574/4).

5- صفة الغنى.

صفة الغنى صفة ثبتت بالكتاب والسنة [1]، ووردت في سورة يونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[يونس:68]، وسبق وتحدثت عن هذه الصفة في اسم الله "الغني" [2] .

6 - صفة الشهادة.

أيضاً سبق الحديث عنها في اسم الله "الشهيد"، وصفة الشهادة حقيقية لله تعالى ولا تضاهيها شهادة[3].

7 - صفة الإرادة والمشيئة.

أ- صفة الإرادة والمشيئة عند السلف.

من الصفات الذاتية الواردة في سورة يونس عليه السلام صفتا الإرادة والمشيئة، وهما ثابتتان في الكتاب والسنة، حيث ووردت في قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾[يونس: 49]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[يونس:99]، وغيرها من الآيات التي وردت في السورة، ووردتا في السنة النبوية من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ"[4].

ومعنى الإرادة في اللغة: الراء والواو والدال يدل على مجيء وذهاب من أي جهة، تقول راودته على أن يفعل كذا إذا أردته على فعله والردود فعل الرائد، ويقال أراد يريد إرادة والريدة اسم من الإرادة[5]، والإرادة لغةً:" طلب الشيء مع الميل إليه وتنسب إلى الله تعالى وعينها واو من راد يرود أي طلب، وأصلها أرود مثل قام، والمصدر الإرادة مثل الإقامة"[6].

---

(1) انظر، علوي السقاف، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص265).

(2) انظر: صفحة (152) من هذا البحث.

(3) انظر: صفحة (145) من هذا البحث .

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا/ بَابُ الْأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ، 2206/4: حديث رقم 2879].

(5) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج457/2). ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (288/2).

(6) شهاب الدين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (ج231/1).

ومشيئة الله ﷻ عبارة عن تجليه وعنايته السابقة وإيجاده المعدوم، أو إعدامه الموجود، ولم يكن ويحصل شيئاً إلا بمشيئته ﷻ وإرادته فقط لإيجاد المعدوم، فالمشيئة أعم من الإرادة، وفي اللغة يستعمل أحدهما مقام الأخر [1]، أما عند السلف فإرادة الله ﷻ ومشيئته مخالفة ومغايرة لمشيئة العبد وإرادته [2].

فالإرادة صفة قديمة أزلية باقية وهي شاملة لجميع المخلوقات، فالله ﷻ موجد جميع المخلوقات[3] وهو وحده المنفرد بالإرادة فلا مشيئة ولا إرادة بعد مشيئته وإرادته ﷻ، [4]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: " كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك"[5]، والإرادة عند السلف تنقسم إلى قسمين [6]، فقد قال ابن أبي العز الحنفي:" المحققون من أهل السنة يقولون الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات"[7].

وعلى هذا فالإرادة تنقسم إلى قسمين هما:

أ- إرادة كونية قدرية: وهي التي ترادف المشيئة، فهما يتعلقان بكل ما شاء الله فعله وإحداثه، فالله إذا أراد شيئاً وشاءه كان بعد إرادته له ولا يمكن أن يحدث خلاف ما أراده الله، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:82]، وهي المرادة هنا وهي التي تقع بمشيئة الله وإرادته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن [8]، قال ابن تيمية: "نفس الإرادة هي المشيئة"[9].

(1) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص216).
(2) ابن تيمية: التدمرية (ص25).
(3) انظر، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج145/1).
(4) انظر: هشام عبد القادر، مختصر معارج القبول (ص48).
(5) البخاري، خلق أفعال العباد (ص47).
(6) انظر: هشام عبد القادر، مختصر معارج القبول (ص48-49).
(7) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص60).
(8) انظر: هشام بن عبد القادر، مختصر معارج القبول (ص48).
(9) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج244/6)

ب- إرادة دينية شرعية: وهي تتعلق بما أمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه، كما في قوله ﷻ:
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة:185] (1)

وعليه ترى الباحثة: أن المشيئة دائماً تكون كونية قدرية، لأنها مرادفة لها فهي واحدة لا تنقسم، بينما الإرادة تكون كونية قدرية وشرعية دينية، فكل مشيئة هي إرادة، وليس كل إرادة هي مشيئة ولا تلازم بين الإرادتين بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى فبينهما عموم وخصوص، فالإرادة الكونية أعم وتشمل جميع المخلوقات من خير وشر وكفر وإيمان ومعاصٍ، وأخص أنها لا تتعلق بإيمان الكافر وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعاً أو غير واقع، وأخص أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به، فالإرادة الكونية والشرعية تتفقان وتجتمعان في إيمان المؤمن، لأن الله أراد منه كوناً وقدراً أن يكون مطيعاً، والإرادة الكونية تختص بكفر الكافر، ومعصية العاصى، لأن الله أراد منه الكفر كوناً وقدراً، ولم يرده منه شرعاً وديناً، بينما الإرادة الشرعية تختص بإيمان الكافر وطاعة العاصى لأن الله أراد منه شرعاً وديناً أن يكون مؤمناً ولم يرد منه قدراً وكوناً(2).

ب- الإرادة عند المعتزلة.

الإرادة عند المعتزلة هي من صفات الأفعال فهي تتصل بالفعل، ويقولون أن الله ﷻ مريد من حيث كونه فاعلاً وأن يكون لفعله وجه دون وجه، ولا يكون كذلك إلا ممن كان مريداً أي أن الإرادة هي وقت حدوث الفعل(3)، فقد قال فيها القاضي عبد الجبار:" ولا خلاف بين المعتزلة في أن الإرادة من صفات الفعل" (4)، فالإرادة عند المعتزلة محدثة ليست أزلية وقديمة، يقول القاضي عبد الجبار: "اعلم أن الله تعالى مريد عندنا بإرادة محدثة موجودة لا تقوم بمحل"(5)؛ لأن عندهم قيام الحوادث باطل ولا يجوز، وقال أبو علي وأبو هاشم:" أن الله مريداً بعد ما لم يكن، إذا فعل الإرادة وأنه يريد بإرادة محدثة ولا يصح أن يريد لنفسه ولا بإرادة قديمة وأن

(1) انظر: محمد هراس، شرح العقيدة الواسطية (ص99-100).
(2) المرجع السابق (100). عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغنى المقدسي (ص153).
(3) انظر: القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج1/147-149).
(4) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج6/3).
(5) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص440).

إرادته لا توجد في محل"[1]، وقد نقل الأشعري أن أصحاب أبي هذيل قالوا: "إرادة الله موجودة لا في مكان ولا يقال هي قائمة بالله تعالى"[2] فهي لا مكان ولا محل لها. فالإرادة عند المعتزلة حادثة ولو كانت قديمة لوجب أن تكون مثل إرادتنا واستدل أبو علي على أن الإرادة حادثة في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[يونس:99]، وقال هنا ينبغي أن يوضح أنه لا يصح أن يقال لو شاء أن يؤمن الكفار لأمنوا وذلك مستحيل فيه، وإنما يجب أن يقال ذلك إذا صح أن يشاء ذلك منهم وهذا يوجب كون الإرادة حادثة مقدورة له يصح أن يفعلها ويصح أن لا يفعلها[3]، فالله ﷻ مريد لجميع أفعاله إلا الإرادة فهي عندهم محدثة ومريد لأفعال غيره ما أمرهم به[4].

والإرادة عند الزمخشري: "معنى يوجب للحي حالاً لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه، ثم قال واختلفوا أي المعتزلة في إرادة الله ﷻ فالبعض قال: أن للبارئ مثل صفة المريد منا، التي هي القصد وهي أمر زائد علي كونه عالماً غير ساه، وبعضهم قال أن معنى إرادته لأفعاله هو أن فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى إرادته لأفعال غير أنه أمر بها"[5] فالزمخشري هنا ساوى بين إرادة العبد وإرادة الله ﷻ وجعل إرادته للعباد بمعنى الأمر.

الخُلاصة:

المعتزلة نفوا صفة الإرادة كغيرها من الصفات، فهي عندهم من صفات الأفعال وهي حادثة وعندهم الصفات القائمة بالذات قديمة والقديم لا يكون محلاً للحوادث؟ وهم أخطئوا في جعل صفة الإرادة من صفات الأفعال، فلا يوجد لديهم إرادة لله ﷻ وقد سردت بعض أقوالهم التي تدل على أن إرادة الله قائمة وأنها محدثة، وأنها لا في محل ولا مكان وهذا حال المعتزلة في الصفات. انتهى.

---

(1) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج3/6) وقد ذكر المؤلف في الجزء السادس أقوال المعتزلة واختلافتهم في صفة الإرادة بالتفصيل.

(2) الأشعري، مقالات الإسلاميين (152/1).

(3) القاضي عبد الجبار ، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج143/6) بتصرف.

(4) انظر: المرجع السابق (ج5/6).

(5) الزمخشري، الكشاف (ج117/1).

القسم الثاني: الصفات الفعلية عند السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

1- صفة الاستواء.

أ- صفة الاستواء عند السلف.

صفة الاستواء من الصفات الفعلية التي دل عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، ووردت في سورة يونس عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[يونس:3]، والسنة النبوية كذلك ورد فيها أن الله تعالى مستوٍ على عرشه،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ"(1).

والاستواء في اللغة، الاستواء فعل لازم من قولك سويته فاستوى، ومعروف عند العرب قولها استوى الشيء مع كذا وكذا إلا قولهم للشاب إذا تم شبابه قد استوى، واستوى الشيء أي اعتدل قوامه ،أي الإقبال على الشيء(2)، يقال في وجهين: إذا أسند إليه فاعلان فصاعداً نحو استوى فلان وفلان، و يقال لاعتدال الشيء في ذاته كما في قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾[النجم:6]، وإذا عدي بإلى كان معناه الانتهاء إليه بالذات أو بالتدبير كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت:11] (3).

والاستواء في اصطلاح السلف، قال ابن تيمية:" الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه"(4)، وقد أجمل ابن كثير في تفسيره مذهب السلف في الاستواء فقال: " فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/ باب قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[البروج:22]، 9/ 160: حديث رقم 7554].

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج410/14- 414).

(3) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص439).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج415/5).

إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل"(1)، وأيضاً الشوكاني في تفسيره قد دافع عن مذهب السلف فقال: "اختلف العلماء في معنى الاستواء على أربعة عشر قولاً، وأحقها وأولاها بالصواب مذهب السلف وأنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه"(2) والاستواء أي العلو والارتفاع والله ﷻ لم يزل عاليا على عرشه وخص العرش لكونه مخالفاً لكل الأشياء وهو أفضلها وأرفعها فاستواء الله على عرشه استواء علو ورفعة(3)، فقال أبو العالية(4): في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء﴾(البقرة:29)، استوى أي ارتفع، وعن مجاهد استوى أي علا (5).

ومن أجمل ما قيل في الاستواء، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ(6)، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5]، كَيْفَ اسْتَوَى قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ مَالِكًا وَجَدَ مِنْ شَيْءٍ كَمَوْجِدَتِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ ، وَعَلَاهُ الرُّحَضَاءُ ، يَعْنِي الْعَرَقَ قَالَ: وَأَطْرَقَ الْقَوْمُ ، وَجَعَلُوا يَنْتَظِرُونَ مَا يَأْتِي مِنْهُ فِيهِ، فَقَالَ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا ، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ" (7)،وقد وضح ابن تيمية قول الإمام مالك أنه موافق لقول الباقين أي علماء السلف الذين قالوا أمروها كما جاءت بلا كيف، فهم نفوا علم الكيفية ولم ينفوا علمهم بالصفة ولو أنهم آمنوا باللفظ من غير فهم لحقيقة معناه لما قالوا الاستواء غير مجهول، ولما قالوا أمروها كما جاءت بلا كيف، فالاستواء حينئذ لا

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج383/3).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج240/2).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج429/1-430).

(4) رفيع بن مهران أبي العالية الرياحي مولاهم البصري، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي بسنتين، واختلف في سنة وفاته قيل سنة90هـ وقيل 93، والأول أصح، قال عنه العجلي: تابعي ثقة من كبار التابعين. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج284/3-285).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/باب قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[هود:7]، 124/9]

(6) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبدالله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وينسب إليه المذهب المالكي ولد سنة93هـ، في المدينة وتوفي سنة179هـ سأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل فصنف الموطأ، والرد على القدرية. انظر: الزركلي، الأعلام (ج257/5).

(7) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج325/6)، اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 440/3-441: حديث رقم 664. البيهقي، الأسماء والصفات (ج305/2).

يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، وأنه لا يحتاج إلى نفى الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفى علم الكيفية إذا أثبت الصفات. (1)

مما سبق يتضح أن مذهب السلف في الاستواء أنهم يثبتونه كما يليق لجلاله وعظمته ﷻ فهو مستوٍ استواءَ علوٍ من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، فاستواء الله لا يشبه استواء المخلوقين فهو لا مثيل له في ذاته وفي صفاته، فالاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة يجب الإيمان به ومن جحده كافر.

ب- صفة الاستواء عند المعتزلة.

صفة الاستواء من الصفات التي قامت المعتزلة بتأويلها، لأنها كما تزعم أنها وردت بأدلة ظنية وهما القرآن الكريم والسنة النبوية، وهما لا يفيدان اليقين، فقاموا بتأويلها كما يتفق مع الدليل العقلي عندهم.

الاستواء عند المعتزلة معناه، "الاستيلاء والغلبة، وزعموا أن اثبات صفة الاستواء فيه إثبات أن لله جسم والله عندهم منزه عن الجسمية لذلك قال القاضي عبد الجبار في تفسير قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس:3]، الاستواء: الاستيلاء والاقتدار والغلبة"(2)، فالمعتزلة خالفوا السلف وامتنعوا أن يصفوا إثبات الاستواء حقيقة لله ﷻ ، فقالوا الذي يصح عليه الاستواء من الأجسام لا يكون إلا محدثاً مفعولا لذلك وجب التأويل.

واستدلوا على ذلك بما هو مشهور باللغة ببيت الشعر:

قد استوى بشر على العراق: من غير سيف أو دم مهراق (3)

والزمخشري في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء﴾[البقرة: 29]، أي: أنه قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق الأرض، أي فسرها بالقصد والإرادة(4) وفي قوله ﷻ:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5] فسرها على من يريد المُلك ويريدونه ملك وإن لم يقعد على السرير البتة،

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج41/5) بتصرف.

(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص226)، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص175)، رسائل العدل والتوحيد (ج217/1).

(3) القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص175).

(4) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج123/1).

قالوا لشهرته في ذلك المعنى، ونحو ذلك قوله يد فلان مبسوطة، ويد فلان وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:64]، أي هو بخيل، وقوله ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:64] أي: هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط(1).

مناقشة المعتزلة والرد عليها في تأويلها لصفة الاستواء.

1- ما ذهبت إليه المعتزلة من تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل ولم يفسره أحد من السلف بهذا المعنى وهم مجمعون على الإقرار بالصفات وحملها على الحقيقة لا المجاز، ولو كان كذلك لم يكن تخصيصه العرش بالاستواء معنى، وكان مستولى على كل شيء وهذا باطل(2).

2- لو كان معنى الاستواء الغلبة والقهر لعاد معنى جميع الآيات إلى أن الله ﷻ أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض ثم غلب العرش بعد ذلك وقُهُره وحكم عليه، وأهل اللغة قالوا لا يجوز استوى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر، أو في حق من كان منازعاً مغالباً، والله ﷻ لا يعجزه شيء في السموات والأرض(3).

3- البيت الذي استشهد به القاضي عبد الجبار محرف، وإنما هو بشر قد استولى على العراق، ولو صح هذا البيت وصح أنه غير محرف لم يكن فيه حجة بل هو حجة عليهم وهو على حقيقة الاستواء فإن بشراً هذا كان أخاً لعبد الملك بن مروان وكان أميراً على العراق فاستوى على سريرها كما هو عادة الملوك أن يجلسوا على سرير الملك.

4- بيت الشعر الذي استدل به شعر مولود حدث بعد كتاب الله ولم يكن معروفاً قبل نزول القرآن ولا في عصر من أُنْزل عليهم القرآن، وربما هو غير موجود أصلاً(4).

5- لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلوماً لم يحتج أن يقول الكيف مجهول، لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي إلا ما قد علم أصله كما نقول إنا نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو(5).

---

(1) الزمخشري، الكشاف(ج52/3) بتصرف.

(2) انظر: ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ج377/1). نفس المؤلف، اجتماع الجيوش الإسلامية (ج304/2).

(3) انظر: ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة (ج382/1). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج146/5-147).

(4) المرجع السابق (ج379/1)، المرجع السابق (ج146/5).

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج145/5) بتصرف.

6- أيضاً أهل اللغة احتجوا لما نسب إليهم وأنكروا أن يكون ذلك في اللغة وقد قال ابن الأعرابي[1]، وهو من أكابر اللغة وقد سئل: هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى فقال لا تعرف العرب ذلك، فالاستواء معلوم في اللغة، وما علم باللغة التي نزل بها القرآن كان معلوماً بالقرآن[2].

7- وأختم الردود بقول الشاعر لبيد بن ربيعة العامري[3]:

لِلَّهِ نَافِلَــةُ الْأَجَــلِّ الْأَفْضَــلِ ... وَلَــهُ الْعُلَى وَأَثِيثُ كُــلِّ مُؤَثَّلِ

لَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مَحْوَ كِتَابِهِ ... أَنَّــى وَلَيْسَ قَضَـــاؤُهُ بِمُبَــدَّلِ

سَوَّى فَأَعْلَى دُونَ غُرَّةِ عَرْشِهِ ... سَبْعًا طِبَـاقًا فَوْقَ فَرْعِ الْمَعْقَلِ

وَالْأَرْضُ تَحْتَهُمُ مِهَادًا رَاسِيًا ... ثَبَتَتْ جَوَانِبُهَا بِصُمِّ الْجَنْدَلِ [4]

2- صفة الرحمة.

أ- صفة الرحمة عند السلف.

الرحمة من الصفات الذاتية والفعلية التي يتصف بها الله ﷻ، وهي صفة ثابتة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، فهي صفة كمال لله ﷻ نثبتها كما وردت في القرآن والسنة دون تشبيه أو تعطيل ولا يجوز نفيها، ورحمة الله ﷻ على عباده تكون بكثرة الخير وإفاضته عليهم بجميع الأمور سواء كانوا مستحقين لها أم لا، فرحمته محيطة بالخلق واسعة لهم، كما في قوله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156] [5]، وقد سبق الحديث عنها في اسم الله "الرحيم".[6]

---

(1) أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي، صاحب اللغة وهو من موالي بني هاشم، كان إماما في اللغة ولد سنة 150هـ ، وتوفي سنة 231هـ . ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج306/4-309).

(2) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة (ج372/1).

(3) لبيد بن ربيعة العامري الشاعر الصحابي، قدم على رسول الله ﷺ مع قومه بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأسلم وحسن إسلامه، كان من فحول الشعراء المجودين، توفي سنة 41هـ في الكوفة، وعمره 157سنة، الصفدي، الوافي بالوفيات (ج299/24). ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج1337/3-1338).

(4) لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص (81-82)

(5) انظر: محمد النجدي، النهج الأسمي في شرح أسماء الله الحسنى (ص80). وأحمد بن علي، أسماء وصفات الله المركبة في القرآن (ص4). ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ص57).

(6) انظر: صفحة (156) من هذا البحث.

ب- صفة الرحمة عند المعتزلة.

كما سبق في الحديث في اسم الله "الرحيم" فهو عند المعتزلة من قبل المجاز الذي يجوز نفيه، وصفة الرحمة عندهم إرادته الخير والإحسان إلى من يرحمه؛ لأن معنى الرحمة رقة القلب وانعطافه وهذا يتصف به المخلوق، والله منزه عن ذلك عند المعتزلة(1)، ولذلك نفت المعتزلة صفة الرحمة ، وفسرها القاضي عبد الجبار "بالثواب"(2).

3- صفة الخلق.

أ- صفة الخلق عند السلف.

صفة الخلق صفة ثابتة لله ﷻ وهي من الصفات الفعلية من حيث النوع والآحاد، وصفة ذاتية من حيث الأصل، فالله يخلق ما يشاء بالنوع والآحاد مثلاً فالإنسان فهو مخلوق بالنوع وبالآحاد من حيث أنه خلق كل إنسان على حدة، فهو واحد بالنوع، وخلق كل شخص بمفرده أي أحاد، ومن ناحية الفعل لله ﷻ فهو لم يزل ولا يزال خلاقاً فهو من الصفات الذاتية التي لا تنفك عنه، وهي مأخوذة من اسم الله "الخالق"(3)، دل عليها الكتاب والسنة ووردت في سورة يونس عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾[يونس:4]، وقوله ﷻ: ﴿**قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾[يونس:34]، وغيرها من الآيات التي دلت على هذه الصفة، أما من حيث ورودها في السنة النبوية: عن النبي ﷺ قَالَ: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ"(4) فدل الحديث أن مصدر الجميع من خلق الله ﷻ واختراعه وإبداعه، وهو الخالق وحده لا شريك له ولا خالق سواه(5).

---

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف (8/1). السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج221/1).

(2) القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص151).

(3) علوي السقاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص154). ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية (ص282).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ/ باب قوله ﷻ:﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾[الروم:27]، 105/4: حديث رقم 3191].

(5) انظر: البيهقي، الاعتقاد (ص92).

فقال ابن تيمية في بيان ذلك: "وأما قولنا هو موصوف في الأزل بالصفات الفعلية من الخلق والكرم والمغفرة، فهذا إخبار عن أن وصفه بذلك متقدم؛ لأن الوصف هو الكلام الذي يخبر به عنه وهذا ما تدخله الحقيقة والمجاز، وهو حقيقة عند أصحابنا"[1].

يتضح مما سبق أن صفة الخلق هي صفة لله ﷻ منذ الأزل فهو وحده الخالق وما سواه مخلوق.

ب- صفة الخلق عند المعتزلة.

الخالق عند المعتزلة قديم لم يزل، والمخلوق لم يكن، فهو خالق الأشياء لا من شيء خلقها ولا على مثال صورها، بل أنشأها إنشاء وابتداها ابتداءً، فلا شبيه له وليس كمثله شيء[2]، وقال الأشعري: "اختلفت المعتزلة في أن الله ﷻ خالق ، فزعم البعض أن معنى القول في الله أنه خالق أنه فعل الأشياء مقدرة، وأن الإنسان إذا فعل أفعالاً مقدرة فهو خالق، وهذا قاله الجبائي وأصحابه، والبعض الأخر زعم أنه خالق أي أنه فعل لا بألة ولا بقوة مخترعة، فمن فعل لا بألة ولا بقوة مخترعة فهو خالق لفعله ومن فعل بقوة مخترعة فليس بخالق لفعله"[3]، والمعتزلة عندها ليست لله ﷻ صفة ذاتية من أفعاله، فالخلق هو المخلوق، والذات هي التي تخلق وترزق وقد لا تفعل ذلك من الخلق والرزق، والخلق والرزق قائم بغيره ونشتق منه خالقٌ رازقٌ لكن لا نثبت صفة الخلق والرزق، فهي عندهم أسماء فارغة ومجردة من الصفات، وهي ما يسمى عندهم بالأحوال التي لا تدل على معانٍ [4].

4- صفة الإحياء والإماتة.

أ- صفة الإحياء والإماتة عند السلف.

صفتا الإحياء والإماتة من الصفات الفعلية التي يتصف بهما الله ﷻ، وهما صفتان وردتا في القرآن الكريم والسنة النبوية [5]، ووردت في سورة يونس عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿**هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[يونس:56]، ووردتا في السنة النبوية عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "

---

(1) البيهقي، الاعتقاد (ج272/6).

(2) القاضي عبد الجبار، رسائل العدل والتوحيد (ج131/1) بتصرف يسير.

(3) الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج156/1).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (436/12).

(5) انظر: علوي السقاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص313).

لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي"[1].

فصفتا الإحياء والإماتة من الصفات الفعلية التي أثبتها السلف الصالح لله ﷻ، فالله ﷻ هو الذي يحي الأجسام البالية في قبورها بإعادة الأرواح إليها عند البعث وذلك يوم القيامة، ويحي الأرض اليابسة الميتة بإنزال المطر عليها فتنبت الزرع والرزق وتصبح خضراء وكأنها لم تكن يابسة، كذلك الله ﷻ هو الذي يحي النطفة الميتة التي لم تكن شيئاً فتخر كالنسمة تدب بها الروح، وكذلك قلوبنا وعقولنا يحيها الله ﷻ بنور المعرفة والإيمان والقرآن، فالله ﷻ هو وحده هو المحي، وبما أنه المحي فهو المميت الذي يميت الأحياء ويوهي بالموت قوة الأقوياء[2]، وقد سبق الحديث عن الإحياء والإماتة في المطلب الرابع من المبحث الثاني: مظاهر توحيد الربوبية.

ب- صفة الإحياء والإماتة عند المعتزلة.

قال القاضي عبد الجبار:" قد بينا أن وصف الحي بأنه حي يفيد أنه مختص بحال معها يصح أن يقدر ويعلم ويدرك، وبينا أن وصفه بذلك لا يفيد أن له حياة، وأن حد الحي بأنه ممن يصح أن يعجز ويجهل أن يصح" [3]، فالحي في اصطلاح المتكلمين هو الذي لا سبيل عليه للفناء، ويصح أن يعلم ويقدر، فالمعتزلة يفرون من إثبات صفة وجودية كالحياة التي تنافى الموت[4]، ومن قال أن الله ﷻ يوصف بأنه حي لنفي الموت عنه كقولنا بأنه عالم ويراد به نفي الجهل، فهذا قول بعيد لأن الموت قد ينفي عما ليس به حياة، فيقال في الشيء الجماد ليس بميت ولا يوجب هذا كونه حياً [5].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ/بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي الْمَوْتِ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، 2064/4:حديث رقم 2680] .

(2) انظر: البيهقي، الاعتقاد (ص59).

(3) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج229/5).

(4) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج229/1).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج229/5).

5- صفة الرزق.

أ- صفة الرزق عند السلف.

صفة الرزق صفة فعلية لله ﷻ ثبتت لله في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث وردت في سورة يونس ﷺ في قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:59].

وفي السنة النبوية عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ المُسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ"[1].

فالرزاق هو الله ﷻ، وصفة الرزق من الصفات الفعلية التي تتعلق بربوبية الله ﷻ وهي صفة خاصة له ولا يجوز أن تنسب لغير الله ﷻ، فلا يسمى غيره رازقاً كما لا يسمى خالقاً، فالأرزاق جميعها بيده ﷻ يرزق من يشاء في الوقت الذي يشاءه فهو خالق الأرزاق والمرتزقة، فيجب على العبد أن ينسب جميع ما لديه من أرزاق ونعم لله ﷻ فهو مولاها وواهبها[2]، وهو المتكفل بالرزق وهو أعلم بكل نفس بما تحتاجه قوتها وحاجتها، ورزقه لم يختص مؤمناً دون كافراً ويكون رزقه إما بسبب أو بدون سبب فالله ﷻ يرزق من يشاء بغير حساب، وقد يقدر الله للإنسان أرزاقاً وتكون في الحال والإنسان لم يكن يعلم بها، فعلى العبد المؤمن أن يتوكل على الله ﷻ والله خير الرازقين، كما في قوله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:60][3].

"والرزق رزقان رزق مطلق وهو ما استمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو رزق القلوب، الذي هو العلم والإيمان والرزق الحلال أما الثاني: فهو مطلق الرزق أي الرزق العام لسائر الخلق برهم وفاجرهم، والبهائم وهو إيصال القوت إلى كل مخلوق ويكون بالحلال والحرام، فالله الرزاق وهو له

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب البيوع/ما جاء في التسعير، 3/ 597 - 598: حديث رقم 1314]، قال الألباني: "صحيح". صحيح وضعيف سنن الترمذي (ج3/ 314).

(2) انظر: علوي السقاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص177).

(3) انظر: الخطابي، شأن الدعاء (ص54-55).

القدرة التامة فلا يعجزه شيء ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم"[1].

فقال ابن قيم الجوزية في القصيدة النونية:

" وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان

رزق على يد عبده ورسوله نوعان أيضا ذان معروفان

رزق القلوب العلم والإيمان والرزق المعد لهذه الأبدان

هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان

والثان سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان" [2]

يتبين مما سبق أن الرزق نوعان: نوع لجميع المخلوقات وهو الرزق العام فالله يرزقها قوتها وطعامها وما تسد بها حاجتها، أي هو قوت الأبدان، والنوع الأخر هو رزق القلوب بالعلم واليقين والصلاح وهو رزق خاص لأهل العلم والعلماء.

وعلى العبد ألا يظن أن كثرة الرزق والعطاء في الدنيا دليلاً على كرامة ومكانة هذا العبد عند الله ﷻ، أو قلته دليلاً على هوانه وضعفه، بل عليه أن يعلم أن هذه الأرزاق واختلافات الناس من حيث الغنى والفقر ما هي إلا ابتلاء واختباراً من الله ﷻ ليميز العبد المؤمن الشاكر لنعمه من العبد الجازع الذي يأس من رحمة الله[3].

ب – الرزق عند المعتزلة.

زعمت المعتزلة أن الرزق لا يكون إلا حلالاً؛ لأن الحرام لا يكون رزقاً والله ﷻ لا يرزق الحرام ولا يُستند إليه، والرزق لديهم قد يكون من جهة الله ﷻ بطريقة الميراث وما يحصل لديهم من الصدقات، وقد يكون من جهة الإنسان وقد يكثُر من خلال السعى في التجارة والزراعة، وينقص بالتواكل والكسل، والرزق ينتفع منه الجميع سواء كان أدمياً أو بهيمةً، وزعموا أن الإنسان قد يأكل رزق غيره إذا غصب شيئاً وأكله، وأنه قد يفوته بعض من رزقه [4]

(1) عبد العزيز السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص44).

(2) ابن قيم الجوزية، متن القصيدة النونية (ص211).

(3) انظر: عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى (ص106).

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص784–788). الزمخشري، الكشاف (ج526/2). القاضي عبد الجبار، رسائل في العدل والتوحيد (ج161/2–165).

والصواب هو الذي ما عليه السلف أن الرزق سواء كان حراماً أو حلالاً هو في الحقيقة من عند الله ﷻ، والله يرزق كل إنسان حسب سعيه وكده وكل ما يتناوله ويأكله الإنسان فهو رزقه من عنده ﷻ ومهما كانت الظروف فكل إنسان سينال رزقه المكتوب له سابقاً في اللوح المحفوظ، ولن يأكل رزق غيره أبداً.

6- صفتا التدبير والبدء والإعادة.

صفتا التدبير، والبدء والإعادة من الصفات الفعلية التي يتصف بها الله ﷻ، وقد سبق شرحها بالتفصيل في المبحث الثاني، وبالتحديد في المطلب الرابع مظاهر توحيد الربوبية [1] .

7- صفة المكر.

أ- صفة المكر عند السلف.

"صفات الله ﷻ كلها صفات كمال سواء كانت مطلقة أو مقيدة فما كان كمالاً محضاً فهو مطلق أي في كل حال، وما كان كمالاً في حال دون حال فهو مقيد فإن ذلك لا يجوز إطلاقه على الله ﷻ إنما يوصف به مقيداً مثل المكر والخديعة، وهذا يكون كمال في حال ونقصاً في حال فالله ﷻ لا يوصف به إلا على وجه الكمال، لأن المكر على الإطلاق صفة ذم لكنه عند المقابلة يكون صفة مدح وكمال"[2].

وصفة المكر وردت في سورة يونس عليه السلام في قوله ﷻ : ﴿**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ**﴾[يونس:21] وهي من صفات المقابلة ومن صفات الفعل الاختيارية التي لا يوصف بها الله ابتداءً ولا يشتق منها اسم، كالسخرية، وقد فسر السلف مكر الله لعباده بأنه استدرجهم من حيث لا يعلمون[3].

قال ابن قيم الجوزية: "وأما المكر الذي وصف به نفسه فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيء بمكره الحسن فيكون المكر منهم أقبح شيء ومنه أحسن شيء، لأنه عدل ومجازاة وكذلك المخادعة والمكر"[4]، فالله ﷻ لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع مطلقاً،

---

(1) انظر: صفحة(60) من هذا البحث.

(2) محمد بن العثيمين، شرح العقيدة السفارينية (ص159- 160).

(3) انظر: عبد العزيز السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص63). محمد هراس، شرح العقيدة الواسطية (ص123-124).

(4) ابن قيم الجوزية، الفوائد (ص163).

فالمقصود منها أنه ﷻ لم يصف نفسه بصفة المكر والكيد إلا على وجه الجزاء والعقاب لمن فعل ذلك بغير حق، وبذلك تكون صفة كمال وفي غاية العلم والحكمة والقدرة لله رب العالمين(1).

يتبين مما سبق ذكره أن صفة المكر من صفات المقابلة وتكون في مقابلة أعمال العباد فيجازيهم الله ﷻ عليها؛ لأنها في غير مقابلة لا تليق بالله ﷻ وجميع صفاته صفات كمال، وأسمائه حسنى فلا نقول الله ماكر، فنثبتها كما أثبتها لنفسه دون تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

ب- صفة المكر عند المعتزلة.

المكر عند المعتزلة معناها " استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه"(2).

الخُلاصة:

سورة يونس عليه السلام احتوت على عدد لا بأس به من صفات الله ﷻ الفعلية والذاتية منها صفة الرحمة والخلق والرزق والعزة والاستواء وغيرها، وحاولت على قدر المستطاع أن أوضح كل صفة ومعناها عند كل من السلف والمعتزلة، وتبين أن السلف يثبتون هذه الصفات كما يليق بالله ﷻ دون تشبيه أو تكييف أو تعطيل، بينما المعتزلة فقد خاضوا في تأويلها ونفيها بحجة تشبيه الخالق بالمخلوق ولأنها غير موافقة للدليل العقلي الاجتهادي لديهم.

المطلب السادس: المقصود بالزيادة في قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [يونس:26].

أولاً: رؤية الله ﷻ عند السلف.

إن مسألة الرؤية من أكبر المسائل العقدية التي خاض المتكلمون بالحديث عنها، وهذه المسألة من أعظم مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي استعد إليها المؤمنون وتنافس من أجلها المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون ومطرودون(3).

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة (ص306-307). محمود الميناوي، الجموع البهية للعقيدة السلفية (ج129/1).

(2) الزمخشري، الكشاف (ج134/2).

(3) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص131).

وقد وردت الرؤية تلميحاً في سورة يونس ، في قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[يونس:26]، ومن أقوال المفسرين التي وردت في تفسير قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:26]، وتدل على أن المقصود بالزيادة هنا رؤية الله والنظر إليه ﷻ: منها قول الطبري: " الحسنى: الجنة جعلها الله للمحسنين من خلقه، والزيادة عليها النظر إلى الله"[1]، وأيضاً قول الجزائري:" الحسنى، هي الجنة، وزيادة، هي النظر إلى وجه الكريم في دار السلام"[2]، وأختم بقول عبد الرحمن السعدي: "الذين أحسنوا لهم الحسنى وهي الجنة الكاملة في حسنها، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم وسماع كلامه والفوز برضاه والبهجة بقربه؛ فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون ويسأله السائلون"[3].

ويتبين من مجموع أقوال المفسرين السابقة أن المقصود بالزيادة الواردة في الآية السابقة هي النظر إلى وجه الله ﷻ ورؤيته عياناً وتكون رؤية لا غبار عليها واضحة وضوح القمر في ليلة البدر وهي لعباده المحسنين المتقين.

والسنة النبوية نبع لا ينبض في دلالتها على رؤية الله ﷻ، فقد وردت أحاديث كثيرة متواترة لا يمكن إنكارها في صفة الرؤية فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: "أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ"[4]، وما رواه صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ ثم تلا قوله ﷻ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:26]"[5].

---

(1) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن (62/15).

(2) الجزائري، أيسر التفاسير (466/2).

(3) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص341).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/باب قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:22-23]، 128/9: حديث رقم 7437].

(5) [مسلم: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ/ بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْﷻ 163/1: حديث رقم 181].

فهذه أحاديث صحيحة بلغت درجة التواتر[1] [2] لا كما ادعت المعتزلة أنها أحاديث أحاد [3] لا يحتج بها. والرؤية حق لأهل الجنة كما ورد عن ابن أبي العز الحنفي في بيان ذلك: "والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:22-23]، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه"[4].

وهناك أدلة عقلية تدل على إثبات الرؤية منها:

1- أن وجود الله ﷻ دليل على جواز رؤيته والذي لا يجوز أن يرى هو المعدوم وهذا ما يعرف بدليل الوجود، وإنما أراد من نفي الرؤية التعطيل.

2- رؤية الله ﷻ للأشياء ومن المعلوم أنه لا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، ولما كان الله رائياً للأشياء كان رائياً لنفسه، ومن كان لنفسه رائياً جائز عليه أن يرينا نفسه[5].

الخُلاصة:

السلف الصالح يثبتون رؤية الله ﷻ يوم القيامة على حقها للمؤمنين فقط، فالمؤمنين هم الذين يرون ربهم والله هو الذي يرى، فأثبتوا جهة العلو، أما في الدنيا فلا يوجد هناك رؤية، فيثبتوها من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكيف وهذا مذهب السلف في إثبات صفات الله ﷻ.

---

(1) الحديث المتواتر لغةً: مشتق من الفعل تواتر أي تتابع، يقال تواترت الكتب أي جاءت بعضها على اثر بعض وتراً من غير أن تنقطع. انظر: لسان العرب، ابن منظور (ج5/275). أما اصطلاحاً فهو" ما رواه جمع عن جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، ويرويه في كل طبقة من طبقات إسناده رواة كثيرون ويكون مستند خبرهم الحس والمشاهدة وهو يفيد العلم الضروري اليقيني القطعي" محمود النعيمي، تيسير مصطلح الحديث (ص23-24). محمد أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص189).

(2) انظر، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج13/35).

(3) الحديث الآحاد: الآحاد في لغةً: جمع واحد، وخبر الواحد ما يرويه شخص واحد والفرد الذي لم يزل وحده. انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج3/70). أما اصطلاحاً:" فهو الحديث الذي لم يجمع شروط الحديث المتواتر، فيشتمل ما رواه واحد في طبقة أو في جميع الطبقات، وما رواه اثنان أو ثلاثة ولم يصل إلي درجة التواتر" ابن جحر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص200). محمد أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص198).

(4) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص130).

(5) انظر: الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة (ص51-52).

ثانياً: رؤية الله ﷻ عند المعتزلة.

مما لا شك فيه أن المعتزلة قد خالفت منهج السلف في صفات الله ﷻ إما بالنفي أو التأويل، ومن بين الصفات التي قامت بتأويلها صفة الرؤية، وقبل الخوض في الحديث عن الرؤية لا بد من تعريفها عند المعتزلة فهي: "اتصال شعاع بين الرائي والمرئي ويشترطون في حصولها البنية، فهي إدراك وراء العلم ولا تتعلق إلا بالموجود لذلك ينفونها نفي استحالة"[1].

قال القاضي عبد الجبار: "ما يجب نفيه عن الله الرؤية"[2] فالمعتزلة نفوا الرؤية بحجة التشبيه والتجسيم فأجمعوا على أن الله ﷻ لا يراه المؤمنون في الآخرة بالأبصار وقالوا الرؤية تكون بالعلم والمعرفة فالرؤية عندهم مستحيلة،[3]، وأيضاً قالوا بنفي الرؤية بالأبصار؛ لأن البصر[4] يدرك بالمادي والله غير مادي ففي ذلك تشويه لله ﷻ وتشبيه له بالمخلوقات والتشبيه عند المعتزلة كفر[5]، واستدل القاضي عبد الجبار بالدليل العقلي على عدم رؤية الله فقال القاضي عبد الجبار:" إثبات الرؤية يؤدي إلى حدوثه وإلى حدوث معنى فيه، وإلى تشبيه بخلقه وإلى تجويزه في حكمه، وإلى تكذيبه في خبره؛ لأن الشيء إنما يرى إذا كان مقابلاً أو حالاً في المقابل وهذه صفات الأجسام فيجب أن يكون القديم تعالى جسماً وإذا كان جسماً يجب أن يكون محدثاً؛ لأن الأجسام لا تخلو عن المعانى المحدثة فتؤدي إلى حدوثه..."[6] أي أن البصر لا يصح أن يرى به إلا ما كان مقابلاً له أو في حكم المقابل، ومن أثبت الرؤية عند المعتزلة فهو كافر[7].

وقال الزمخشري: "وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ، ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأردوا أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لَن تَرَانِي ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبه فلذلك

(1) زهدي جار الله، المعتزلة (ص80).

(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص232).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، رسائل العدل والتوحيد (ج220/1).

(4) البصر عند المعتزلة هو "الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات، فالمعني أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال أن يكون مبصراً في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو تابعاً كالأجسام والهيئات" الزمخشري، الكشاف (ج54/2).

(5) القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص132) بتصرف.

(6) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص276).

(7) المرجع السابق، نفس الصفحة.

قال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾[الأعراف:143]... "[1] وحجة المعتزلة في الاستدلال بهذه الآية في نفي الرؤية عن الله من وجهين: الأول، أنه تعالى قال مجيباً لسؤال موسى ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ﴾ قال ﴿لَن تَرَانِي﴾، ولن موضوعة للتأبيد ونفى الله أن يكون مرئياً البتة، أما الوجه الثاني، فهو علق الرؤية باستقرار الجبل فلا يخلو إما أن يكون علقها باستقراره بعد تحركه أو علقها به حال تحركه، فالرؤية مستحيلة عليه كاستحالة استقرار الجبل[2].

وتفسير المعتزلة لقوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:26]، تفسير الزيادة هي التفضل والزيادة في النعم وما يزيد على الثواب وليس رؤية الله ﷻ والنظر إلى وجه الكريم[3].

ومن الآيات التي قامت المعتزلة بتأويلها واستدلت بها على عدم رؤية الله ﷻ يوم القيامة قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23]، قال القاضي عبد الجبار: "يحتمل بأن يكون الناظر ناظراً على وجوه بأن يكون مفكراً أو منتظراً الرحمة أو طالباً للرؤية فهو محتمل إذا ولا يترك به ما لا يحتمل وتأويله أي منتظرة لرحمة الله وناظرة إلى ثوابه ونعيمه في الجنة، وقال في قوله ﷻ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:15]، المراد به أنهم عن رحمته ممنوعون[4]، وفي موضع أخر فسروا أن "إلى" ليس حرف الجر بل اسم وواحد من الآلاء التي هي النعم ويصبح معنى الآية وجوه يومئذ ناظرة ألاء ربها، منتظرة نعمه ومترقبة[5].

وأيضاً قوله ﷻ: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:103]، قالوا أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية والله تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، وذلك تمدحاً راجعاً إلى ذاته وما كان نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته كان إثباته نقصاً وهذا غير جائز على الله ﷻ[6]، يعتقدون أن إدراك البصر ورؤيته سواء في اللغة لا يختلفان وعلى ذلك يجب أن

---

(1) الزمخشري، الكشاف (ج2/153-154).
(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص264-265).
(3) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج2/342).
(4) القاضي عبد الجبار، مختصر أصول الدين من رسائل العدل والتوحيد (ج1/220-221).
(5) انظر، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص246).
(6) المرجع السابق (ص233).

نجزم أن الله ﷻ لا يرى بالأبصار[1]، وفهم ينفون صفة الرؤية ويعتقدون في ذلك كمال لله وتنزيه له ﷻ عن مشابهة المخلوقين، وقاموا بتأويل الآيات مع ما يتناسب مع فلسفتهم الوهمية العقلية.

المناقشة والرد على المعتزلة.

1- إن نفي المعتزلة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة مخالف لما ثبت بالنصوص الصريحة، وقول ابن تيمية يؤكد ذلك فقال: "إنه قد ثبت بالسنة المتواترة وباتفاق سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة أهل الإسلام الذين ائتموا بهم من دينهم، أن الله ﷻ يرى في الدار الآخرة بالأبصار عياناً، وقد دل على ذلك القرآن الكريم في مواضع كما أنه مذكور في مواضعه، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة متواترة في الصحاح والسنن والمسانيد وقد أعتنى بجمعها أئمة"[2].

2- قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:22-23]، وتفسيرها بمعنى الانتظار وليس فيها دلالة على الرؤية باطل، لأن هذه الآية من أقوى وأوضح الأدلة على رؤيته ﷻ وأن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة فيكون معنى النظر الرؤية وليس الانتظار[3].

3- الفعل (نظر) له استعمالات في اللغة من حيث التعدى بنفسه أو لزوم حرف الجر:

أ- فإن تعدي بنفسه من دون حرف الجر كان معناه التوقف والانتظار كما في قوله ﷻ ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[الحديد:13].

ب- وإذا تعدي بحرف الجر (في) كان معناه التفكر والإعتبار كما في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:185].

ت- وإذا تعدي بحرف الجر(إلى) فلا يكون معناه إلا المعاينة بالأبصار كما في قوله ﷻ: ﴿انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: 99]، وهذه الآية توضح أن النظر يكون بالبصر الموجود في الوجه، وهذا يؤكد إلى ما ذهب إليه السلف وأن المؤمنين يرون ربهم عيانا بأبصارهم لا كما ادعت المعتزلة ونفت الجسمية[4].

---

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، مختصر أصول الدين، من رسائل العدل والتوحيد (ج220/1).

(2) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج392/2).

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج287/8).

(4) انظر: عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي (ص177-178).

4- في قوله ﷻ: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:103]، فهذا استدلال خاطئ، لأن الآية تنفي الإدراك مطلقاً دون الرؤية، وهذا يدل على ثبوت الرؤية كل شيء، كما يعلم ولا يحاط به علماً، إذن الله ﷻ يرى ولا يحاط به رؤية [1]، ونفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، لأن من الممكن أن نرى الشيء من غير إحاطة، مثل الشمس نراها جميعاً لكن لا ندركها ولا نحيط بها، فهناك فرق بين الرؤية والإدراك فالرؤية أعم والإدراك أخص، ونفي الأخص لا يدل على نفي الأعم، فالله نفي الإدراك الذي هو غير الرؤية وقدر زائد عليها ولم ينف الرؤية وهذا مدحاً وصفة كمال لله ﷻ[2].

والمدح يكون بالصفات الثبوتية، والعدم المحض ليس بصفة كمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الله ﷻ بالنفي المتضمن كمال ضده أو يتضمن أمراً وجودياً كنفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي المثل المتضمن كمال ذاته وصفاته، ولم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً[3].

5- قال ابن أبي العز الحنفي: "وأما دعواهم تأييد النفى بلن وأن ذلك يدل على نفى الرؤية في الآخرة ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأييد لا يدل على دوام النفي في الآخرة فكيف إذا أطلقت وأنها لو كانت للتأييد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك قال لله ﷻ: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾[يوسف:80]، فثبت أن لن لا تقتضي النفي المؤبد"[4].

6 – "حدوث العالم وأن الجسم لا يخلو عن الحركة والسكون فيكون حادث، فيمتنع أن يكون جسماً؛ لأنه قديم ولا يكون في جهة فيكون بذلك جسماً وإثبات الرؤية يؤدي إلى أن يكون الرب في جهة فيكون جسماً وإثبات الجسم يقتضي الحدوث وكل جسم حادث على حد زعمهم، ويمتنع أن يكون مقابلاً للرائي لأن المقابلة لا تكون إلا بين جسمين وهذا باطل"[5].

7 – وقوله "سترون ربكم" السين إذا دخلت على المضارع فتكون للتأكيد وأن الرؤية تكون في المستقبل والكاف هنا للتشبيه، فكما ترون القمر بدون حجاب فإنكم سترون ربكم عياناً بالأبصار

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج87/16-88). ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة (162/1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج278/3). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج36/3-37) بتصرف.

(3) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص134).

(4) المرجع السابق(ص134).

(5) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج343/3).

دون حجاب، رؤية تليق بجلاله وعظمته واضحة دون تضام[1]، وقال ابن تيمية: "ومن جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر"[2].

يتضح مما سبق أن المعتزلة من الفرق الكلامية التي قامت بنفي الرؤية وتأويلها للآيات الواردة فيها إما بمعنى الانتظار، أو ادعاؤهم أن الإدراك والرؤية بمعنى واحد وأن الرؤية لا تكون إلا في المقابلة وهذا لا يكون في حق الله ﷻ واستدلوا على إنكارهم لرؤية الله ﷻ بدليل الحدوث والأعراض فقاموا بنفيها كما يتسق مع الدليل العقلي عندهم وهذا باطل كما وضحته في الرد على المعتزلة.

---

(1) انظر: عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي (ص179).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج486/6).

الفصل الثاني

النبوات بين السلف والمعتزلة

في سورة يونس ﷺ

الفصل الثاني

النبوات بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام

إن الإنسان قد يقُصر على عقله معرفة الكثير من أمور الحياة الدنيا وأمور الآخرة، وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه علمه ومعرفته، فالعقل البشري وحده لا يكفي في الاستدلال على الأمور كافةً وخاصة الغيبية منها على وجه التحديد فكان من الضرورة إلى معين يساعده في معرفة ما قُصر عن إدراكه أو عجز عن فهمه؛ لذلك أرسل الله رسله وأنبياءه لبيان ما عجز على الإنسان معرفته من الغيبيات(1).

المبحث الأول

الأنبياء والرسل والفرق بينهما عند السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

سورة يونس عليه السلام من السور المكية التي تناولت الحديث عن النبوة والأنبياء خاصة النبي محمد ﷺ وأكدت أنهم مبعوثون من رب العالمين وأيدتهم ببراهين تدل على صدق نبوتهم كما في قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِين﴾[يونس:2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِين﴾[يونس:13] وغيرها، كذلك تحدثت عن الأنبياء والرسل بصورة عامة.

المطلب الأول: تعريف النبي لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة.

أولاً: تعريف النبي لغةً.

النبي في اللغة مشتق من الفعل (نبأ) وهو بمعنى الخبر، كما في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُون عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيم﴾[النبأ:2]، الذي يحمل الفائدة الجليلة، وسمى النبي بذلك؛ لأنه يخبر وينبئ عن الله تعالى بما أوحي إليه، وقيل أنه مشتق من الفعل (نبو) الذي يدل على الارتفاع والعلو(2)، والنبوة

---

(1) انظر: عبد الرزاق العفيفي، الحكمة من إرسال الرسل (ج15/14).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج384/5- 385). مصطفى إبراهيم وأخرون، المعجم الوسيط (ج2/ 896).

أي: الرفعة، وسمى النبي نبياً؛ لرفعته ولأنه أشرف الخلق عند الله ﷻ[1]، وقيل إنها بمعنى الطريق الواضح، والأنبياء هم طريق الهدى الذي يهتدى بها العباد لما فيه الخير والصلاح في دينهم ودنياهم[2].

يتضح مما سبق أن وجود العلاقة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، فالنبي مخبر عن الله ﷻ وهو ذو رفعة ومكانة عظيمة في الدنيا والآخرة، وهو الطريق الذي يهتِدي ويقتدي به الناس.

ثانياً: تعريف النبي اصطلاحاً عند السلف.

النبي في مفهوم السلف يطلق على من اصطفاه الله ﷻ من عباده بالوحى إليه، ولم يؤمر بتبليغه[3]، وهو الذي يعمل بشريعة من قبله، وينبؤه الله ﷻ بالأوامر الشرعية من أمر ونهي وعقيدة ليبلغها إلى أقوام موافقين له في الدين ولم يرسلوا إلى كفار مخالفين لأوامر الله ليبلغهم أوامر الله ﷻ ورسالته[4].

ثالثاً: تعريف النبي عند المعتزلة.

المعتزلة يرون أن المراد من النبي إما أن يكون مهموزاً فهو من الإنباء والإخبار والإعلام، وإذا وصف به الرسول فهو المبعوث من جهة الله ﷻ، وإما أن يكون مشدوداً فهو من النباوة أي: الرفعة والجلالة، وإذا وصف به المبعوث فهو المعظم الذي رفعه الله وعظمه [5].

واختلفت المعتزلة فيما بينها على تعريف النبوة فمنهم من ذهب إلى أنها هي جزاء وثواب على عمل كالقاضي عبد الجبار فيقول: "إنها جزاء على عمل، ففصلوا بينها وبين الرسالة من حيث كان المستفاد بها الرفعة التي هي جزاء عمله ولذلك قالوا أنها مستحقة دون الرسالة وهو

(1) انظر: الرازي، مختار الصحاح (ج304/1). الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن (ص790).
(2) انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ص53). الأزهري، تهذيب اللغة (349/15).
(3) انظر: عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص297). أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن (ص153).
(4) انظر: ابن تيمية، النبوات (ج2/ 714-717).
(5) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص567). المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج8/15-9) بتصرف.

قدر التعظيم والصواب"[1]، ومن كلام القاضي عبد الجبار يتضح أن النبوة جزاء على عمل صالح عمله النبي واستحق عليه النبوة، فهو ذهب إلى ما قاله الفلاسفة أن من اجتهد وعمل يكون نبياً، أي أنها تُنال بالكسب والعمل، والمعرفة والسمو الروحي يصلون إليها من خلال رياضة نفسية خاصة[2]، وهذا ليس المقصود من النبوة عند المعتزلة؛ لأن النبوة هي منة واصطفاء واختيار من الله ﷻ وليس جزاءٌ وثواب على عمل.

لكن الزمخشري من المعتزلة خالف القاضي عبد الجبار في هذه المسألة فيرى أن الرسول من الأنبياء من له كتاب منزل عليه، والنبي من لم ينزل عليه الكتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله، واجتماع الرسول والنبي معاً يدل على أنهما اسمين لمعنين[3].

المطلب الثاني: تعريف الرسول لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة.

أولاً: تعريف الرسول لغةً.

الإرسال في اللغة بمعنى التوجيه، والرسول سمي بذلك؛ لأنه مرسل وموجه من قبل الله ﷻ، فهو ذو رسالة، وقيل الرسول معناه الذي يقوم بمهمة كمتابعة وجمع الأخبار كما قال الله ﷻ عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[النمل:35][4]، وقيل أن لفظ الرسول يطلق على الانبعاث وعلى التؤدة، فالرسول يبعثه الله إلى قومه بالرفق والمودة[5].

يتضح من المعنى اللغوي أن لفظ الرسول يراد به أنه مبعوث من قبل الله ﷻ وذو رسالة ويجب عليه حملها وتبلغيها لمن أرسل إليهم.

ثانياً: تعريف الرسول اصطلاحاً عند السلف.

الرسول في مفهوم السلف يطلق على من أوحي إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه، لأمة من سائر الأمم مثل سائر الرسل الذين بعثهم الله إلى أقوامهم، وقد يكون الرسول للناس كافة كخاتمهم

---

(1) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج10/15)

(2) انظر: مجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (ج126/4)

(3) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج164/3)

(4) انظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس،(ج72/29-74). ابن منظور، لسان العرب (ج281/11-284)، الفيروز أبادي، القاموس المحيط (1006).

(5) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص352).

محمد ﷺ[1]، والرسول هو الذي ينبؤه الله ﷻ ثم يكلفه ويأمره بتبليغ رسالته لمن خالف أمره كنوح[2] وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس وقبلهما أدم كان نبياً مكلماً[3].

ثالثاً: تعريف الرسول عند المعتزلة.

الرسول في مفهوم المعتزلة إذا أطلق فلا ينصرف إلا للمبعوث من جهة الله ﷻ دون غيره، وهو من الكلمات المتعدية أي لا بد أن يكون هناك مرسل ومرسل إليه، ويطلقون عليه النبي لما يختص به من الرفعة والعظمة [4].

المطلب الثالث: الفرق بين النبي والرسول عند السلف والمعتزلة.

كما سبق في تعريف النبي والرسول فقد اختلف أهل العلم في تعريفهما اصطلاحاً وانقسموا إلى قولين:

القول الأول: من يرى أن الكلمتين مترادفتان ولا فرق بين النبي والرسول، فكل نبي رسول، وكل رسول نبي، وذهب إلى هذا القول بعض المعتزلة وشيخهم القاضي عبد الجبار، فالمعتزلة يرون أنه لا فرق بين النبي والرسول فكل نبي رسول وكل رسول نبي، فالنبي والرسول بمعنى واحد وما يطلق على النبي يطلق على الرسول فهما متفقتان في المعنى، فلا يكون الرسول إلا نبياً، ولا يكون النبي إلا رسولاً[5] يقول القاضي عبد الجبار في بيان ذلك: "فأعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي" وأنه لو ثبت أحدهما ونفي الأخر لتناقض الكلام[6].

وهذا القول مخالف ومردود لما يأتي:

---

(1) انظر: محمد هراس، شرح العقيدة الواسطية (ص52).

(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (ج714/2).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/قوله ﷻ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة:31]، 17/6: حديث رقم4476].

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص567). تنزيه القرآن عن المطاعن (ص273).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج422/3)

(6) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص، 567-568)

1- لما ورد في المعنى اللغوي لكل من النبي والرسول.

2- وأيضاً لما ورد في القرآن الكريم أن الله ﷻ وصف بعض الأنبياء بالنبوة والرسالة، كما في قوله ﷻ : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[مريم:51]، وهذا يعنى أن الرسالة ليست مساوية للنبوة وإنما هي معنى زائد عليها[1].

القول الثاني: من يرى أن هناك فرق بين النبي والرسول وهذا ما عليه جمهور العلماء كالإمام الطحاوي وابن تيمية وغيرهما وهذا هو القول الراجح لكنهم اختلفوا في وجوه التفريق.

1- قال ابن أبي العز الحنفي في ذكر الفرق بين النبي والرسول: "أن الرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم"[2].

2- منهم من قال أن بين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، فالرسول يتميز عن النبوة بالرسالة التي هي قدر زائد عن النبوة[3]، وهذا موافق لقول القاضي عياض[4] رحمه الله: "الصحيح الذي عليه الجمع الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول"[5].

3- وبعض العلماء ذكر الفرق بين النبي والرسول، أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو رسول[6] وهذا القول باطل لما يأتي[7]:

أ- أنه قد ورد أن الله ﷻ أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل، فالإرسال ثبت في حق الأنبياء والرسل كما في قوله ﷻ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[الحج:52].

---

(1) انظر: عمر الأشقر، الرسل والرسالات (ص14).

(2) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص101).

(3) انظر، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج49/1).

(4) عياض بن موسي بن عياض بن عمرو بن موسي بن عياض القاضي أبو الفضل عالم المغرب ولد في بسبتة سنة 476هـ وأصله أندلسي، كان إمام الحديث في وقته وأعلم الناس بعلومه وبالنحو واللغة وهو من أهل العلم والتفنن والذكاء، له عدة تصانيف منها الشفاء في شرف المصطفي، توفي مغرباً عن وطنه سنة 544هـ ودفن في مراكش. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج4/67-69).

(5) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ج251/1).

(6) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (ص101). الألوسي، روح المعاني (ج165/9).

(7) انظر: عمر الأشقر، الرسل والرسالات (ص14-15).

ب- أن ترك البلاغ فيه كتمان لوحي الله وضياعه بمجرد موت هذا الشخص الذي يحمله، والله ﷻ لم ينزل وحيه ليكتم ويقتصر على واحد من الناس، وهذا يستحيل في حق الأنبياء.

أ- قول النبي ﷺ: "عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد"[1] فهذا الحديث دل على أن الأنبياء جميعاً أدوا الأمانة وبلغوا ما أرسلوا لأجله كما في قوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[يونس:47].

4- ما ذكره ابن تيمية: أن النبي من أرسل لقوم مؤمنين موافقين له في العقيدة، والرسول من أرسل لقوم كافرين مخالفين له في الدين والعقيدة[2] وهذا هو الرأي الراجح.

5- والزمخشري من المعتزلة خالف القاضي عبد الجبار في هذه المسألة ويرى أن هناك فرق بين النبي والرسول، فالفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء وله كتاب منزل عليه، والنبي من لم ينزل عليه الكتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله، واجتماع الرسول والنبي معاً يدل على أنهما اسمين لمعنيين[3].

المطلب الرابع: دلائل النبوة والأنبياء المذكورين في سورة يونس عليه السلام.

أولاً: دلائل النبوة التي وردت في سورة يونس عليه السلام.

1- تأييد الله ﷻ لرسله بالآيات والمعجزات الدالة على صدق نبوتهم، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾[يونس:74-75].

2- صفات الرسل وأخلاقهم وأنهم يدعون إلى مكارم الأخلاق، فالرسل صلوات الله عليهم يتصفون بالأخلاق العالية من الصدق والأمانة والهمة والفطنة والذكاء والعصمة والترفع عن

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب دخول طوائف من المسلمين الجنة من غير حساب، 199/1: رقم الحديث220]

(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (ج714/2).

(3) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج164/3).

سفاهات الأمور، فهم بشر اصطفاهم الله بالرسالة لتبليغها لأقوامهم قال ﷻ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾[يونس:2]، وأنهم يبلغون ما أمرهم الله به ولو لم يكن الصدق في دعواهم لما أيدهم الله كما في قوله ﷻ : ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[يونس:53].

3- اتفاق دعوة الرسل فالرسل جميعاً كانت دعوتهم للتوحيد الخالص وترك ما كان سائداً في الجاهلية من عبادة الأصنام، وإبلاغ الناس ما أنزل عليهم من الله ﷻ قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[يونس:19]، ويؤكد ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[النحل:36].

4- بشارة النبي السابق بالنبي اللاحق، فتبشير الأنبياء السابقين لمن يأتي بعدهم لهو دليل على صدق نبوتهم، وورد ذلك في سورة يونس ﷺ في قوله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[يونس:93][1].

ثانياً: الأنبياء والرسل في سورة يونس ﷺ.

أولاً: نوح ﷺ.

قد ذكر الله ﷻ قصة نبي الله نوح ﷺ في عدة مواضع كثيرة من القرآن الكريم[2] إما مجملةً دون تفصيل، وإما مفصلةً ومستقلةً وقد ذكرت سورة بأكملها تحدثت عن نبي الله نوح وقصته مع قومه، فكانت بحق تمثل الجهاد والصراع بين الحق والباطل، ومن هذه السور التي تحدثت عن نبي الله نوح ﷺ سورة يونس ﷺ، كما ورد في قوله ﷻ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن

(1) انظر: عمر الأشقر، الرسل والرسالات (ص119-120).

(2) كسورة الأعراف، ويونس، والأنبياء، نوح، والعنكبوت، والصافات، والشعراء، وهود، وغيرها.

كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[يونس:71-73].

نوح عليه السلام هو الأب الثاني للبشر وهو أول الأنبياء الذين تحملوا الأذى مع أقوامهم، واسمه هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ بن إدريس، بن يرد بن مهلاييل بن قينن، وقيل نوح بن ملكان بن مثوب بن إدريس، كان مولده بعد وفاة أدم بمائة سنة وست وعشرين سنة[1]، بعثه الله ﷻ لما عبدت الأصنام والأوثان من دون الله ووصل بهم الأمر إلى تقديسها لمرتبة الألوهية ووقع الشرك وانتشر في الناس الكفر والضلال، كما ورد في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ"[2]، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "... فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ...، وهو ما يعرف بحديث الشفاعة[3]، وكان قومه يقال لهم بنو راسب، فنوح عليه السلام كان يعاني من قضيتين أساسيتين هما قضية التوحيد وعبادة الله الواحد فدعاهم إلى إفراد الله ﷻ بالعبادة، وأنه وحده الذي يعبد وأن لا يعبدوا معه صنماً ولا وثناً، وأن يعترفوا بوحدانيته وأنه لا إله غيره، والقضية الأخرى هي قضية التفاضل بين الناس والاستعلاء الذي كان سائداً والطبقية العنصرية العرقية الشديدة، فحاول

---

(1) انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (239/1). ابن كثير، قصص الأنبياء (ص 54). ابن كثير، البداية والنهاية (ج113/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله ﷻ: ﴿وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23]، 6/ 160: حديث رقم4920].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، 1/ 184: حديث رقم 194].

جاهداً على نزع هذه الجاهلية، وعمل على غرس مفهوم العقيدة في نفوسهم وأنها هي الميزان والأساس في التفاضل بين الناس[1]، فمكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وهذه مدة طويلة استخدم خلالها الأساليب الدعوية كافة من الترغيب والترهيب ولم تقتصر دعوته على النهار فقط بل كان يدعوهم ليلاً سراً وعلانية، ومع ذلك لم يؤمن معه إلا القليل[2] كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِين أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُون يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُون قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[نوح:1-7].

وسورة يونس عليه السلام تعرض لنا المشهد الأخير من هذه القصة، وهو تحدي نوح عليه السلام لقومه بعد الإنذار الطويل، وهو على كامل الثقة بالله ﷻ وأنه سينصره فيقول إن كان الأمر قد بلغ منكم الضيق وثقل عليكم مقامي، ولم تتحملون دعوتي لكم إلى توحيد الله، فتدبروا أمركم وأجمعوا شركاءكم، وخذوا أهبتكم وليكن الأمر واضحاً لكم لا غموض فيه، ولا تمهلوني وقتاً للتراجع، فأنا على أتم الاستعداد واستعدادي هو توكلي على الله ﷻ والإيمان الذي أحمله وأدعو به، وهذا تحدى في كامل القوى الحقيقية أمام القوى الضعيفة الهزيلة، وهذا كله لم يؤثر علي ولم يزحزحني عن عقيدتي فأنا وما أملك من نفسي وأهلي كلها لله ﷻ[3]، وبعد ذلك وأن تمادوا في المعصية دعا نوح عليه السلام على قومه واستجاب له الله ﷻ وأمره بصنع السفينة وأمره أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح، وبعد ذلك حصل الطوفان فنجاه الله ومن معه من المؤمنين رغم قلتهم وجعل لهم الخلافة في الأرض، وأهلك الكافرين رغم كثرتهم وقوتهم ولم تنفعهم أصنامهم وأوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله وهذا هو نتيجة هذا التحدي[4]، فنوح عليه السلام كان نموذجاً للنبي الصابر الجريء الذي لا يعرف التردد ولا يهاب الموت في سبيل إعلاء كلمة التوحيد فكان

---

(1) انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص202-204).

(2) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء (ص 62). ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (ج180/1).

(3) انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج246/4-247). سيد قطب، في ظلال القرآن، (1810/3-1812).

(4) انظر: ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج183/1). ابن كثير، البداية والنهاية (ج125/1-128). سيد قطب، في ظلال القرآن (1812/3).

حريصاً على قومه ورغم ذلك تحداهم بقوة وكان على يقين تام بأن الله ﷻ سينصر الحق على الباطل[1].

ثانياً: موسى عليه السلام مع فرعون.

ما زالت سورة يونس عليه السلام تعرض لنا قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ لأنها تمثل الصراع القوي والتحدي المقرون بأن الله ﷻ سينصر الحق على الباطل، والقصة الثانية التي ذكرتها سورة يونس عليه السلام هي قصة موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون.

فموسى عليه السلام هو من أكثر الأنبياء معاناة بعد النبي محمد ﷺ؛ لأن الله ﷻ أرسله إلى أهل مصر فكانوا فئتين فئة طاغية حاكمة، وفئة مضطهدة ضعيفة، وسورة يونس عليه السلام ركزت على إرساله إلى آل فرعون؛ لأنها كانت هي الفئة المتمردة الحاكمة[2]، وتلك القصة عرضها القرآن الكريم في سور متعددة وكل سورة تحمل جانباً أو أكثر من هذه القصة[3]؛ لأنها من أعجب القصص ففرعون حذر من موسى عليه السلام كثيراً، فشاء القدر أن يتربى موسى في بيت هذا الطاغية وعلى فراشه، ثم تيسر له سبباً أخرجه من هذا البيت ورزقه الله بعد ذلك النبوة والرسالة [4]

فاسمه هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام [5]، وسورة يونس عرضت جانب إرساله عليه السلام وأخيه هارون إلى فرعون وملئه كما في قوله ﷻ: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِين فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِين قَالَ مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُون قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِين وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيم فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُون فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ**

---

(1) انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص204). وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج229/11).
(2) انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص499).
(3) منها: سورة الأعراف التي تحدثت عن موسى عليه السلام مع فرعون وبني إسرائيل، وسورة طه التي تحدثت عن الرسالة، وفرعون، وبني إسرائيل، وسورة القصص التي تحدثت عن ميلاده عليه السلام، وعن الرسالة، وقصته مع فرعون، وغيرها. انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم (482-483).
(4) انظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم (248/4).
(5) انظر: ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ (150/1).

سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينِ وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[يونس: 75-93].

فهذه الآيات تسرد لنا حكاية موسى عندما أرسله الله ﷻ إلى فرعون وملئيه بالآيات والمعجزات التسع الذي ذكرت في سورة الأعراف[1]، فاستكبروا وأخذتهم الحمية وكفروا بتلك الآيات وكانوا قوماً مجرمين متمادين في الشرك، وادعوا أن هذا لسحر واضح، فيستنكر ويتعجب موسى عليه السلام كيف يكون الحق المبين الذي يحمل الهدى للبشرية سحر، والسحر لا يتضمن عقيدة ولا يحمل قضايا الدين وأمور الألوهية والربوبية وغيرها من أمور الدنيا والآخرة، وهو كما معروف أنه تمويه وتخييل ولا ينجح ولا يفلح الساحرون أبداً[2].

---

(1) الآيات في قوله ﷻ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ﴾[الأعراف:133]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ﴾[الأعراف:130] بالإضافة إلى العصا التي تحولت حية عظيمة، واليد الذي خرجت بيضاء من غير مرض ولا برص.

(2) انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص538). الطبري، جامع البيان في تأويل آيات القرآن (156/15). وهبة الزحيلي، التفسير المنير(ج236/11-237). سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1813/3).

وقالوا جئت لنا أي يا موسى وهارون عليهما السلام، لتثنينا وتصرفنا وتفنيننا عما كان عليه آباؤنا من عبادتهم للأصنام والأوثان، ولنفي العزة والسلطان عن ملكنا، وتكون العظمة والكبرياء والسلطان والملك لكم ولكن نحن مصممون على أن لن نؤمن(1).

وبعد انتهاء المشهد الأول من هذه الأحداث يأتي المشهد الثاني: وهو أمر فرعون بإحضار السحرة لمقاومة دعوة موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيم فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُون فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِين وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُون﴾[يونس:79-82] فيطلب فرعون من شركائه أن يأتوه بكل ساحر وهذا تحدى بليغ وقوي من فرعون لموسى، لأنه ماهر في أمور السحر وكان منتشراً في ذلك الوقت(2)، وفي هذا اللقاء العظيم والمشهد المخيف تحدث مبارزة بين نبي الله موسى عليه السلام وسحرة فرعون، كما في قوله تعالى:﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِين﴾[الأعراف:115]، فيقول لهم موسى عليه السلام ألقوا ما أنتم تريدون إلقاءه، وقيل الحكمة من أنهم أول من يلقي ليروا الناس هرجهم وصنيعهم الباطل، فألقوا خيوطاً وحبالاً يُخيل إليهم أنها تسعى، فوقع الخوف في نفس موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[طه:67-69]، وبعد ذلك في هذا الموقف العظيم يأمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أن يلقي ما في يمينه وهي عصاه فإذا هي ثعبان مبين تلتقم كل ما تراه أمامها، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِين﴾[الأعراف:107].

وفي هذه الآيات أربع قضايا مهمة وضحها موسى عليه السلام للطاغية فرعون وأشرافه وهي:

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج248/4). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج367/8).
(2) انظر: القاسمي، محاسن التأويل (ج53/6).

القضية الأولى: هي أن هذا الذي جئتم به إنما هو السحر بعينه وهو الذي وصفتم به الآيات التي جئت بها وهو سحر الخيال، وما جئت به مخالف ومغاير لما عندكم(1)، **والقضية الثانية:** هي أن الله ﷻ سيبطله، **والقضية الثالثة** مترتبة عليها وهي أن الله ﷻ لا يقوي أعمال المفسدين ولا يجعلها نافعة وصالحة، **والقضية الرابعة:** هي النتيجة النهائية الفاصلة وهي أن الله ﷻ يثبت ويقوي الحق وينصره على الباطل مهما بلغ الزمان وتكون كلمة التوحيد هي العليا ولوكره المفسدون والمجرمون(2).

والمشهد الثالث: هو إيمان فئة قليلة بموسى عليه السلام وتمثلت في قوله ﷻ: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:83-87]، فبعد هذه الأدلة والبراهين على صدق موسى عليه السلام ، فإنه لم يؤمن به إلا فئة قليلة من بني إسرائيل وهم شباب حديثي السن، وهذه إشارة إلى أن الشباب هم جزء فعال في الدعوة إلى الله(3)، فأمنوا وهم على خوف من فرعون وشركائه أن يضلوهم ويحرفونهم عن طريق الإيمان والكفر بالله ﷻ، ففرعون كان طاغية متجبراً عنيداً منكراً وحدانية الله ويدعي الألوهية والربوبية فكان من المفسدين في الأرض، فيقول موسى عليه السلام لقومه مطمئناً إياهم يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فهو مولانا ونعم المولى والنصير، وثقوا بالله فإنه لا يخذل أولياءه المؤمنين، فيقولون فوضنا أمرنا إلى الله ودعوا الله يا رب لا تمتحن فرعون بنا ونجنا من القوم الكافرين، وهذا لا ينافي الاتكال على الله ﷻ بل هو أدل على الاعتماد عليه ﷻ(4).

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(ج162/15). فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص 539).

(2) انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص539).

(3) انظر: محمد حجازي، التفسير الواضح (84/2)، فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص539).

(4) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج167/15-168). سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1815/3-1816).

وبعد هذه الجولة يوحى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتخذوا بيوتاً[(1)] مخالفة ومميزة عن بيوت بني إسرائيل، ليعرفوا بعضهم ويكون الأمر سهل عليهم عند الأمر بالرحيل، وأمرهم الله بالصلاة وكثرة الدعاء فيها لما هم فيه من الشدة والضيق والخوف من الطاغية فرعون، كما في قوله ﷻ: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[البقرة:45][(2)]، فيناجي موسى ﷺ ربه، **ويأتي المشهد قبل الأخير** وهو دعاء موسى ﷺ على فرعون كما في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:88-89] فبعد أن أبى فرعون الإيمان بدعوة موسى وهارون عليهما السلام وتماديه في الظلم والفساد، ونفاذ صبر موسى عليه دعا عليه موسى فيقول يا رب إنك أعطيت فرعون الزينة الكاملة من أموال ومتاع وغيرها من نعم وتطرف وبزخ الحياة الدنيا، وكانت نتيجة ذلك الطغيان والفساد في الأرض وإضلال عبادك، فيا رب امحق وادثر وغير أموالهم عما كانت عليه وبدلها من هذا الحال إلى أسوأ منها، وأختم على قلوبهم حتى يشاهدوا العذاب الأليم، هذا لم يئس من إيمانه، أما من يعود إلى رشده فدعا عليهم أن يزيد الله قلوبهم شدة ولا تنشرح صدروهم للإيمان فيستحقون العذاب المؤلم الموجع[(3)].

وتنتهي أحداث القصة بالمشهد الأخير باستجابة دعاء نبي الله موسى وأخيه هارون عليهما السلام، رغم الضعف وإغراق الطاغية المتمرد فرعون لعنه الله رغم تمرده، فيأمر الله ﷻ بني إسرائيل بالخروج من مصر كما في قوله ﷻ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ

---

(1) اختلف في المراد بها فقيل اجعلوها بيوتا متقابلة على جهة واحدة، وقيل اجعلوها بمعنى قبلة للصلاة والدعاء فيها خوفا من فرعون وخشية من أن يصلوا في معابدهم، انظر: محمد حجازي، التفسير الواضح (ج85/2). فضل عباس، قصص القرآن الكريم (540).

(2) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج311/1-312).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج179/15-182). وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج251/11-252). سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1817/3).

عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُون وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُون﴾ [يونس: 90-93]، فقد جاوز ببني إسرائيل البحر واتبعهم فرعون وجنوده متمردين معتدين، ويأتي أمر الله ﷻ واستجابة دعواه ويغرق فرعون وتخفضه الأمواج وترفعه وتتخبطه يميناً ويساراً، وفي ذلك الوقت أشفى الله قلوب المؤمنين، وبعد أن كاد فرعون أن يغرق رجع وأناب إلى ربه، الآن وبعد فوات الأوان يرجع فرعون عما كان فيه من كافة أنواع الظلم والكفر ويعلن إسلامه، ولكن هيهات هيهات فلن ينفعك إيمانك ولا تنفع أي نفس إيمانها ما قد أمنت من قبل، الآن وقد ضيعت كل الفرص التي كان لك أن تؤمن فيها ولكن كبرياءك منعك من ذلك، الآن تقر لله ﷻ بالألوهية والعبودية فاليوم ننجيك ببدنك(1) فيصبح كالهيكل العظمي ونقذفه على ساحل البحر لتكون عبرة لمن بعدك من الأمم ولمن كذب بهلاكك واعتقد أنك أنت الإله والرب ولا تموت وهم كثيرون لا يتعظون ولا يعلمون(2).

فقصة موسى عليه السلام مع فرعون نموذجا لمن كذب برسالة الأنبياء جميعاً ولمن تصدى لها بالتكذيب والجحود وبيان عاقبة المكذبين والمستهزئين المكذبين للوحي الإلهي

وبعد هلاك فرعون يبين الله ﷻ مكانة ومنزلة بني إسرائيل وما أنعم عليهم من الخيرات والطيبات، وجعل لهم الخلافة في الأرض كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُون﴾ [يونس: 93].

---

(1) قيل المقصود بالبدن، الجسد من غير روح، أو بدرعه وقد كان له درع مصنوع من الذهب، أو أن نقذفه عرياناً دون ملابس، أو أنه ننجيه وحده، انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج349/2).

(2) انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص540). ابن كثير، قصص الأنبياء (ص 268). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج194/15).

ثالثاً: يونس بن متى عليه السلام.

تختتم قصص الأنبياء في سورة يونس عليه السلام بالنبي يونس عليه السلام الذي سميت السورة باسمه، لقصته المميزة مع قومه والتي تمثل الجانب الإيجابي للدعوة، بعدما ما سردت لنا السورة تكذيب الأنبياء السابقين من قبل أقوامهم كنوح وموسى عليهما السلام.

وقصة النبي يونس عليه السلام قد ذكرها القرآن الكريم في عدة مواضع منها(1) وقد أشير إليها إشارة في سورة يونس عليه السلام؛ لأن السورة تتحدث عن الجانب الدعوي للأنبياء مع أقوامهم وتكذيبهم للوحي والرسالة كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس:98].

اسمه: يونس بن متى، كما ورد في حديث النبي ﷺ: "مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ"(2).

بعثه الله تعالى إلى أهل قرية نينوى فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته، فكذبوه وعاندوه كغيرهم من الأقوام السابقين، فلما طال الوقت على عنادهم خرج من بينهم وتوعدهم بنزول العذاب عليهم وبعد أن خرج، أحسوا بدنو العذاب وظهور بداياته ووقوعه عليهم، تضرعوا لله تعالى بأن يرفع عنهم ما هم فيه ورجعوا عن عنادهم بالتوبة والإنابة وندموا على ما فعلوه بالنبي يونس عليه السلام، ولما عرف تعالى صدق إيمانهم وتوبتهم رفع عنهم العذاب ورحمهم(3)، ومتعهم إلى الأجل الذي كتبه الله لهم في كتابه وعلى علمه السابق(4)، فقوم يونس عليه السلام هم وحدهم الذين نفعهم إيمانهم وتاب الله عليهم وقبل توبتهم وإيمانهم.

فيتساءل الكثيرون لماذا قبل الله تعالى توبة قوم يونس ولم يقبل توبة فرعون؟؟

---

(1) كسورة القلم، وسورة الأنبياء، وسورة الصافات، وسورة يونس.

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء/ باب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:139]، 4/ 159: رقم الحديث 3413].

(3) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء (ص 218).

(4) انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم (ص632).

فيُرد على هذا الإشكال أن فرعون كانت توبته بعد أن شاهد العذاب ووقع فيه، وانتهي الأمر فلم ينفعه إيمانه بعد، وقوم يونس عليه السلام تابوا عندما أنذرهم نبيهم وعند ظهور إشارات العذاب التي تدل على قرب وقوعه، فتابوا بصدق قبل أن يشاهدوا العذاب [1]، والإيمان الذي ينفع صاحبه هو الذي يكون وقت أداء التكاليف وقبل غرغرة النفس، وما حصل مع فرعون كان في وقت لا تنفع معه أداء التكاليف والفرائض[2].

من خلال الحديث عن قصص الأنبياء الثلاثة (نوح، وموسى، ويونس) عليهم السلام، نلاحظ أنها وردت في سورة يونس عليه السلام للرد على شبهات الكفار المنكرين للوحي والغير مصدقين بوقوع العذاب عليهم ولو بعد حين، فكيف تأخر عن فرعون حتى استجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام، ونجا منه قوم يونس عليه السلام بسبب إيمانهم قبل وقوع العذاب عليهم.

المطلب الخامس: عقيدة المعتزلة في النبوات والرد عليهم.

قبل التفصيل في عقيدة المعتزلة في النبوات لابد من تعريف الوجوب لغةً واصطلاحاً عند المعتزلة.

أولا: الوجوب لغةً واصطلاحاً:

وجب أي ثبت ولزم، ووجب الشيء أي لزم ويقال استوجبه أي استحقه، وأوجب الرجل إذا عمل عملاً صالحاً يوجب له الجنة[3]، فالوجوب هو بمعنى اللزوم والاستحقاق أما تعريف الوجوب اصطلاحاً عند المعتزلة فهو "ما إذا لم يفعله القادر عليه استحق الذم على بعض الوجوه، أو ما للإخلال به مدخل في استحقاق الذم"[4].

أما عن عقيدة المعتزلة في النبوات فقد تحدثت المعتزلة عن الأنبياء والرسل ضمن باب العدل، فيقول القاضي عبد الجبار في بيان ذلك:" ووجه اتصاله بباب العدل هو أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات، فلا بد من أن يعرفنا بها لكي لا يكون مخلاً بما هو

---

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج303/17).

(2) انظر: محمد حجازي، التفسير الواضح (ج90/2).

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج152/5). ابن منظور، لسان العرب (793/1-794). الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج231/1-232).

(4) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص39-40).

واجب عليه، ومن العدل أن لا يخل بما هو واجب عليه"[1]، وفي موضع أخر يقول:" يجب على كل حال بعثة الرسل؛ لأنه لا فرق بين أن يحتاج إليها في الشروط التي لا تتم العبادات إلا بها أو في نفس العبادات"[2].

من خلال القولين السابقين يتضح أن المعتزلة توجب إرسال الرسل على الله ﷻ؛ لأن ذلك من عدله ويجب عليه أن لا يتخلف عن ذلك.

فعند المعتزلة أشياء لا يعرفها العقل ولا يهتدى إلى معرفتها إلا ببعثة الأنبياء ويعتبرون ذلك لطفاً[3] من الله ﷻ، وبعثة الأنبياء لطف؛ لأن من خلالهم يهتدى الناس إلى أداء الواجبات وترك المعاصى وهذا لا يستطيع العقل فعله فيجب على الله بعث الأنبياء والرسل[4]، ويظهر ذلك من قول القاضي عبد الجبار: "فلا بد من أن يعرفنا الله تعالى حال هذه الأفعال كي لا يكون عائداً بالنقص على غرضه بالتكليف، وإذا كان لا يمكن تعريفنا ذلك إلا بأن يبعث إلينا رسولاً مؤيداً معلماً معجزاً دالاً على صدقه ولا بد أن يفعل ذلك ولا يجوز الإخلال به"[5]، فالمعتزلة بقولهم بالإيجاب قد قاسوا الخالق على المخلوق.

الرد على المعتزلة في إيجابها على الله ﷻ إرسال الرسل.

1- السلف لا يقولون بوجوب أي شيء كان على الله ﷻ بعقولهم، لكنهم يثبتون ما أوجبه وألزمه على نفسه من الأفعال الربانية كما في قوله ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:54]، وهذا خاص وحق لله، وليس للمخلوق بعقله أن يوجب على الله شيئاً[6]، كذلك أهل السنة والجماعة متفقون على أن المخلوقات بعقولهم لا يوجبون على الله شيئا[7].

---

(1) المرجع السابق (ص 563).

(2) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج28/15).

(3) اللطف عند المعتزلة هو: ليس بأكثر من أن يكون المرء عنده أقرب إلى أداء الواجبات وترك المعاصي على وجه لولاه لما كان بهذه المثابة، انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار (ص 64)، وقد يسمي توفيقاً وقد يسمي عصمة، فيكون عصمة عندما يكون في الامتناع عن فعل المعاصي ويكون المرء معه لا يرتكب المعاصي والكبائر وهو الذي يطلق على الأنبياء، انظر: المرجع السابق، (780)، راجع المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج15/13) وما بعدها.

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص564).

(5) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(6) انظر: ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل (ج19/1).

(7) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (ج310/2).

2- ما تفضل به على نفسه وما أوجبه على نفسه ﷻ يكون حسب إرادته ومشيئته ومحبته ولا بد أن يقع، وما حرمه على نفسه يكون لقبحه وبغضه ولا يفعله فلا نستطيع أن نوجب عليه أي أمر، وما ذهبت إليه المعتزلة قول مبتدع[1].

3- قوله ﷻ: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء:165] فلا دليل على المخلوقين إلا قول الرسل، كما قال الاسفرايني: "من زعم أن العقل يدل على وجوب شيء يفضي به الأمر إلي إثبات الوجوب على الله ﷻ .... ثم لا يزال الوجوب دائراً بينهما وذلك يؤدي إلى ما لا يتناهى، وأي عقل يقبل الوجوب عليه ولا واجب إلا بموجب وليس فوقه ﷻ موجب"[2]، فإن إرسال الرسل منة وفضل من الله على عباده، والله أرسلهم رحمةً لعباده ولن يعذب أحداً إلا بعد بيان الحجة والرسالة التي بعث من أجلها الأنبياء كما في قوله ﷻ : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا ﴾[الإسراء:15][3].

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (ج111/2).

(2) الإسفراييني، التبصير في الدين (ص171).

(3) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية (ص 517 – 518).

المبحث الثاني

النبي محمد ﷺ ومعجزة القرآن الكريم بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

المطلب الأول: إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال سورة يونس عليه السلام.

لقد بعث الله تعالى نبيه محمد ﷺ في فترة كان الكفر والشرك منتشرين في الجاهلية، كما في قوله الله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:18].

وكانت البشرية في ذلك الوقت في أمس الحاجة إلى نبيٍ يهديهم ويذكرهم بدين الإسلام الحنيف ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم، وينذرهم بعذاب الله تعالى الواقع لا محالة على الكافرين والمشركين.

وفي ذلك الوقت أنكرت العرب أن يكون رسول الله ﷺ بشراً مثلهم ويدعو إلى الدين الحنيف، وتعجبوا من ذلك فكيف يكون محمد اليتيم والفقير يدعو الناس ويذكرهم بالعذاب والآخرة والبعث، فالله تعالى يختار للنبوة من اجتمعت فيه أسباب العظمة والغني والسيادة ويكون من عظمائنا ولا يمكن أن يكون النبي يتيماً وفقيراً وأمياً[(1)]، ولكن كانت نبوة محمد ﷺ ثابتة ولها دلائل وأمور توحي وتدلل على نبوته ﷺ من قبل أن يبعثه الله تعالى رسولاً إليكم، ومنذ أن كان صبياً كما رُوِي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ – يَعْنِي ظِئْرَهُ [(2)]– فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ"[(3)]، ومن الأمور التي تدل على نبوة محمد ﷺ ورجاحة عقله حيث أنكم كنتم تأخذون برأيه في كثير من شؤون حياتكم وأنتم الذين أمنتموه على كثير من أموركم التي كانت معقدة ولا تستطيعون حلها مثل بناء الكعبة واختلفتم من

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (4 /215). النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج2/ 5-6)

(2) ظئره: وهي المرضعة. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج2/ 217).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب الإسراء برسول الله محمد ﷺ إلى السماوات، 147/1: حديث رقم162].

يضع الحجر في مكانه، ومجرد أن دخل محمدٌ ﷺ انتهي الخلاف ووضع الحجر في ردائه وجعل كل قبيلة تمسكه من طرف ووضعوا الحجر مكانه[1]، فهذا يدل على مكانته ﷺ رغم أنه كان يتيماً وهناك دلائل كثيرة على نبوته قال القاضي عياض في بيان ذلك:" ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفاته وصفات أُمَّتِهِ واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين"[2]، ومن الدلائل الدالة على نبوته تحمله الأذى والمشاق والمتاعب التي لا يتحملها إلا من كان على الحق، وكان ﷺ لا يعتريه تقصير أو نفور في سبيل إيصال الرسالة ودعوة الناس إلى دين الحق[3] ومن معجزاته ﷺ الدالة أيضاً على نبوته انشقاق القمر وحنين الجذع، وتسبيح الحصي، ونبع الماء من بين أصابعه، وسجود الحجر والشجر له، واطلاعه على علم الغيب، وقتال الملائكة معه يوم بدر، وغيرها فهي كثيرة لا تحصى[4] وقد وردت أحاديث نبوية صحيحة تؤكد هذه المعجزات، منها ما رواه أنس بن مالك ﷺ: "أن النبي محمد ﷺ دَعَا بِمَاءٍ فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَوَضَّئُونَ، فَحَزَرْتُ مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى الثَّمَانِينَ. قَالَ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ"[5]، وما رواه جابر بن عبد الله ﷺ:" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا"[6] وأعظم معجزة دالة على صدق نبوته معجزة القرآن الكريم التي سأتحدث عنها بالتفصيل في هذا البحث لاهتمام سورة يونس عليه السلام بتلك المعجزة الربانية ولا يمكن لأحد أن ينكر نبوة محمد ﷺ، وقد ورد في سورة يونس عليه السلام من الدلائل والعلامات التي تدلل على

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج9/ 5651– 5652) بتصرف.

(2) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ج1/ 363).

(3) انظر: مصطفى الخن ومحي الدين مستو، العقيدة الإسلامية (ص 360).

(4) قد أفاضت كتب السيرة النبوية في الحديث عن دلائل النبوة وذكر معجزات النبي محمد ﷺ والحديث عن صفاته وشمائله وأخلاقه انظر: أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، والبغوي، الأنوار في شمائل النبي المختار، القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، والماوردي، أعلام النبوة، وابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة النبوية، وغيرها الكثير من كتب السنة النبوية.

(5) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل / باب معجزات النبي محمد ﷺ، 4/ 1783: حديث رقم 2279].

(6) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/ باب علامات النبوة، 195/4: حديث رقم 3584].

نبوة محمد ﷺ فهذه السورة قد اهتمت اهتماماً عظيماً بالنبوة عامة وبالنبي محمد ﷺ ورسالته اهتماماً خاصاً.

فقد أثبتت سورة يونس عليه السلام نبوة محمد ﷺ من خلال تأييده بمعجزة القرآن الكريم، وأيضاً من خلال النظر في صفاته قبل البعثة وبعدها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[يونس:15- 16]، هذه الآية تدل على صدق نبوته من خلال ما جاء به من الآيات والدلائل التي تدل على توحيد الله في ربوبيته وألوهيته، ولا يمكن لأحد إنكارها، وأن هذه الآيات ليست من تأليفه وأنتم تعرفون النبي محمد ﷺ منذ أن نشأ بينكم فقد كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، وقبل ذلك فقد لقب بالصادق الأمين منذ أن كان عمره خمسة وعشرين سنة، فكيف تدعون ذلك؟ وتنكرون رسالته؟[1].

فتلك البينات والمعجزات من عند الله تعالى أوحى إلي بها، وجيئتكم بها بإرادة الله ومشيئته، وليست باستطاعتي تبديل آية مكان أية، ولو كان من تلقاء نفسي لكان الأمر بيدي وباستطاعتي التصرف بها، ناهيك عن أنكم عاجزون عن معارضته، فلو أنكم تدبرتم عقولكم لعلمتم أنه الحق المبين وأنه من عند الله تعالى[2].

ومن دلائل نبوة محمد ﷺ في سورة يونس أن الله تعالى قد بعث أنبياءً ورسلاً إلى أقوامهم من قبل النبي محمد ﷺ وأنه ليس النبي الوحيد الذي بعثه تعالى إلى قومه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾[يونس:74]، وقوله تعالى:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[يونس:47].

---

(1) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج4/ 128 – 129). عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص339).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ 222).

ولكن ما يميز بعثة النبي محمد ﷺ أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ولا نبي بعده، كما ورد في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: " إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ"[(1)].

وكذلك بشارة الكتب السماوية بالنبي محمد ﷺ لدليل على صدق نبوته وأنه ما أوحى إليه من أمور الرسالة وأصول الدين موافق لما أتى به أنبياء بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[يونس:93-94]، في هذه الآية دليل على تثبيت فؤاد النبي محمد ﷺ وصدق ما أخبر به من الآيات والمعجزات والنهي عن الشك؛ لأن كثرة الدلائل تفيد اليقين وأنها من عند الله تعالى الذي بعثك مبشراً للعالمين فلا يمكن أن يكون هذا شكاً وريباً، وأن الكتب السماوية قد بشرت بك وأنك نبي هذه الأمة، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾[الأعراف:157]، فالتوراة[(2)] والإنجيل[(3)] قد بشرت بالنبي ﷺ وذكرت بعض صفاته وأخلاقه، وقد ذكر في إنجيل يوحنا: "إن كنتم تحبوني فأحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم للأبد" وأيضاً: "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم"[(4)]، ولفظ المعزي يطلق

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/باب خاتم النبيين ﷺ، 186/4: حديث رقم 3535].

(2) التوراة: هي الكتاب الرباني الذي أنزله الله على نبيه موسى ويتضمن الصحف والألواح التي جاء بها بعد مناجاته ربه في جانب الطور ليكون هداية لبني إسرائيل، والتوراة في العبرية تعني: الشريعة أو التعاليم أو الناموس. سعود خلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص74-75). عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص 546).

(3) الإنجيل: هو الكتاب الذي أنزله الله على نبيه عيسى وفيه الهداية لبني إسرائيل، ويعني البشرى والخبر المفرح ، أو الخبر الطيب، عبد الرزاق ألارو، مصادر النصرانية (ج1/ 361).

(4) انجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر: (فقرة 15).

عليه البار قليط فهو محمد ويشهد للمسيح[1]، وقد نقل يوحنا عن عيسى عليه السلام: "أن البار قليط روح الحق الذي يرسله باسمي وهو يعلمكم كل شيء إني سائل أن يبعث إليكم بار قليط، آخر يكون معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء"[2].

ولفظ البار قليط بالرومية وهو محمد بالعربية [3]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[الصف:6]، وهذا من أقوى الأدلة على أن محمداً كان نبياً وبشرت به الكتب السماوية، وفي إنجيل برنابا قد صُرح باسم الرسول محمد ﷺ صراحة "..... وسيبقي هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله"[4]، وفي الآية أيضاً تذكير وتسلية للنبي محمد ﷺ بما حدث للأنبياء من قبله وقصصهم مع أقوامهم التي تفيد اليقين وأنهم صادقون فيما أخبروا به[5].

المطلب الثاني: معجزة القرآن الكريم الواردة في سورة يونس عليه السلام.

إن سورة يونس عليه السلام أثبتت معجزة النبي محمد ﷺ التي أنكرها المشركون وادعوا أنها بسحر ظاهر وأنها من تأليفه ﷺ لأنه بشر مثله مثلهم فجاءت لتؤكد تلك المعجزة الخالدة الربانية ألا وهي معجزة القرآن الكريم، فهي من عند الله تعالى، وتخاطب أعظم ما في الإنسان أي قلبه وعقله مع تحقيق التوازن بين الجانب النفسي والجسدي، وهذه المعجزة تختلف عن معجزات الأنبياء والمرسلين من قبل، فكل رسول كانت له معجزة وكتاب؛ فمعجزة موسى العصا وكتابه التوراة، ومعجزة عيسى الطب وكتابه الإنجيل، فكانتا من النوع الذي يحس بالرؤية ولا يعرفها على اليقين إلا من شاهدها، ولكن معجزة النبي محمد ﷺ كانت من نوع آخر، وهي القرآن الكريم الذي سُجل فيه أخبار الأنبياء السابقين مع أقوامهم وذكر معجزاتهم فكانت لجميع الأمم يقرأها الناس في كل زمان ومكان، فهي التي لا يحدها زمان ولا وقت بل تبقى حجة على العرب والعجم إلى يوم القيامة فهو يمثل الدستور الكامل لجميع أمور الحياة الدنيا والأخرة فهو كتاب ومعجزة في آن

---

(1) انظر: إبراهيم أحمد، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن (ص109).

(2) انجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، الفقرة26.

(3) انظر: القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (ج1/ 255).

(4) خليل سعادة، إنجيل برنابا (115/220). إبراهيم أحمد، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن (ص21).

(5) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج7/ 3632 – 3633).

واحد[1]، كما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ"[2]، ومما هو معلوم من الدين بالضرورة وأصل من أصول الدين أن رسالته ﷺ كانت لكافة البشر[3]، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[سبأ:28]، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره[4]، ومما يتميز به القرآن عن غيره من الكتب السماوية أنه هو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله ﷻ بحفظه من التحريف والتبديل، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:9]؛ لأن مما هو معروف أن التوراة والإنجيل قد تم تحريفهما وتأويلهما من قبل اليهود والنصارى والدليل على ذلك تعدد النسخ والاختلافات الكثيرة فيهما[5].

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع ولاستنباط الحقائق الدينية والكونية عند السلف، وهو الذي أوحى الله ﷻ به إلى نبيه محمد ﷺ كما ورد في سورة يونس ﵇ في قوله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾[يونس:1-2]، قيل المقصود بالكتاب التوراة والإنجيل وقيل القرآن الكريم، ورجح الطبري والقرطبي وابن كثير أنه القرآن الكريم[6]، ويؤكد ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[يونس:37].

---

(1) انظر: محمد الشعراوي، معجزة القرآن (ج26/1). فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم (ص 25- 26). أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن (ص11).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن/باب كيف نزل الوحي، 182/6: حديث رقم 4981].

(3) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص109).

(4) انظر: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (286/2).

(5) انظر: محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص64- 67).

(6) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15 /11). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج8/ 305). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4 / 215).

أي أنه لا يمكن ولا يتصور أن يفتري مثل هذا القرآن على الله ﷻ وهنا تبرز مكانة إعجاز القرآن الكريم وأنه من عند الله ﷻ، ببلاغته وأسلوبه وترتيب آياته وسوره وعباراته التي في غاية البلاغة والتي لا تشبه عبارات المخلوقين، وغير ذلك من العقائد والأحكام والتشريعات التي بين ثناياه وهذا الكتاب المبين موافق لكتب الله السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل، وداعياً إلى التوحيد وأصول الدين، ومفصلاً لأحكام الحلال والحرام، ومشتملاً على أمور الحياة الدنيا والآخرة، وداعياً لمكارم الأخلاق، فهو بلا شك ولا ريب منزل من عند الله ﷻ[1]، وفي نهاية السورة ما يؤكد عموم وشمول رسالته فيأمر الله ﷻ رسوله محمد ﷺ أن يبلغ للبشرية كافة وأهل مكة خاصة بأن هذا القرآن الذي أنكرتموه فقد جمع بين الهداية والإيمان اللذان لا كمال للمرء إلا بهما، فمن اهتدي وعمل بما جاء به وصدقه فقد نال ثواب الدنيا والآخرة، ومن انحرف وأصر على الضلال فقد خسر خسراناً مبيناً وأضل نفسه، وأنا مهمتي تبليغ ما أوحي إلي من الله ﷻ [2]، فقد قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[يونس:108]، فالمشركون منهم من آمن به وصدقه ومنهم من لم يؤمن كما في قوله ﷻ: ﴿وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[يونس:40].

المطلب الثالث: تعريف القرآن الكريم عند السلف ومناقشة المعتزلة بقولهم إن القرآن مخلوق.

أولاً: تعريف القرآن الكريم لغةً.

القرآن قيل أنه مشتق من المصدر قرأ: بمعنى الجمع والضم، فالقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض، وسمي القرآن قرآناً لأنه يجمع ويضم السور والآيات إلى بعضها البعض ولجمعه الأحكام والقصص والأمر والنهي في كتاب واحد، فهو في الأصل كالقراءة، كما في قولهﷻ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه ﴾[القيامة:17- 18][3]، أي: هو المقروء

---

(1) انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن(ص343). وهبة الزحيلي، التفسير المنير(ج11/176-177).

(2) انظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج2/ 517). نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 221).

(3) انظر: الرازي، مختار الصحاح (ج1/ 249). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج5/ 79). ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج4/ 30). الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص668).

المكتوب بين دفتي المصحف المتلو بألسن العباد(1)، وقيل أنه غير مشتق بل إنه اسم علم لهذا الكتاب فأصبح كالتوراة والإنجيل(2).

ثانياً: تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً عند السلف .

تعددت تعريفات علماء السلف للقرآن الكريم فهي متفاوتة من ناحية الألفاظ والشمول، وهي قريبة ومكملة لبعضها البعض، وبعضها أشمل من بعض، فالقرآن الكريم هو: " كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته"(3).

وهناك تعريف أشمل من التعريف السابق ولعله هو التعريف الشامل للقرآن الكريم؛ لأنه اشتمل على صفات وخصائص القرآن الكريم، فهو: "كلام الله ﷻ المعجز المنزل على خاتم الأنبياء محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس والمتحدي بأقصر سورة منه"(4).

من خلال ما سبق يتبين أن القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ المنزل على خاتم الأنبياء حامل الحقيقة لجميع الأمم ولهدايتهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة منقول إلينا بالتواتر ولا يستطيع أحد الإتيان بمثله.

تفصيل وشرح التعريف السابق.

أ- **كلام الله ﷻ المعجز:** أضيف إلى الله ﷻ تميزاً لغيره من كلام الإنس والجن والملائكة، ولإبعاد أي كلام مهما كان مقدساً وعظيماً أن ينسب إليه ﷻ ويسمى قرآناً(5)، والذي يؤكد أن القرآن الكريم كلام الله قوله ﷻ: **﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**[يونس:94]، وقد يراد بكلام الله ﷻ الكلام

---

(1) انظر: مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج1/ 363).
(2) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص669).
(3) محمد دراز، النبأ العظيم (ص43).
(4) محمد أحمد معبد، نفحات من علوم القرآن (ص11). نور الدين عتر الحلبي، علوم القرآن الكريم (ص10).
(5) انظر: محمد دراز، النبأ العظيم (ص44).

النفسي المعنوي أو اللفظي الذي يحمل قالب تلك المعاني[1]، المعجز في سوره وألفاظه كافة، فهذه أعظم خاصية تميز بها القرآن الكريم عن غيره والمعجزة التي تحدى الأمم على الإتيان بمثلها، كما في قوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[يونس:38].

ب-**المنزل على خاتم الأنبياء:** أُخرج من التعريف ما أنزل على الأنبياء من قبله كالتوراة التي أنزلت على موسى و الإنجيل الذي أنزل على عيسى، وغيرهم من الأنبياء[2].

ت-**بواسطة أمين الوحي:** هو جبريل عليه السلام باتفاق المفسرين، وهو أمين الله على وحيه والذي نزل بالوحي على جميع الأنبياء والمرسلين من قبل محمد ﷺ، كما في قوله ﷻ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾[يونس:2]، وقوله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين﴾[الشعراء:193-195] [3].

ث-**المنقول إلينا بالتواتر:** نقله جمع عظيم يستحيل تواطؤهم على الكذب أو وقوع الخطأ منهم، ويكون النقل مستمراً من جمع إلي جمع حتى يصل إلى النبي محمد ﷺ، وهذا يفيد قطعا العلم اليقيني القاطع بأن هذا القرآن هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ، وهذا ما اختص به القرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية؛ لأنها لم تنقل نقلاً متواتراً[4].

ج- المتعبد بتلاوته: أي هو وحده المأمور بقراءته على وجه العبادة في كل صلاة، وقيد بالتلاوة لإخراج الأحاديث القدسية، والقراءات المنقولة إلينا على وجه الآحاد[5].

أغراض وصفات القرآن الكريم الواردة في سورة يونس عليه السلام

أغراض القرآن الكريم وصفاته كثيرة ومتعددة وذكرت في سورة يونس عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِين﴾[يونس:57].

---

(1) انظر: محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن (ص10- 11).

(2) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص17). محمد دراز، النبأ العظيم (ص44).

(3) انظر: محمد الصابوني: التبيان في علوم القرآن (ص13).

(4) انظر: نور الدين عتر الحلبي، علوم القرآن الكريم (ص11).

(5) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص17). محمد دراز، النبأ العظيم (ص44).

فيخاطب الله ﷻ أهل مكة وغيرهم من الأمم أنه قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية والنظرية، الذي فيه المواعظ والوصايا والحكم لصلاح أخلاقكم وأعمالكم، والزجر عن كل ما يبغض الله ﷻ من الفواحش وغيرها، فهذا هو **الغرض الأول الوارد في الآية**(1).

الغرض الثاني فهو شفاء لأمراض الشك والنفاق والكفر وإزالة لما في الصدور من الرجس والشبه والشكوك، وسوء الاعتقاد.

الغرض الثالث هو الهادي إلى طريق الحق واليقين والصراط المستقيم، فالقرآن هو هدى للناس يهدي إلى الخير والرشاد ويحذر من الظلم والفساد(2).

الغرض الرابع هو للمؤمنين فهو رحمة لهم يخرجهم من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وخص المؤمنين هنا لأنهم هم المنتفعون بالإيمان والمصدقون بما فيه(3)، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه كما قال ﷻ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**﴾[يونس:108]، وأيضاً وصف القرآن الكريم في سورة يونس ﷺ بأنه حكيم كما قال ﷻ: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾[يونس:1] أي: أنه المحكم بالحلال والحرام، والحدود والأحكام من خلال آياته، والحاكم بين الناس بالحق، والذي يضع كل شيء في موضعه(4).

وخصائص القرآن الكريم: وردت في قوله ﷻ :﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[يونس:37]، فهذه الآية تبين أن الله ﷻ وصف القرآن بخمسة صفات وهي، أن القرآن معجز ولا يستطيع البشر الإتيان بمثله، موافق لما قبله في الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، ومفصل للأحكام الشرعية ومشتملاً على العلوم الدينية من علم العقائد والفقه والأحكام والأخلاق وغيرها، واضح غير مضطرب ولا

---

(1) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج3/ 116). نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 215).

(2) انظر: محمد حجازي، التفسير الواضح (ج71/2). وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج200/11).

(3) انظر: وهبة الزحيلي ، التفسير الوسيط (ج2/ 984). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج239/4).

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج8 / 305). أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج445/2).

متناقض في عباراته وألفاظه، تحدى العرب على الإتيان بمثله فعجزوا فهو لدليل على أنه نزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ فهو من عند الله سبحانه وتعالى[1].

ثالثاً: القرآن الكريم عند المعتزلة.

إن الخوض في الحديث عن القرآن الكريم أهو مخلوق أم غير مخلوق مستمدة من مشكلة الصفات الإلهية عند المعتزلة، فهم ينفون الصفات خوفا من التشبيه والتجسيم، ولو كان الله سبحانه وتعالى متكلماً لكان مشابهاً لخلقه وكان متكلماً بلسان وفم، لذلك ينفون صفة الكلام[2].

وقبل الخوض في أقوال المعتزلة في قولهم أن القرآن مخلوق لا بد من تعريف الكلام لديهم فهو" عبارة عن الحروف المنظومة والأصوات المقطعة"[3]، وعرفه القاضي عبد الجبار: "هو ما انتظم من حرفين فصاعداً أو ماله نظام من الحروف مخصوص"[4]، فكلام الله سبحانه وتعالى من جنس الكلام المعقول مكون من حروف وأصوات فهو حادث وبما أن كلامه حادث فالقرآن محدث ومخلوق غير قائم بذاته سبحانه وتعالى[5]، أي: أنه من صفات الفعل وكونه سبحانه وتعالى متكلماً أي أنه فاعل للكلام وخالقه قال القاضي عبد الجبار:" اعلم أنه إذا كان متكلماً يعني أنه فاعلاً للكلام...."[6]، وزعموا أن الله سبحانه وتعالى يخلقه ويحدثه في الهواء وفي الجماد وفي بعض الأجسام[7]، واستدلوا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[النساء:164]، أي: أن الله سبحانه وتعالى أحدث الكلام في الشجرة، وخرج منها الكلام فسمعه موسى عليه السلام ولم يسمع كلام الله على وجه الحقيقة[8].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/ 90). وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج11/ 177-178)، محمد حجازي، التفسير الواضح (ج2/ 64).

(2) انظر: زهدي جار الله، المعتزلة (ص75).

(3) القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج317/1). المغني في أبواب التوحيد والعدل (خلق القرآن)(3/7).

(4) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص529).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج7/ 3).

(6) انظر: القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف (ج327/1).

(7) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص542). المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج179/7-181).

(8) انظر: زهدي جار الله، المعتزلة (ص78). قاسم الرسي، أصول العدل والتوحيد (ص137).

قال القاضي عبد الجبار: "ولا خلاف بين جميع أهل العدل في أن القرآن مخلوق محدث مفعول لم يكن ثم كان وأنه غير الله وأنه أحدثه بحسب مصالح العباد، وهو القادر على أمثاله وأنه يوصف بأنه مخبر به وقائل وآمر وناه من حيث فعله، وكلهم يقول: إنه متكلم به"[1]، وقال: "القرآن كلام الله ووحيه وهو مخلوق محدث أنزله الله على نبيه، ليكون علماً ودالاً على نبوته وجعله دلالة لنا على الأحكام لنرجع إليه في الحلال والحرام"[2].

يتبين مما سبق أن الكلام عند المعتزلة هو من صفات الفعل فهو فعل من أفعال الله ﷻ، والقرآن الكريم مخلوق ومحدث ومفعول يتكلم به وقتما يشاء فهو صفة غير قائمة بذاته ﷻ، وإن كان قديماً أدى ذلك إلى تعدد القدماء وهذا شرك عند المعتزلة.

الرد على المعتزلة في قولهم بخلق القرآن.

1- تعتبر صفة الكلام صفة كسائر صفات الله ﷻ غير مخلوقة، وهي صفة ذاتية باعتبار قيامها بذاته ﷻ، وفعلية باعتبار أنها متعلقة بالمشيئة والإرادة، لا كما زعمت المعتزلة أنها من صفات الفعل، والسلف كانوا في بداية الأمر في غني عن إطلاق لفظ غير مخلوق، فكلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة[3]، ولو كان القرآن مخلوقاً لبطل الأمر والنهي والخبر والشريعة[4].

2- لو كان القرآن مخلوقاً لأمكن الإتيان بمثله، والله ﷻ أضافه إلى نفسه مما يدل على اختصاصه بالله ﷻ وأنه صفة قائمة به، وأنه منزل من عند الله ﷻ وهو كلامه حقيقة لا كلام غيره، سمعه جبريل وأنزله على النبي محمد ﷺ، فالكلام صفة للمتكلم به، وعلى ذلك فالقرآن غير مخلوق كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ

---

(1) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج7/ 3) وقد أكثر من سرد الأقوال في جزء سماه خلق القرآن.

(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص528).

(3) انظر: عبد الله الجديع، العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص121). علوي السقاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص296).

(4) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ص427-428).

يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:37] ، وقوله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:109][1].

3- كلام الله ﷻ مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور، وعلى ألسنة عباده مقروء فهو غير مخلوق ولفظنا وكتابتنا وقراءتنا القرآن مخلوقة[2]، واللفظ يراد به الملفوظ المتلو فهو غير مخلوق، فتلاوته والنطق به هي من مقدور العبد وفعله، قال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[يونس:16]، وقوله ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ﴾ [يونس:61] فالقرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود[3].

4- الدليل على أن كلام الله ﷻ غير مخلوق قول نعيم بن حماد: "لا يستعاذ بالمخلوق ولا بكلام العباد والجن والإنس والملائكة" وعقب عليه البخاري بقوله: "وفي هذا دليل على أن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وأن سواه خلق"[4]، وعن عمرو بن دينار[5] قال: "أدركت أصحاب النبي ﷺ منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله ﷻ منه خرج وإليه يعود"[6].

5- مما يؤكد ويدلل على أن القرآن الكريم غير مخلوق أنه معجز في ألفاظه وعباراته وافتتاح بعض سوره بالأحرف المقطعة التي عجز العرب على الإتيان بمثلها، ومن بين هذه السور سورة يونس عليه السلام كما في قوله ﷻ: ﴿الر﴾[يونس:1].

---

(1) انظر: محمد هراس، شرح العقيدة الواسطية (ص154).

(2) انظر: أبو حنيفة، الفقه الأكبر (ص20).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج6/ 527). محمد هراس، شرح العقيدة الواسطية (ص 154).

(4) البخاري، خلق أفعال العباد (ص96).

(5) عمرو بن دينار الجمحي المكي أبو محمد الأثرم فارسي الأصل، من خيار التابعين كان فقيه أهل مكة ولد بصنعاء وتوفي بمكة واختلف بتاريخ وفاته قيل 127 وقيل 125، وهو ابن 80 سنة. انظر: الأعلام، الزركلي، (ج5/ 77)، ابن جحر العسقلاني، تهذيب التهذيب (ج8/ 28-30).

(6) [الدارمي، الرد على الجهمية، ص189 حديث رقم 344]. قال الألباني: "صحيح". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج3/ 156). للمزيد من أقوال السلف انظر: عبد الله الجديع، العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص138-147).

يتضح مما سبق أن القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ تكلم به على وجه الحقيقة منزل من عند الله وأضيف إليه، فهو غير مخلوق وإن كان مخلوقاً فلم ينسبه ﷻ إليه، وقد أجمع السلف على أن القرآن الكريم غير مخلوق، وما زعمته المعتزلة باطلاً شرعاً وعقلاً؛ لأنهم ينفون الصفات خوفاً من التشبيه، ولكن كلام الله يليق بذاته ﷻ وإنه ليس كمثله شيء في سائر أسمائه وصفاته وبذلك نفند شبهة المعتزلة في قولها بخلق القرآن.

المطلب الرابع: تعريف الوحي وذكر شبهات المشركين في إنكارهم للوحي.

سمى الله ﷻ الطريق الذي يخبر بها أنبياءه ورسله وحياً؛ لأنه لولا ظاهرة الوحي الإلهي لجهلنا الكثير من التشريعات وأصول الدين وأمور الآخرة من عذاب وحساب وجنة ونار وغيرها، وأصبحت حياتنا كالغابة يسيطر فيها القوي على الضعيف دون حساب من أحد، والله ﷻ اصطفي أنبياءه من بين الخلق ليوحي إليهم التشريعات والأحكام[1].

أولاً: تعريف الوحي لغةً.

أصل الوحي: "الإشارة السريعة الخفية"[2]، فالوحي في اللغة يأتي بمعنى الإعلام في الخفاء علي وجه السرعة، ويأتي بمعنى الإيماء، والإلهام والإخبار، والرسالة والكتابة، ويقال أوحى إليه أي ألهمه، فالوحي يأتي بمعنى كل ما أخبرته لغيرك[3].

ثانياً: تعريف الوحي اصطلاحاً عند السلف.

الوحي: "هو إعلام الله رسولاً من رسله أو نبياً من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله ﷻ به"[4]، وهو إخبار الله من اختاره من عباده وتبليغه الغيب وأحكام الشرائع، وأصول الدين بطريقة سريعة وخفية غير معتادة

---

(1) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط (ج2/ 937).

(2) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص858).

(3) انظر: الفيومي، المصباح المنير (ج2/ 651). ابن منظور، لسان العرب (ج15/ 380- 383). الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج1/ 1342).

(4) عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص528).

للبشر سواء كان بواسطة أو غير واسطة مع الجزم أنها من عند الله ﷻ وقطعاً تفيد اليقين[1]، قال ﷻ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس:2]، من خلال ما سبق يتضح أن المعنى الاصطلاحي للوحي أخص من المعنى اللغوي؛ لأنه ناموس إلهي خاص بأنبياء الله فهو من عند الله ﷻ يلقيه لأنبيائه لتبليغه لأقوامهم وأهم ما يميزه أنه بطريقة سريعة وخفية، بخلاف المعنى اللغوي فقد يكون الإخبار والإشارة لمخلوقات كافة بدون سرعة وخفاء.

رابعاً: صور الوحي إلى النبي محمد ﷺ.

1- الرؤيا الصادقة: فكان لا يرى رؤيا إلا وجاءت مثل فلق الصبح، وكانت هذه المرتبة ابتداءً كي لا يفاجأ ﷺ ويأتيه الوحي فجأة فهذا لا تحتمله قوى البشر، وفي ذلك تهيئة لنفس النبي ﷺ لنزول الوحي عليه[2].

2- ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه ﷺ من غير أن يراه، وبأمر من الله ﷻ.

3- أنه كان ﷺ يأتيه متمثلاً بصورة رجل فيخاطبه ويفهم ما يقوله له.

4- أنه كان ﷺ يأتيه على هيئة صلصلة الجرس، الصوت القوي المثير للانتباه وهذه المرتبة من أشد ما يكون على نفس النبي ﷺ ، فيتلبس به الملك لدرجة أن جبينه ﷺ يشتد عرقاً في اليوم الشديد البرودة.

5- أنه ﷺ يرى الملك في صورته الحقيقية التي خُلق عليها، فيوحى إليه ما شاء من الوحي، فيطمئن ﷺ عند تلقيه الوحي ويأنس به، وهذه حصلت للنبي محمد ﷺ مرتين عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج، والأخرى في أعقاب نزوله من غار حراء بعد فترة الوحي.

6- ما أوحاه الله ﷻ إليه ﷺ مباشرة كالوحي وهو في السماوات العلى، كفرض الصلاة وغيرها.

7- كلام الله إليه من غير واسطة ملك، ومن وراء حجاب.

---

(1) انظر: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي (ص، 26). محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص84- 85).

(2) انظر: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ج187/1).

فهذه المراتب مجتمعة في قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم﴾[الشورى:51][(1)].

ثانياً: شبهات الوحي والقرآن الكريم كما ورد في سورة يونس عليه السلام والرد عليها.

إن سورة يونس عليه السلام قد سلطت الضوء على الكثير من شبهات المشركين في إنكارهم للوحي وللقرآن الكريم، وأنه ليس من عند الله ﷻ بل إنه من إبداع واختراع محمد ﷺ وإنه لموهوب، وقد ورد في السورة الكثير من تلك الشبهات في محاولة لصد الناس عن التوحيد وعن عبادة الله ﷻ، وللتشكيك في نبوة محمد ﷺ، ومن الشبهات الواردة في سورة يونس عليه السلام.

أولاً: الزعم أن الرسول محمد ﷺ ساحراً، وأن القرآن الكريم هو سحرٌ.

لما بعث الله ﷻ محمداً رسولاً ليعظ البشرية عامة وكفار مكة خاصة ويذكره بالعذاب الأليم الذي سيكون لهم يوم القيامة، أنكر وتعجب المشركين من ذلك البلاغ، وزعموا أن محمداً ﷺ ساحراً وما أتى به هو السحر بعينه، لأن السحر كان يطلق عندهم على كل أمر مستغرب لا يعرف له سبب ويجذب أفئدة الآخرين ولما رأوا ما للقرآن من تأثير في القلوب والنفوس ادعوا أن هذا القرآن سحرٌ؛ لأن ذلك فوق طاقات البشر ولا يمكن أن يأتي به إلا ساحرٌ [(2)]، قال الله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِين﴾[يونس:1-2]، وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِين﴾[يونس:76].

الرد على هذه الشبهة.

1- أن هناك فرق بين المعجزة والسحر، فالمعجزة هي تأييد وتصديق الله ﷻ لنبي من أنبيائه بما يدل على صدق نبوته، ولا تنال بالعلم والتعلم بل هي خاصة للأنبياء ومن

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد (ص77-79). محمد أبو زهرة، خاتم النبيين (ج282/1- 284).

(2) انظر: محمد حجازي، التفسير الواضح (37/2-38). محمد رشيد رضا، تفسير المنار (119/11)، وهبة الزحيلي، التفسير المنير (11/ 100).

فعل الله ﷻ فقط[1]، أما السحر فهو فنون خبيثة وأمور معتادة للبشر يمارسها كل من يتعلمها وهي من باب الكذب والأوهام وتخيلات الشياطين، والغالب عليها الأذى والشر للناس بعكس المعجزة التي تحمل الخير الكثير[2].

2- ما أتى به محمد ﷺ من قصص الأوليين والإخبار بالغيب وما شمله من المواعظ والأحكام والتشريعات والأخلاق، علاوة على ذلك فصاحته وبلاغته ليدل ذلك على بطلان ادعائهم[3]، وعجزهم واعترافهم بأنهم كاذبون في تسمية معجزة القرآن سحراً[4].

ثانياً: الزعم أن هذا القرآن من عند محمد ﷺ ولو كان الوحي ممكناً لأوحي اللهﷻ لعامة البشر.

إن هذه الشبهة ينادي بها كثير من المشركين وأعداء الإسلام فيزعمون أن محمداً ﷺ ألف هذا القرآن ورتب عباراته وصاغها بأسلوبه، لتميزه وحدة ذكائه وفطنته ﷺ، ولو كان الله ﷻ أوحى لمحمد فلماذا لم يوحي للبشر كافة؟؟

فهذه شبهة مفتراه وباطلة على نبي الأمة محمد ﷺ كما في قوله ﷻ: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ [يونس: 15- 16].

الرد على هذه الشبهة:

1- هذه الآية من سورة يونس ﷺ تُدلل بشكل قاطع على بطلان هذه الشبهة، وذلك حينما طلب المشركون من محمد ﷺ أن يأتيهم بقرآن غير هذا القرآن الذي يذم ويطعن في ألهتهم ويذكرهم بالبعث والجزاء، أو أن يبدله بنسخ وتغيير آيات العذاب بالرحمة، وتغيير مواضع الذم بالمدح، وكان هذا إما من باب السخرية والاستهزاء، وإما من باب الاختبار

---

(1) انظر: فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم (ص21-23). ابن تيمية، النبوات (ج979/2).

(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (ج977/2-991). الزرقاني، مناهل العرفان (ص77). صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (183-184).

(3) انظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (ج6/ 11).

(4) الزمخشري، الكشاف (ج2/ 328) بتصرف.

والتجربة، فالنبي محمد ﷺ أخبرهم أن هذا من عند الله ﷻ وليس لي في الأمر من شيء[1].

2- أي شيء في القرآن يعتمد على الاستنباط والفطنة والذكاء، وكثير من آياته تخبر عن الأقوام السابقة والأحداث التاريخية بمنتهى الدقة، وكذلك ما فيه من أرقام حسابية لا يعلمها إلا الدارس المتعمق الذي عاصرها، ناهيك عن الأمور العقائدية والغيبية، فمن أين آتي بها محمد وهو الرجل الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة؟؟ قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:37][2].

3- لو كان القرآن من عند محمد ﷺ لثبت وتأكد من براءة زوجته عائشة رضي الله عنها مباشرة وما تحرج هو وصحابته، وما انتظر الوحي ليثبت براءتها، وكذلك لو كان من عند نفسه ما عاتب نفسه وآيات العتاب كثيرة في القرآن الكريم[3].

4- مما يدل على أن هذا القرآن ليس من عند محمد ﷺ الخشوع والإيمان التي يملأ القلوب عند تلاوته، والخوف والثقل الذي يرعب المكذبين والمعاندين، والله ﷻ قد خص أناس لهم استعداد تام يؤهلهم لتلقي الوحي عنه ولم يكلف البشرية كافة لحكمة عنده ﷻ[4].

ثالثاً: الزعم أن القرآن الكريم الذي جاء به الوحي غير منتظم على هيئة أبواب وفصول كباقي الكتب المعهودة لدينا، بل إنها خلطت أفكاره ومزجت ببعضها البعض فيستبعد أن يكون وحياً؟؟؟، وأن هذا القرآن لا يدل على نبوة محمد ﷺ ولا بد من معجزة مادية غيره تثبت نبوته كمثل الذي أتى بها نوح وشعيب وموسى عليهما السلام[5].

---

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج17/224- 225).

(2) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص41- 42).

(3) انظر: المرجع السابق (ص39). الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (ج2/ 394- 395).

(4) انظر: محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (ص270).

(5) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج11/ 138). أحمد المراغي، تفسير المراغي (ج11/ 84).

الرد على هذه الشبهة:

1- إن هذا الذي ادعيتموه ليدل دلالة واضحة على أنه من عند الله ﷻ وليس من وضع البشر، بل هي آيات وسور أحكمت من عند الله ﷻ كما في قوله ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[يونس:1]، وفصلت من لدن حكيم خبير كما في قوله ﷻ: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:1].

2- وقولكم أن أفكاره مزيج مع بعضها البعض قول مردود، لأن كل سورة وكل آية لها جوها الخاص وأثرها على النفوس، وأن آيات القرآن الكريم مترابطة مع بعضها بعضاً ومتدرجة في بيان الأحكام والتشريعات، وهنا يتضح لنا الإعجاز الذي يحمله هذا الكتاب البين الواضح الذي عجز البشر على الإتيان بمثله(1).

3- قولكم إن معجزة القرآن لا تكفي دليل على نبوته ﷺ فهذا باطل ومردود؛ لأنه قد جاء النبي بالكثير من الدلائل والمعجزات المادية التي سبق ذكرها، وأن كل ما في الكون من حقائق مطابق لما جاء به، ويبقى القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الربانية الذي أوحى بها الله ﷻ إلى نبيه ﷺ قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[يونس:20]، فإنزال هذه الآيات والمعجزات هو بيد الله ﷻ فإن شاء إنزال آية أو معجزة على فتكون متى يشاء الله ﷻ فهي من الأمور الغيبية، فانتظروا نزولها وأنا معكم من المنتظرين لما سيفعله الله بكم(2).

رابعاً: الزعم أن الرسول محمد ﷺ كان شاكاً في الوحي.

فهذه الشبهة الأخيرة للمشركين في إنكارهم للوحي حيث زعموا أن محمد ﷺ كان شاكاً في ما أنزل إليه من ربه واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[يونس:94].

---

(1) انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (ص80).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج8/ 323). النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج2/ 13).

الرد على هذه الشبهة:

1- إن تفسير الآية ليس كما زعمتم، بل إنها تدل على أن هذا القرآن يدل على صدق نبوة محمد ﷺ فقال على سبيل المبالغة فإن وقع منك شك فرضاً أو تقديراً كما تقول لابنك إن كنت ابني حقاً فافعل كذا، وقيل المراد هنا إن كنت يا محمد في شك فسأل أهل الكتاب الذين سبقوك فيما أنزل الله إليهم، فهم على يقين بصحة ما أنزله الله عليك، فالغرض هنا وصف الأخبار بالعلم لا وصف النبي بالشك والريب(1).

2- إن هذه الآية لا تدل على أن النبي ﷺ كان شاكاً في الوحي فهو منزه عن ذلك، لأن النبي لا يشك ولا يسأل، وقيل أنه ﷺ هو المخاطب لكن ليس هو المقصود من الخطاب بل هو موجه لغيره ممن كان شاكاً في نبوته من أمته ومن أهل الكتاب أيضاً(2).

3- الشك المقصود هنا الضيق والشدة اللذان أصابا صدر النبي ﷺ لما شاهده من تعنت المشركين وإصرارهم على عدم الإيمان به، فيوجه الله ﷻ الخطاب له بأن يسأل أهل الكتاب عن صبر الأنبياء على أقوامهم، فلا يكون في صدرك أي ضيق أو شك(3).

يتبين مما سبق من تلك الشبهات التي ما هي إلا للتقليل من شأن النبي محمد ﷺ وللصد عن دعوته، وأن هذا القرآن هو وحي من الله قد خص به نبيه محمداً ﷺ، والدليل على ذلك أنه عاش في وسط بيئة أمية لا تعرف القراءة والكتابة، وأنه عاش بين أظهر المشركين أمياً وقد وردت الكثير من الآيات في سورة يونس تبين أن هذا القرآن ليس من كتاباته وليس له مصدر إنساني، والدليل على ذلك تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله وهذا ما سأتحدث عنه في المطلب التالي بإذن الله تعالى.

المطلب الخامس: إعجاز القرآن و مراحل تحدي الله ﷻ العرب أن يأتوا بمثل القرآن الكريم.

قبل الخوض في ذكر مراحل التحدي لا بد من تعريف مصطلح الإعجاز، فهذا المصطلح لم يكن معروفاً في عصر النبي والصحابة والتابعين، ولكن عرف فيما بعد وكان

---

(1) محمد حجازي، التفسير الواضح (ج2/ 89) بتصرف.

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج8/ 382). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/ 202).

(3) انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن (ج6/ 178).

المصطلح المتداول عليه هو الآية، كما ورد في سورة يونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون﴾[يونس:7] وقوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِين﴾[يونس:73][(1)].

أولاً: تعريف الإعجاز لغةً واصطلاحاً عند السلف.

العجز في اللغة: يطلق على الضعف وعدم القدرة، والقصور والتأخر عن فعل أي شيء ما[(2)].

وعلى ذلك فالإعجاز القرآني هو: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوته ورسالته، وذلك بإثبات عجز وضعف وتأخر البشرية على مر العصور عن معارضته في هذه المعجزة الربانية مهما كان لديهم من العلم والفصاحة والبلاغة، وكون القرآن معجزة فلن يقدر أحد على معارضته[(3)]، فقال ابن تيمية رحمه الله في بيان ذلك: " والقرآن نفسه فيه تحدى الأمم بالمعارضة"[(4)].

ثانياً: الإعجاز عند المعتزلة والقول بالصرفة.

أ- تعريف الصرفة لغةً.

الصَّرْفِة في اللغة: أي رد الشيء عن وجهه، والتحويل والصرفِ من شيء إلى شيء، أي أن الله صرف وحول همم العرب من الإتيان بمثل القرآن إلى جهة آخرى وهي عدم الإتيان بمثله، ويقال صارف نفسه عن الشيء أي صرفها، والانصراف أي الاكتفاء[(5)].

ب- تعريف الصرفة في الاصطلاح.

أما الصرفة اصطلاحاً فهي: صرف الله الهمم عن معارضة القرآن، وإن كان مقدوراً عليها[(6)].

وقول أهل الصرفة يكمن في ثلاثة احتمالات: أحدهما: أن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة، وثانيهما: أن الله تعالى سلبهم العلوم التي لا بد منها من أجل الإتيان بما يشاكل القرآن، وثالثهما:

---

(1) انظر: فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم (ص28).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج5/ 369- 370). الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص547).

(3) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص265). نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن (ص 9).

(4) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (ج5/ 422).

(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج9/ 189). الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج1/ 827). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج343/3).

(6) انظر: الروماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص22).

أن الله ﷻ منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة مع كونهم قادرين وسلب قواهم عن ذلك[1].

فالمعتزلة فيما بينهم اختلفوا في ماهية إعجاز القرآن الكريم، وذكر الأشعري اختلاف المعتزلة في هذه المسألة وهي أن القرآن معجز أم لا ؟ إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب إليه المعتزلة إلا النظام[2] وهشام الفوطي[3]، أن القرآن الكريم معجز في ألفاظه ونظمه، ويصعب على العرب الإتيان بمثله، وهذا ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار.

القول الثاني: ذهب إليه النظام، وادعى أن ما في القرآن من إعجاز هو فقط إخباره عن الأمور الغيبية، وأما التأليف والنظم فإمكان العرب الإتيان بمثله وأفضل مما هو عليه لولا أن الله صرفهم.

القول الثالث: ذهب إليه عباد بن سليمان [4] وادعي بقوله لا نقول أن شيئاً من الأعراض يدل على الله ﷻ أو على نبوة محمد ﷺ، فلم يجعل القرآن علماً للنبي محمد ﷺ وزعم أن القرآن أعراض[5].

من خلال قول الأشعري نستنتج أن المعتزلة على قسمين: قسم قال بالصرفة وبإمكان العرب الإتيان بمثله لولا أن الله صرفهم عن ذلك، وقسم قال بإعجازه وبلاغته وعدم مقدرة العرب على الإتيان بمثله.

---

(1) انظر: يحي العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج218/3) باختصار.

(2) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة تبحر في علوم الفلسفة واطلع علي أكثرها، له فرقة تسمي النظامية وممن تكلموا بالقدر، وألف كتب عديدة في الفلسفة والاعتزال، توفي سنة 231. انظر: الزركلي، الأعلام (ج1/ 43). يوسف الظاهري، النجوم الزاهرة (ج2/ 234).

(3) هو: هشام بن عمرو أبو محمد الفوطي المعتزلى الكوفي مولي بني شيبان، صاحب ذكاء وجدال وبدعة ووبال أخذ عنه عباد بن سلمان، قال لا يعذب الله كافراً بالنار، ولا يحي أرض بمطر ولا يهدي ولا يضل. انظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء (ج10/ 547).

(4) عباد بن سليمان الضمري كان من أصحاب هشام بن عمرو الفوطى، قال عنه الملطى: ملأ الأرض كتباً وخلفاً، كان من كبار ائمة المعتزلة لكنه خرج عن حد الاعتزال إلى الكفر والزندقة، وكان يقول أن كلام الله هو الله، وله مجادلات ومناظرات مع إمام السنة بن كلاب. القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص65). ابن النديم، الفهرست (ص224).

(5) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج1/ 179).

القسم الأول: النظام وقوله بالصرفة.

النظام أحد أئمة المعتزلة الذي انحرف عن مسار وفكر المعتزلة، وقال بالصرفة وهي أحد العقائد التي انفرد بها عن جمهور المعتزلة[1]، وفكره قائم على أن القرآن الكريم معجز في الإخبار عن الأمور الماضية والأخبار الغيبية فقط، أما ما فيه من نظم وتأليف فهو ليس بمعجز ولا دالٌ على نبوة محمد ﷺ، والعباد قادرون على الإتيان بأفضل مما هو عليه من الفصاحة والتأليف لولا أن الله صرف عقولهم عن الإتيان بمثله[2]، هذا مجمل ما عليه النظام ، وقوله لا يدل على أن جمهور المعتزلة قالوا بالصرفة.

القسم الثاني: القاضي عبد الجبار وقوله بإعجاز القرآن.

القسم الثاني: وهو ما عليه جمهور المعتزلة من أن القرآن الكريم معجز في ألفاظه وتراكيبه، ونلاحظ أن القاضي عبد الجبار أدرجهُ تحت الأصل الثاني للمعتزلة وهو العدل، لكونه من أفعال الله وما اختص به ﷻ، ومن خلال بحثي لم أعثر على لفظة الصرفة عند القاضي عبد الجبار، وهذا يدل على نفيه ورده القاطع جملة وتفصيلاً لِما قاله النظام من أن الله صرف العرب عن الإتيان بمثله[3]، فيقول: "أنه لا يجوز أن يكونوا ممنوعين من الكلام، لأن المنع والعجز لا يختص كلاماً دون كلام، وأنه لو حصل ذلك في ألسنتهم لما أمكنهم الكلام المعتاد والمعلوم من حالهم خلاف ذلك وأن هذا لو صح لم يوجب كون القرآن معجزاً وكان يجب أن يكون المعجز من فعله مثله"[4].

فالإعجاز عند القاضي عبد الجبار: هو تحدي الله ﷻ العرب على الإتيان بمثل القرآن وما فيه من الفصاحة والبلاغة، وبما أنكم تدعون الفصاحة والبيان واللغة فأتوا بمثله، فيعجزون عن فعل مثل هذا الأمر ولم يستطيعوا معارضته لا لسبب سوى عجزهم عن الإتيان بمثله، وهذا يدل

---

(1) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج1/ 57).

(2) انظر: عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار (ص428). البغدادي، الفرق بين الفرق (ج1/ 128).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص527). عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن (ص484).

(4) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج16/ 322).

على نبوته ﷺ[1]، ولا يقدر المتميزون في الفصاحة والبلاغة على الإتيان بمثل ما فيه من الفصاحة والبلاغة[2]، فمعجزة القرآن هي الدالة على صدق نبوته ﷺ[3].

الخُلاصة:

أن النظام قال بالصرفة وبإمكان العرب الإتيان بمثله لولا أن الله صرفهم وسلب عقولهم عنه، فهو يقر بإعجازه من ناحية إخباره عن الأمور الغيبية فقط، بينما القاضي عبد الجبار وما عليه جمهور المعتزلة أن القرآن الكريم معجز في ألفاظه وتراكيبه وفي جمله وأسلوبه وأن الله تحدي العرب الإتيان بمثله فعجزوا.

الرد على من قال بالصرفة.

1- القول بالصرفة قول فاسد وباطل مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[الإسراء:88]، فهذه الآية تدل على عجزهم مع بقاء القدرة لديهم، فكيف يكون اجتماعهم دون قدرة فلو سلبوا القدرة فلم يبقى فائدة في الاجتماع؛ ولأن المعاونة والمظاهرة إنما تكون مع القدرة، ولا تصح مع المنع والعجز[4].

2- لو كان المنع عن الإتيان بمثل القرآن هو الصرفة، لتعجب العرب من الصرفة لا من القرآن وهذا لم يحصل، فالعرب تعجبوا من القرآن نفسه لا من أي شيء أخر خارج عنه، لذلك قال الجرجاني: " فينبغي إذا تعجب المتعجب وأكبر المكابر أن يقصد بتعجبه وإكباره إلى المنع الذي في الآية والبرهان لا إلى الممنوع فيه"[5].

---

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة(ص586- 594).

(2) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (إعجاز القرآن) (ج7/ 226).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص568).

(4) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج2/ 94). القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج16/ 323).

(5) انظر: الجرجاني، الرسالة الشافية (ص152). نفس المؤلف، دلائل الإعجاز (ص619).

3- لو ثبت هذا المنع وهو القول بالصرفة لكان في حد ذاته هو المعجزة، وليس القرآن الكريم ولكانت جميع آيات التحدي باطلة[1].

4- يلزم القول بالصرفة زوال الإعجاز وزوال التحدي بالقرآن الكريم، وهذا باطل لدلالة كثير من الآيات التي تدل على أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة والباقية للنبي محمد ﷺ، وقد أجمعت الأمة على إضافة الإعجاز للقرآن الكريم فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة الإعجاز، فلو قلنا أن الصرفة هي المعجزة لخرج القرآن عن كونه معجزة، فخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة، فلا يمكن لأهل الفصاحة واللغة الإتيان بمثله لا بصرفة ولا غيرها[2]، وقد تحدي الله ﷻ العرب على الإتيان بمثله فعجزوا .

ثانياً: مراحل تحدي الله ﷻ العرب على أن يأتوا بمثله.

بعد أن نشر الرسول محمد ﷺ دعوته في مكة ودعا الناس إليها ونبذ عبادة الأصنام، طالبوه بالدليل على صدق دعوته فكان القرآن الكريم هو الدليل على صدقه ﷺ الذي هو تنزيل العزيز الحكيم ويحمل بين آياته صدق النبي كما في قوله ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يونس:37] ، فزعموا أنه من عند محمد ﷺ فتحداهم الله ﷻ على أن يأتوا بمثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا على الإتيان بمثله ووقفوا حائرين أمامه وهذا دليل على إعجازه[3].

فكان تحدي بالقرآن على أربعة مراحل:

المرحلة الأولي: الإتيان بمثل القرآن كما في قول الله ﷻ: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[الطور:33- 34]، كان هذا التحدي في القرآن بشكل عام للعرب وغيرهم من الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فأنتم الذين تدعون الفصاحة والبلاغة وحسن النظم، تعالوا بمثله إن كنتم صادقين في دعوتكم أن محمداً أتاهم من تلقاء نفسه، ثم بين

---

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج322/16- 323) للمزيد من الردود انظر الجزء السادس عشر(إعجاز القرآن).

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج2/ 94) بتصرف. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 75).

(3) انظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن (ص37).

القرآن عجزهم على ذلك في قوله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[الإسراء:88][1]، فهذا برهان قوي على صحة ما جاء به محمد ﷺ وصدق دعوته، حيث تحدي الله الإنس والجن على الإتيان بمثله فعجزوا ولن يأتوا بمثله حتى يرث الله الأرض ومن عليها[2].

المرحلة الثانية: الإتيان بعشر سور من سور القرآن الكريم، كما في قول الله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[هود:13].

فالقرآن الكريم قد أطلق لهم العنان ولم يقيدهم بالإتيان بآيات تدل على الألوهية والربوبية وقصص الأنبياء وغيرها من الموضوعات القرآنية، وإنما طالبهم بالإتيان بعشر سور وتكون موضوعاتها كما يشاءون ولكن بشرط أن تكون بفصاحة القرآن وبلاغته ونظم أسلوبه وعباراته[3].

المرحلة الثالثة: الإتيان بمثل سورة من سور القرآن الكريم: وذلك كما ورد في سورة يونس ؏ في قوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[يونس:38]، هنا وقد بلغ التحدي ذروته القصوى واكتُفي فيه بأن يأتوا بمثل سورة فقط من سور القرآن الكريم، ولم يحدد لهم نوعية السورة طويلة أم قصيرة لليقين التام بأنهم لن يأتوا بمثله[4]، ولا شك في كذبهم وافتراءهم بأن محمداً افتراه من تلقاء نفسه، فإن كان الجميع عاجزاً عن الإتيان بمثله فكيف بشخص محمد ﷺ النبي الأمي أن يأتي به، فهذا دليل على أنه من عند الله ﷻ معجز في ألفاظه وتراكيبه وليس من كلام البشر وقد عجز الجميع عن الإتيان بمثله[5].

---

(1) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص266). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/ 107).

(2) انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص444). مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن (ص37).

(3) انظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن (ص39).

(4) انظر: محمد رضا، تفسير المنار (ج11/ 302).

(5) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/ 92).

المرحلة الرابعة: الإتيان بسورة تشبه سور القرآن ولو بوجه من الوجوه:

وكانت هذه المرحلة الأخيرة من تحدي القرآن للعرب، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[البقرة:23][(1)]، ففي هذه الآية تحداهم بالإتيان بسورة تشبه القرآن وقد يراد بالشهداء هنا إما الأعوان والأنصار والموالين لهم في الكفر والإنكار، وقد يراد بهم الآلهة والأصنام التي كانت تعبد من دون الله ﷻ فيشهدوا لكم بأنه مثل القرآن، على كلا الوجهين فلن يستطيعوا الإتيان بمثل هذا الأمر، حتى وإن كانوا مساندين لكم في كل الأمور لكنهم عجزوا في هذا الأمر[(2)] وبذلك يتبين أن القرآن الكريم كلام الله من تنزيل الرب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو معجز بكل ما فيه من أسلوب وعبارات وحقائق.

من خلال المراحل السابقة نلاحظ أن القرآن الكريم تدرج في التحدي للإتيان بمثل هذا القرآن، ومن خلال سرد السور السابقة نلاحظ أن التحدي كان بكل قوة وثقة، فالمراحل الثلاثة الأولى تميزت بذكرها في سور مكية وكان الخطاب فيها للعرب بحكم أنهم أصحاب الفصاحة والبلاغة وهم المتحدون، بينما المرحلة الرابعة ذكرت في سور مدنية وكان الخطاب موجهاً للناس جميعاً بما فيهم العرب والعجم[(3)].

المطلب السادس: بيان عاقبة المكذبين والمستهزئين بدعوة النبي محمد ﷺ ورسالته.

بعد أن أقام النبي محمد ﷺ دعوته ونشر رسالته من خلال القرآن الكريم وحث الناس على التوحيد والبعث وأصول الدين، استهزأ به بعض كفار مكة وكذبوه وقالوا إنه ساحر ومجنون وأنه ليس بنبي، فسورة يونس عليه السلام قد عرضت في غير موضع بعض الجزاء والعقاب لهؤلاء المكذبين والمستهزئين بالنبي محمد ﷺ ودعوته ومنها:

---

(1) انظر: فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم (ص 32).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 108). النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج1/ 66). أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج1/ 165).

(3) انظر: فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم (ص32- 33).

أولاً: النار مستقر وملجأ لهم خالدين فيها.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون﴾[يونس:8]، في هذه الآية يخاطب الله ﷻ الذين أنكروا البعث واللقاء والحساب يوم القيامة ورضوا بنعيم الحياة الدنيا وزينتها مطمئنين النفس على ما فيها من الشهوات والملذات، وغفلوا عن التأمل والنظر في دلائل التوحيد وأعرضوا عن الآيات القرآنية والتفكر بها، فأولئك مسكنهم ومقامهم الأخير نار جهنم خالدين فيها جزاءً على ما كانوا يفعلونه في الحياة الدنيا من الذنوب والمعاصي والكفر والتكذيب بالله ورسوله(1).

كما في قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[يونس:27]، وأما في هذه الآية يبين الله ﷻ العذاب الذي يستحقونه فتغشى وجوهم الذلة والخوف والفضيحة من الله ﷻ، وكأنما اكُتست قطعاً وأجزاءً من سواد الليل المظلم الحالك الذي لا نور فيه أبداً، وكأنها ظلمات تراكمت فوق بعضها البعض فلا ترى من شدة الظلمة والسواد، وفي ذلك الوقت ليس لهم من الله من مانع يمنعه حين نزول العذاب عليهم كالذين كانوا في الدنيا من الشركاء والآلهة، فهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً(2)، كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُون﴾[يونس:52].

ثانياً: الخسران وعدم الفلاح.

قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِين﴾[يونس:45]، أي: أن هؤلاء المكذبين بالبعث ولقاء الله ﷻ وأنكروا رسالة محمد قد خسروا الكثير من الخير؛ لأنهم لم يكونوا موفقين في اختيارهم الكفر على الإيمان، وجحدوا لقاء الله فنالهم من الله الخسران والمقصود هنا خسران الجنة ونعيمها وأي خسارة أعظم من هذه

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ 218). محمد حجازي، التفسير الواضح (ج2/43).
(2) أحمد المراغي، تفسير المراغي (ج11/ 96). نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 212) بتصرف.

الخسارة ، فكان جزاءهم العذاب الذي لا مفر منه[1]، يقول الرازي في بيان معنى الآية:" أن من باع آخرته بالدنيا فقد خسر؛ لأنه أَعطَى الكثير الشريف الباقي وأخذ القليل الخسيس الفاني"[2]، وهذا دليل على قصر الحياة الدنيا وفنائها وحقارتها، فماذا نال الكافرين والمنكرين للبعث والرسالة غير الخسران في الدنيا والآخرة، كما في قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾[يونس:17]، فالمكذبين والمفترين على الله بنسبة الولد إليه وتكذيب آياته فهؤلاء أظلم الناس ولا أحد أشد ظلماً منهم، لأن أشد الظلم الاعتداء على الله ﷻ بالتكذيب والافتراء، فهؤلاء قد خسروا وخابوا ولا يفلحون في الوصول إلى هدفهم ومبتغاهم[3].

ثالثاً: إهلاك الله لهم لكفرهم وتكذيبهم للنبي محمد ﷺ.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[يونس:13] ، وقوله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[يونس:39]، هذه الآيات خطاب للمشركين من أهل مكة وإنذارهم بأن الله ﷻ أهلك من سبقهم من الأقوام لكفرهم وعنادهم وتكذيبهم للرسل عندما جاءوهم بالمعجزات والدلائل البينة الدالة على صدق نبوتهم وقد ذكرت سورة يونس ما حدث مع فرعون وكيف أهلكه الله بسبب عدم إيمانه، فيقول الله ﷻ لهم إنه قادر على إهلاككم لتكذيبكم النبي محمد ﷺ، ورغم الإنذار والتهديد أصروا على الكفر والتكذيب لقسوة قلوبهم وعنادهم، فيأمر الله ﷻ نبيه بإنزال العذاب عليهم وإهلاكهم لعلمه أنهم سيموتون على الكفر ولا فائدة من إعطائهم بعض الوقت للتوبة وهذا جزاء كل كافر[4].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/ 97). وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج11/ 188).

(2) الرازي، التفسير الكبير (ج17/ 260).

(3) انظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج457/2). الرازي، التفسير الكبير(ج17/ 226). ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج11/ 123- 124).

(4) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج3/ 107). أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (6/ 21). الزمخشري، الكشاف (ج333/2). ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج110/3).

قال القرطبي في تفسير الآية (13) من سورة يونس ﷺ : "هذه الآية ترد على أهل الضلال القائلين بخلق الهدى والضلال"[1]، والمعتزلة من القائلين بخلق الإنسان لأفعاله ومن ضمنها الهداية والضلال وهذا ما ستبينه الباحثة خلال هذا البحث.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج8/ 318).

الفصل الثالث

الغيبيات في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة.

الفصل الثالث

الغيبيات في سورة يونس عليه السلام بين السلف والمعتزلة

إن جميع المخلوقات تشترك مع الإنسان في إدراكها للمحسوسات، وأما الغيبيات فهي ما تميز الإنسان عن غيره وهي العقبة التي بها يتجاوز الإنسان مرتبة الحيوان، لذا فإن الغيب أحد ركائز الإيمان في جميع الرسالات السماوية وخاصة القرآن الكريم، فهي جاءت لنا بكثير من الأمور الغيبية التي لا مجال للإنسان بالعلم بها إلا بالخبر الصادق عن الله ﷻ في كتابه العزيز وفي سنة رسوله ﷺ لذا فالإيمان به واجب[1]، ولا يجوز رد شيء من أمور الغيب لاستبعاد العقل لها[2]، وسورة يونس عليه السلام وضحت لنا كثير من الأمور الغيبية من ذكر الشفاعة واليوم الأخر والجنة والنار وغيرها، وهذا ما سأفصله في هذا الفصل.

المبحث الأول:

تعريف الغيب وأقسامه وآثاره.

المطلب الأول: تعريف الغيب لغةً واصطلاحاً بين السلف والمعتزلة.

أولاً: تعريف الغيب لغةً .

الغيب في اللغة: مصدر من غاب، فكل ما استتر عن الحواس وخُفى عن العيون سواء كان محصلاً في القلوب أم غير محصلٍ فهو غيب[3]، وكل مكان غاب عنك ما فيه فهو غيب، يقال للشيء: غَيْبٌ وغَائِبٌ بالنسبة للإنسان لا بالنسبة إلى الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ لا يغيب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، كما في قوله ﷻ:﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[الأنعام:73]، وقوله ﷻ: ﴿ **فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ** ﴾[يونس:20][4].

---

(1) انظر: علي الشحود، أركان الإيمان (ص10). سميح الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة (ج2/ 11).

(2) انظر: ابن جبرين، التعليقات على متن لمعة الاعتقاد (ص 135).

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج3/ 399). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج4/ 304).

(4) انظر: مرتضي الزبيدي، تاج العروس (498). الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن (ج1/ 616).

يتضح من المعنى اللغوي أن الغيب يدور معناه حول الخفاء والتستر وكل أمر لا تدركه الحواس، وكل علم يغيب عن علم الإنسان معرفته.

ثانياً: تعريف الغيب اصطلاحاً عند السلف

الغيب اصطلاحاً: "هو كل ما غاب عن حس الإنسان سواء بقي مكتوماً يعجز الإنسان عن إدراكه بحيث لا يعلمه إلا اللطيف الخبير، أو كان مما يعلمه الإنسان بالخبر اليقين عن الله ورسوله، وقد يعلم الإنسان بعض الغيب بتحليله الفكري أو نحو ذلك من الوسائل المتاحة"[1]، ويمكن تعريفه أيضاً بأنه "ما غاب عن الحواس مما لا يُوصلُ إليه إلا بالخبر دون النظر"[2]، لكن هناك من الأمور التي يمكن أن تُعلم ويتوصل إليها الإنسان بالنظر والتحليل الفكري مثل وجود الله ﷻ.

فالغيب: ما غاب عن عيوننا وحواسنا وكل ما أخبرت به الرسل كالإيمان بالله ﷻ وملائكته، ومن ذكر للجنة والنار، والبعث والحشر، وغير ذلك من الأمور الغيبية الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[3].

رابعاً: تعريف الغيب عند المعتزلة.

الزمخشري في تفسيره فصل في تعريفه للغيب، فجعله قسمين إما صلة وإما حالاً، فإن كان صلة كان بمعنى الغائب فيقال غاب الشيء غيباً، والعرب تسمي ما اطمأن من الأرض غيباً فالغيب هو الأمر الخفى الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم الله ﷻ ونحن نعلم منه ما أخبرنا به ودل عليه دليل، ولهذا لا يجوز أن يُطلق فلان يعلم الغيب، وإن كان حالاً كان بمعنى الغيبة والخفاء[4].

---

(1) علي الشحود، أركان الإيمان (ص10).
(2) ابن العربي، أحكام القرآن (ج1/ 15).
(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج1/ 238). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج13/ 233).
(4) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج1/ 38- 39).

قال القاضي عبد الجبار: "الغائبات التي قام الدليل على صحتها، كأمر الآخرة والجنة والنار والملائكة والحساب"[1].

المطلب الثاني: أقسام الغيب

إن أمور الغيب كثيرة ويصعب حصرها لذا تعددت أقسامه بناءً على اعتبارات مختلفة، وقد قسم العلماء الغيب إلى ثلاثة أقسام باعتبارات مختلفة سأبينها على وجه الاختصار.

القسم الأول: الغيب باعتبار علمه ومعرفته، ويندرج ضمنه ثلاثة أنواع[2]:

1- نوع يعلمه بعض المخلوقات دون غيرهم، وهو ما يطلق عليه الغيب النسبي، فمثلاً قد يعلم الإنسان بعض ما يجهله غيره من المخلوقات، وكذلك الأنبياء مميزون عن غيرهم فيما يمتلكونه من العلم.

2- نوع يمكن أن يعلمه الخلق من خلال البحث والاكتشاف والتنقيب عن الحقائق الكونية المجهولة.

3- نوع لا يعلمه أحد من الخلق وهو ما استأثر الله ﷻ بعلمه، وهو ما يسمى بالغيب المطلق كالروح، ووقت يوم القيامة وقيام الناس للبعث والحساب، فهو لا يعلم به نبي مرسل ولا غيره فهو لله ﷻ ولا ينال كسابقه من خلال البحث والعقل.

القسم الثاني: الغيب باعتبار الزمان، وأيضاً يندرج ضمنه ثلاثة أنواع[3]:

1- غيب الماضي: كالأحداث الماضية التي ذكرها القرآن الكريم من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وهذا النوع بالنسبة للإنسان نسبي، مثلاً كقصة يوسف عليه السلام هي غيب بالنسبة للنبي محمد ﷺ ولكنها كانت معروفة لأخوة يوسف عليه السلام،وسورة يونس ذكرت بعض قصص الأنبياء كنوح وموسى عليهم الصلاة والسلام.

---

(1) القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص12).

(2) انظر: بسام العموش، الإيمان بالغيب (ص40- 41). محمد الجليند، الوحي والإنسان(81- 82). علي الشحود، أركان الإيمان (ص10- 12).

(3) انظر: بسام العموش، الإيمان بالغيب (ص41- 42). الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (ج367/2- 368).

2- غيب الحاضر: أي كل ما يحدث في الكون ولكن الإنسان لا يراه ولا يقع تحت حواسه لوجود عائق ما حال بين رؤيته.

3- غيب المستقبل: وهذا الغيب لا يعلمه الإنسان وإنما علمه عند الله ﷻ، وما أخبر الله ﷻ به أنبياءه فهو من باب اطلاع الله لهم عليه، أما الإنسان فعلمهم بهذا مجرد توقعات على ما سيكون في المستقبل، فعلم الغيب وخاصة هذا النوع هو لله وحده كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[يونس:20]، أي: لا أحد يعلم الغيب إلا الله، الذي يعلم عواقب الأمور واللام في لفظ الجلالة الله هنا أفادت الاختصاص[1].

ثالثاً: الغيب باعتبار ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية:

1- الغيب الذي ذكره القرآن الكريم وأخبرنا به عن طريق أنبيائه فهذا النوع من الغيب يجب أن نؤمن به ومن يكفر به فهو كافر خارج من الملة.

2- أما الغيب الذي ذكرته السنة النبوية أيضاً من واجبنا الإيمان به ومنكره كافر إذا كانت السنة متواترة، وأما إن كانت السنة أحاد فمنكره فاسق[2].

الخُلاصة:

أن الغيب بأقسامه الثلاثة وبأنواعه المختلفة، منه ما انفرد به الله ﷻ بعلمه، ومنه ما أخبرنا به من خلال الوحي، فهذا يجب الإيمان به قطعاً، ومنه ما نعلمه من خلال التحليل والبحث والاكتشاف، ومنه ما لا يقع تحت حواسنا وقد يعلمه غيره من المخلوقات.

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ 225). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/ 48). أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج4/ 133).

(2) انظر: بسام العموش، الإيمان بالغيب (ص42).

المطلب الثالث: أثار الإيمان بالغيب.

أولاً: بالنسبة للفرد

1- لعل من أهم آثار الإيمان بالغيب نشر السكينة والطمأنينة والسعادة في قلوب العباد، وإخلاص النية والقول والعمل لله ﷻ؛ لأن رأس الإيمان بالغيب هو الإيمان بالله ﷻ وعبادته وبذلك يكون العبد مطمئناً كما في قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:28]، وأي اطمئنان يبعث في النفس السكينة والسعادة غير ذكر الله ﷻ، وكما قال ابن قيم الجوزية: "السعادة بثلاثة أمور: شكر النعمة، والصبر على البلاء، والتوبة من الذنب"[(1)]؛ لذلك نجد الكافر يعيش في حالة من التعب وعدم الاستقرار النفسي لعدم إيمانه بكافة الأمور الغيبية من القضاء والقدر وغيرها من الأمور الغيبية[(2)].

2- الإيمان بالغيب له تأثير واضح على النفس البشرية؛ فالإيمان به يجعل النفس تخشى الله ﷻ في خلوتها وفي جلوتها، وفي حركتها وفي سكونها، وفي عسرها ويسرها، وفي جميع أمور الحياة مما يجعلها أن تعمل على تصويب مسار الحياة، بالتوكل على الله والإكثار من الطاعات واجتناب المعاصي والمنكرات[(3)].

3- الإيمان بالغيب يعمل على تطهير القلوب وصلاحها مما يعتريها من الأوهام والشكوك وأمور الكفر، فقلوب العباد متقلبة تصح وتمرض، فالإيمان بالغيب يجعلها تستقيم فهو عنصر أساسي في صحتها من خلال الاعتماد على كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ[(4)].

4- الإيمان بالغيب يعين على الشجاعة والصبر وعدم القنوط، ففي حياتنا اليومية نواجه الكثير من الشدائد والأزمات فالإنسان المؤمن يلجأ إلى تلك القوى الغيبية التي تعين

---

(1) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص5).

(2) انظر: المرجع السابق (ص185).

(3) انظر: سميح الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة (ج2/ 9).

(4) انظر: عبد الله الجربوع، آثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (ج1/ 260).

الإنسان وتصبره وتجعله أن يتوكل على الله ﷻ وأن يرضى بما كتبه الله له وأن يكون مطمئناً على حاضره ومستقبله لأن الأمر كله بيد الله ﷻ(1).

ثانياً: بالنسبة للمجتمع.

1- الإيمان بالغيب يجعل المجتمع مجتمعاً مترابطاً متمسكاً بعقيدة التوحيد والعبودية لله ﷻ، مما يجعله أكثر إنتاجاً وأكثر رقياً من غيره؛ لأن المجتمع السليم القوي هو الذي يسير على طريق الهدى والرشاد، الطريق الذي رسمه لنا الأنبياء وكما ورد ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية(2).

2- الإيمان بالغيب ينشئ مجتمعاً يقوم على نشر الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكون له آثرٌ بارزٌ في الحياة الاقتصادية من السعي على الرزق وترك الجشع والحسد والغل، وفي الحياة الاجتماعية من تقوية الرابطة الاجتماعية القائمة على الإيمان بالله ﷻ ونشر الأخوة والمحبة بين أفراد المجتمع، فبذلك تكون له الخلافة في الأرض(3).

---

(1) انظر: سميح الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة (ج2/ 11- 12).

(2) انظر: عبد الله الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (ج2/ 544- 552).

(3) انظر: بسام العموش، الإيمان بالغيب (ص229- 237).

المبحث الثاني

الملائكة بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

يعتبر الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان وركن من أركانه، فهو يحتل المرتبة الثانية من أركان الإيمان كما في قوله ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[البقرة:285]، فالإيمان بهم واجب ولا يصح إيمانُ أحد أنكر وجودهم فمن أنكر وجودهم فهو كافر، فالإيمان بهم قسم من أقسام الإيمان بالغيب.

المطلب الأول: تعريف الملائكة لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الملائكة لغةً.

الملائكة في اللغة: هي جمع ومفردها ملَك، وقيل أنها مشتقة من الفعل أَلَكَ أي بمعنى الرسالة، فتسمي الرسالة أَلوكةً ومَلأَكَةً، فأصل كلمة ملَك هي مألَك فخففت ملأك، ثم نقلت الهمزة إلى اللام وخففت الهمزة فأصبحت تطلق مَلَك، وجُمعت ملائكة(1).

يتبين من المعنى اللغوي أن الملائكة مشتقة من الألوكة التي بمعنى الرسالة، فهم سفراء الله إلى أنبيائه في تبليغ الرسالة.

ثانياً: تعريف الملائكة اصطلاحاً عند السلف.

الملائكة عالم من عوالم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله ﷻ، فهم عبارة عن "أجسام نورانية لطيفة أعطيت القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات وهم عباد الله المكرمون الطاهرون ذاتاً وصفة وأفعالاً، خلقهم الله من النور لعبادته وتنفيذاً لأوامره، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون به، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة"(2).

---

(1) انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج24/1). ابن منظور، لسان العرب (ج394/10). الفيومي، المصباح المنير (ج18/1).

(2) حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج656/2). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص237). الجرجاني، التعريفات(ص229). صالح الفوزان، التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية (ص128).

فالملائكة هم خلق من مخلوقات الله ﷻ الغيبية خلقت من نور، عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ"[1] ومكانها في السموات، عباد يسبحون الله في الليل والنهار، متميزون في صفاتهم وأفعالهم، فهم لا ينامون ولا يتزوجون ولا يأكلون ولا يشربون، لهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة يفعلون ما يؤمرون، ولا يعصون الله فيما يأمرهم.

ثالثاً: تعريف الملائكة عند المعتزلة.

الملائكة عند المعتزلة: هم أجسام لا تتوالد مسكنها السموات عباد مكرمون عند الله مفضلون على سائر العباد، لما هم عليه من الأحوال والصفات التي تميزهم عن غيرهم، والملائكة عند المعتزلة أفضل من الرسل والأنبياء[2]، ولا ترى كالجن[3]، ويرى الزمخشري أنهم معصومون لا يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من الإنس والجن[4]، لكن القاضي عبد الجبار يري أنهم مجبولون على الطاعة مع قدرتهم على فعل المعصية، لكن لا يكون منهم إلا الطاعة[5]، وهذا لا يجوز فالملائكة معصومون مجبولون على الطاعة ولا يعصون الله البتة.

ويرى الزمخشري أنه لا يجوز أن توصف الملائكة بالأنوثة وأنهم بنات الله ﷻ فقال: "إنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه حيث أنثوهم، ولو قيل لأقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه[6] وذلك في أهاجيهم بين مكشوف"[7].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ/باب فِي أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةٍ، 2294/4: حديث رقم 2996] .

(2) انظر: الزمخشري، الكشاف (112/3). الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج326/2).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص134).

(4) الزمخشري: الكشاف (ج727/2) بتصرف.

(5) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل(ج230/2– 231).

(6) لانقلبت حماليقه: حملاق العين أي باطن أجفانها الذي يسوده الكحل، أو ما يغطي الأجفان من بياض المقلة، ويقال حملق الرجل أي فتح عينيه ونظر نظراً شديداً. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج1465/4).

(7) الزمخشري، الكشاف (ج63/4).

شبهة المعتزلة في الملائكة والرد عليها.

شبهة المعتزلة أن الملائكة لا يعصون الله ﷻ فيما يأمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والصالحون من بنى أدم يعصون الله ﷻ، لذلك هم أفضل من الأنبياء والرسل.

مناقشة المعتزلة والرد عليهم.

الملائكة خلقت مجبولة على الطاعة، أما بني أدم فيخطئون ويصيبون، ومنهم من يقع في المعصية ثم يتوب وخير الخطائين التوابون والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة عبادة يحبها الله ﷻ، فالخطأ الذي وقعت فيه المعتزلة تفضيل الملائكة على الأنبياء وهذا لا شك ببطلانه، والذي عليه السلف تفضيل الأنبياء والصالحين على الملائكة[1]، وقد قال ابن أبي العز الحنفي في هذه المسألة:" وحاصل الكلام أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولم يتعرض لها كثير من أهل الأصول"[2]

المطلب الثاني: وظائف وأعمال الملائكة عند السلف كما ورد في سورة يونس عليه السلام.

أولاً: وظائف الملائكة عند السلف.

لقد دلت النصوص الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة على أن الملائكة أصناف، وكل صنف منهم أوكله الله ﷻ وظيفة ومهام مغايرة لبعضهم البعض، فمنهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بحملة العرش، ومنهم الموكل بحفظ الإنسان من الأذى والشر، وحفظ أعماله التي يقوم بها وتسجيلها، ومنهم الموكل بالأرزاق والقطر والنبات، ومنهم الموكل بالرحم والأجنة في الأرحام، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، والموكل بالسؤال في القبر، والموكل بالنفخ في الصور، والموكل بالجنة والنار، ومنهم زوار وعُمار البيت المعمور[3]، وغير ذلك من المهام الموكل إليهم والمتأمل

---

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص239). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج366/4). السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج398/2).

(2) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص245).

(3) البيت المعمور هو: بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف من الملائكة ثم يخرجون منه فلا يعودون. انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج454/22). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج398/7).

للنصوص الشرعية في الكتاب والسنة يلاحظ الكثير من المهام الموكلة إليهم وما ذكرته هنا بعض من أعمالهم فهم الموكلون بالعالم العلوى والسفلي وتدبير الأمر كله بإذن الله ومشيئته، فهم يعبدون الله ﷻ عبادة متواصلة من الذكر والتسبيح والدعاء، وفعل كل ما يؤمرون به ولا يفعلون المعاصي والكبائر سواءً كانت كبيرة أو صغيرة فهم يختلفون تماماً عن بنى البشر(1).

وظائف الملائكة كما وردت في سورة يونس عليه السلام :

1- إنزال الوحي على الأنبياء عليهم الصلاة السلام، وقد ورد ذلك في أكثر من موضع قال ﷻ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[يونس:1-2]، فالله ﷻ اصطفى من عباده أفراداً وأكرمهم بالنبوة والرسالة، وأرسل إليهم ملائكة لتبليغهم أوامر الله وتشريعاته، فهم السفراء بين الله ﷻ وعباده وخاصة الأنبياء والرسل منهم، والموكل بإنزال الوحي على الأنبياء جبريل عليه السلام، وسورة يونس عليه السلام قد ورد فيها إنزال الوحي على الأنبياء بواسطة الملائكة وخاصة النبي محمد ﷺ كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[يونس:15]، ومما يؤكد نزول الملائكة بالوحي على الأنبياء حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، والْإِيمَانِ، والسَّاعَةِ، الْإِحْسَانِ قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ

(1) انظر: حسن أيوب، تبسيط العقيدة الإسلامية (ص180-181). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص237-238). صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص169-170). علي الشحود، أركان الإيمان (53-60).

أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ "جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" (1)، وقد سبق التفصيل في هذه المسألة في هذا البحث (2).

2- **إهلاكهم للأمم الكافرة والمكذبة لله ﷻ:** فإهلاك الأمم السابقة والظالمة هو من وظائف الملائكة فتُنزل بهم العقاب والعذاب الشديد بأمر من الله ﷻ وذلك لتكون عبرة لغيرها، وسورة يونس عليه السلام بينت إنزال الملائكة العذاب على المشركين المكذبين للنبي محمد ولرسالته، كما في قوله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [يونس:13]، وكذلك كيف تم إهلاك قوم نوح عليه السلام وإنزال العقاب عليهم، كما في قوله ﷻ: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ**﴾ [يونس:73]، وأيضاً إغراقهم لفرعون عند تمرده وطغيانه، قال ﷻ : ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [يونس:90]، فإهلاك الأمم السابقة وإنزال العذاب عليهم من وظائف الملائكة المكلفة بها.

3- **كتابة الملائكة أفعال وأعمال وأقوال العباد:** فهي تقوم بكتابة وتسجيل جميع أفعال وأقوال بني البشر، وورد ذلك في قوله ﷻ: ﴿**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ**﴾ [يونس:21]، الشاهد في قوله﴿ **إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ**﴾ أي أن الملائكة الموكلون بكتابة وتسجيل أعمال العباد مؤمنهم وكافرهم تكتب جميع ما يقولونه وما يعملونه، كذلك النية؛ لأنها من فعل القلب(3) كما في قوله ﷻ : ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيب عَتِيد**﴾ [ق:18]، فهناك ملك يكتب قوله وفعله فإن كان خيراً فهو من أهل اليمين، وإن كان شراً فهو من أهل الشمال، فهما يرصدان جميع ما

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْإِيمَانَ/ باب معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، 36/1: حديث رقم 8].

(2) انظر: صفحة (227).

(3) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص327).

يصدر عنه من قول أو فعل[1]، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل يسجلون جميع ما تدبرون وتخططون له، فيسجلونه عليكم، وبعد ذلك يعرضونه على الله ﷻ فيجازي كل واحد منكم على كل فعل فعله سواء كان خيراً أو شراً، وذلك من تمام العناية الربانية وأنه ﷻ لا يغيب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، فهو عالم الغيب والشهادة[2]، قال ابن تيمية "أن الله قادر أن يُعلِمَ الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يُطَّلِعَ بعض البشر على ما في نفس الإنسان"[3].

والدليل على أن الملائكة تسجل جميع أفعال قلوب العباد، فعن ابن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ: قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً"[4].

ثانياً: وظائف الملائكة عند المعتزلة.

من أهم مهام ووظائف الملائكة عند المعتزلة: تبليغ رسالات الله ﷻ للأنبياء وكبيرهم جبريل ؑ، ومنهم حملة العرش ويزعمون أن العرش في السماء لعبادة الملائكة وهو كالبيت الحرام في الأرض[5]، ولكن الملكين منكر ونكير فقد اختلفوا في إثباتهم ونفيهم، نتيجة لاختلافهم في إثبات عذاب القبر أو نفيه، فمن أثبت عذاب القبر أثبت الملكين منكر ونكير كالجبائي وسائر

---

(1) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج129/8). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (372/7).

(2) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج144/11).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج253/4).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاقِ/ باب مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ، 103/8: حديث رقم 6491].

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص365).

المعتزلة، ومن أنكر عذاب القبر كضرار بن عمرو، فقد أنكر منكر ونكير[1]، ورغم ذلك فيؤمنون بالملائكة الموكلون في النفخ في الصور وصاحبه إسرافيل[2].

من خلال ما سبق يتبين:

1- أن المعتزلة توافق السلف في بعض وظائف الملائكة، لكن المعتزلة تدعى أن العرش مكان لعبادة الملائكة فهذا باطل؛ لأن العرش هو سرير الملك الذي استوى الله ﷻ عليه، ومكان العبادة للملائكة هو البيت المعمور فيعمرونه بالعبادة والذكر فيدخله كل يوم سبعون ألفاً ثم لا يعودون إليه، عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "... فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ"[3].

2- الذي عليه السلف إثبات جميع الملائكة الموكلين بوظائفهم الخاصة بهم بما فيهم الإقرار بوجود الملكين منكر ونكير والقيام بالمهام الموكلة إليهم.

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص730-734). ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج4/55-56).

(2) انظر: الزمخشري، الكشاف (393/4).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب بَدْءِ الخَلْقِ/باب ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ، 109/4: حديث رقم 3207].

المبحث الثالث

اليوم الآخر ومظاهره من خلال سورة يونس ﷺ بين السلف والمعتزلة.

يعتبر اليوم الآخر من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان فهو منعطف ومرحلة خطيرة ينتقل بها الإنسان من حياة إلى حياة أخرى، لذلك ينبغي لكل مسلم أن يهتم بذلك اليوم العظيم بما فيه من أحداث عظيمة وجليلة والتي تنتهي بالخلود إما في جنات النعيم وإما في نار جهنم، وفي وقتنا الحاضر نلاحظ أغلب الناس قد ألهتهم الدنيا بشهواتها وملذاتها وتناسوُا ذلك اليوم العظيم الذي يكون فيه الاستقرار والخلود، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون﴾ [يونس:7].

وسورة يونس ﷺ سردت بعض أحداث ذلك اليوم العظيم بمشاهده، والحديث في هذا البحث على ما ورد فيها من ذكر للبعث، والحشر، والشفاعة، والجنة والنار.

المطلب الأول: تعريف اليوم الأخر بين السلف والمعتزلة.

أولاً: تعريف اليوم الآخر لغةً:

اليوم كلمة مفردة وجمعها أيام، والأصل في أَيَّامٍ أَيْوَامٌ، لكنه أدغم(1)، ويعبر باليوم عن المدة من الزمان، أو بالفترة ما بين وقت طلوع الشمس إلى غروبها(2)، أما التركيب الثاني من التعريف الآخر: فهو ما يقابل الأول، والآخِرَةُ والأُخْرَى: أي دار الحياة بعد الموت ودار البقاء(3)، ويراد بالدار الآخرة النشأة الثانية بعد أن كانت الدنيا هي النشأة الأولى(4)، وسمي باليوم الآخر "لأنه آخر يوم ولا يوم بعده"(5) فهو آخر الأوقات المحدودة ومتأخراً عن الدنيا.

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج6/159-160).

(2) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص 894).

(3) انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ص342). إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط (ص9).

(4) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص68-69).

(5) محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (ج2/72).

ثانياً: تعريف اليوم الآخر اصطلاحاً عند السلف.

المقصود باليوم الآخر عند السلف: هو ذلك اليوم الذي تبدأ فيه التغيرات الكونية بما فيها السماوية والأرضية فتتبدل الأرض غير الأرض، وتتشقق السماء وتتصادم الكواكب والمجرات، وتتبعثر النجوم، وتنتهي الحياة في ذلك العالم الذي نحياه [1]، وهو يوم القيامة الذي يبدأ بالحشر وخروج الناس من قبورهم للحساب وعرض الصحائف إلى أن ينتهي بالجنة أو النار [2].

وعليه فالإيمان باليوم الآخر يكون مجملاً: بالاعتقاد الكامل أن هناك يوماً يجمع الله به عباده لمجازاتهم على أعمالهم، ويكون المستقر في الجنة أو النار.

أما الإيمان المفصل: فهو الاعتقاد والتصديق بكل ما أخبر الله ﷻ ورسوله ﷺ بما يكون قبل الموت من إمارات الساعة وأشراطها، وبما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، وبما يكون بعد الموت من النفخ في الصور، والبعث والحشر والحساب والصراط والميزان والجنة والنار [3].

فالإيمان باليوم الآخر جزءٌ لا يتجزأ من أجزاء العقيدة، كيف لا وهو أحد أركان الإيمان بالله ﷻ ويمثل الركن الخامس منها ويأتي بالمرتبة الثانية بعد الإيمان بالله، مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ ﴾[البقرة:177]، وقوله ﷻ: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[التوبة:29]، فمن أنكره فهو كافر، ويكون قد كفر بجميع أركان الإيمان ويجب محاربته ومقاتلته، وهذا ما عليه السلف الصالح، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾[يونس:53].

(1) انظر: عبد السلام التونجي، الإيمان باليوم الآخر (ص55).

(2) انظر: حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية (211). البيجوري، شرح جوهرة التوحيد (ص193).

(3) انظر: نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص70). الأثري، الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه (ص149). محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبو حنيفة (ص495). محمد التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة (ص89).

ومن مظاهر اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر، الإكثار من ذكره فلا تكاد تخلو سورة من سوره إلا ويكون الحديث عنه بأسماء كثيرة ومتعددة، فمن أسمائه يوم البعث، يوم الدين، يوم الجمع، يوم الفصل، يوم الخروج، وغيرها من الأسماء وكل اسم يحمل دلالة تدل على معناه[1].

وسورة يونس ﷺ ذُكر فيها أحد أسمائه يوم الحشر كما في قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾[يونس:28]، وقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾[يونس:45]، وسُمي بيوم الحشر؛ لأن الله ﷻ يحشر عباده في أرض المحشر للحساب وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل.

ثالثاً: اليوم الآخر عند المعتزلة.

لاعتماد المعتزلة على العقل واتخاذه المصدر الأساسي في الاستدلال على مسائل العقيدة، فقد نهجت نهجاً جدلياً وخالفت مذهب السلف الصالح في أمور الدين كافة ومنها أحداث يوم الآخرة، فقد أنكرت وأولت جميع أحداث ذلك اليوم، فأنكرت رؤية الله ﷻ يوم القيامة كما سبق الحديث عنها، وأنكرت شفاعة النبي محمد ﷺ في أهل الكبائر، وكذلك ادعت أن الجنة والنار غير مخلوقتين الآن، وبعضهم قال بفناء حركات أهل الجنة، وكذلك تؤلوا أحداث ذلك اليوم من بعث وحشر، وسأُبين مذهبهم في هذه العقائد في المباحث التالية من هذا البحث.

وقال علماء الكلام: "إن وجود اليوم الأخر ممكن؛ لأنه لو قدر وجوده لم يلزم من تقدير وجوده محال فما المانع إذن أن يوجد يوم أخر عقلا" فهم نهجوا منهجاً جدلياً بعيداً عن العقل المنطقي[2].

المطلب الثاني: البعث بين السلف والمعتزلة والرد على المنكرين للبعث كما في سورة يونس ﷺ.

من أحداث اليوم الآخر التي وردت في سورة يونس ﷺ بعث العباد من قبورهم أحياء ليتم مجازاتهم على أعمالهم، وقد وردت العديد من الآيات التي تؤكد البعث وترد على شبه

(1) انظر: إيمان كردي، اليوم الآخر أحداث وعبر (ص9-14) حيث ذكرت أسماء يوم القيامة ودلالة كل اسم من أسمائه. عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص628-630).
(2) محمد العبده وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث (ص17).

المنكرين له كما في قوله ﷻ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:4].

أولاً: تعريف البعث لغةً.

البعث في اللغة يطلق على عدة معانٍ منها: الإرسال يقال بعثت فلاناً أي أرسلته، والبعث يأتي بمعنى الإثارة والتحريك لأي شيء ساكن، أو قاعد، يقال بَعَثْتُ الناقة أي أثرتها وكانت قبل باركة أو قاعدة، ويأتي بمعنى الإيقاظ من النوم، وبعثته من النوم، أي أيقظته[1].

ثانياً: تعريف البعث اصطلاحاً عند السلف وكيفيته.

أ- البعث اصطلاحاً عند السلف.

البعث الذي يكون في يوم الجزاء هو حقيقة مؤكدة وأمر واقع لا محالة، وهذا أمر ليس ببعيد على ﷻ الذي خلق كل شيء، وهذا البعث لا يستثني منه أحداً فيشمل جميع المخلوقات من إنسان وحيوان وكل ما دبت فيه الروح[2]، كما في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:23].

وعليه فيمكن تعريف البعث بأنه: إحياء الله ﷻ الموتى من قبورهم بإعادة الأرواح وإحياء الأجساد وذلك حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيخرج الخلق جميعهم من قبورهم إلى أرض الموقف، ويبعث كل إنسان على ما مات عليه لينال كل منهم جزاءه وحسابه[3]، فعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ"[4].

---

(1) انظر، ابن منظور، لسان العرب (ج116/2-117). مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج169/5). الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج165/1). الجوهري، الصحاح وتاج اللغة (ج273/1).

(2) انظر: عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص651).

(3) انظر: عبد العزيز عبد اللطيف، التوحيد للناشئة والمبتدئين (ص89). نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص99). محمد التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة (ص104).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ/باب الْأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ، 2206/4: رقم الحديث 2878].

نلاحظ من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للبعث أن هناك علاقة وشيء يعمل على إثارة وتحريك المبعوث من مكان إلى مكان آخر، والبعث في الاصطلاح أن الله ﷻ يبعث الأجساد بإعادة الروح فيها.

ب- كيفية البعث.

أما كيفية البعث فالله ﷻ يعيد جسد الإنسان بعد أن يبلى تماماً إلا عجب الذنب(1)، إلى ما كان عليه في الدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ"(2)، فتعود الأرواح إلى أجسادها التي كانت في الدنيا، وهذا يدل على إمكانية تقلب الأجسام وانقلابها من حال إلى حال، وهذا ليس مستحيل على الله ﷻ بل إن القادر على إنبات الثمر الذي على الشجر، وفالق الحب والنوى وإنبات الحبة وتحويل ما فيها إلى سنبلة، وخالق النار وتحويل أجسام الزناد إلى نار بقدرته ومشيئته قادر على إعادة الإنسان الذي خلقه الله من طين وجعله عظاماً ولحماً، فيعيده بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب فيبعثه منها(3)، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون:12-16]، والنشأة الثانية هي إعادة للنشأة الأولى كما ورد في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الروم:27]، وهذه الإعادة التي أخبر الله ﷻ ورسوله ﷺ عنها قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[يونس:34]، فهي الإعادة المعقولة المفهومة التي يفهمها الجميع من المؤمنين والمشركين، والتي يدل عليها لفظ

---

(1) العجب في اللغة: هو العظمة الذي تكون في أسفل جسم الإنسان. انظر: ابن منظور، لسان العرب (582/1). وفي الاصطلاح" فهي:" عظم لطيف في أصل الصلب وهو في رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب" وهذه العظمة لا تبلى ولا تفنى ومنها يبعث الإنسان. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (ج552/8).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، تَفْسِيرِ القُرْآنِ/﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[النبأ:18]، 165/6: حديث رقم 4935].

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج248/17-249).

الإعادة، فالمعاد الذي في النشأة الثانية هو بعينه الذي في النشأة الأولى، وإن كان بينهما فرق فلا يمنع من الإعادة، فكل نشأة لها ما يناسبها من الصفات[1]، فالمؤمنون من أهل الجنة ما جاء في حديث أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: " أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ"[2]، وأما الكافر فيكون ضرسه مثل جبل أحد، عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: " ضِرْسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ"[3].

فتعاد الأرواح إلى الأجساد عند البعث وهذا هو مذهب السلف الصالح [4] قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيم﴾ [يس: 81].

ورغم ذلك فإن هناك الكثير من المشركين أنكروا حقيقة البعث وشبهاتهم تتمحور حول استحالة جمع الأعضاء بعد تفرقها، وأن أجزاء الجسم تختلط بالأرض ولا يمكن تميز شخص عن شخص آخر، وأن ذلك البعث لا فائدة منه والحكمة تقتضي دوام هذا الجنس البشري وكلما فني جيل يأتي بعده جيل آخر، أما بعثه كله يوم القيامة فذلك لا حكمة منه وهذا عبثاً[5].

الرد على المنكرين للبعث من خلال سورة يونس عليه السلام

سورة يونس عليه السلام قد ذُكر فيها العديد من الآيات التي تؤكد وتبين قضية البعث وأنه واقع لا محالة، وأن كمال الله ﷻ وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه[6]، كما في قوله ﷻ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[يونس:4]، وأن الله ﷻ قد خلق الإنسان من العدم ولم

---

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص346). ابن تيمية، مجموع الفتاوي(ج255/17).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب بَدْءِ الخَلْقِ/باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، 118/4: حديث رقم 3245].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا/باب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، 2189/4: حديث رقم2851].

(4) انظر: ابن تيمية، العقيدة الواسطية (ص97).

(5) انظر: ابن قيم الجوزية، الفوائد (ص6- 7). سيد سابق، العقائد الإسلامية (ص271).

(6) انظر: ابن قيم الجوزية، الفوائد (ص6).

يكن شيئاً فكيف يصعب عليه إعادته مرة آخرى بعد موته؟ فهو القادر على كل شيء، والإعادة بالأمر الهين والسهل قال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُون﴾[يونس:4]، فجميع الخلائق مرجعها إليه يوم القيامة ولا يترك أحداً مخلداً في الدنيا إلا ويعيده كما خلقه والحكمة من ذلك لإيقاع الثواب والعقاب وأن هذا البعث لا يكون سدى وعبثاً كما ادعى المشركون وهؤلاء مأواهم النار(1)، كما قال ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم﴾[يونس:8-9]، وقوله ﷻ: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُون﴾[يونس:70] فهؤلاء الكفار سيتمتعون في هذه الدنيا بكفرهم وتكذيبهم، وبعد ذلك شاءوا أم أبوا فمرجعهم إلى الله ﷻ فيذيقهم العذاب الأليم بسبب كفرهم وطغيانهم وإنكارهم للبعث والجزاء(2)، وإذا كنتم تنكرون إعادة بعث الإنسان بعد موته فإن هناك شواهد وأدلة من الحياة الدنيا تدلل على الإحياء بعد الإماتة ومنها ما ورد في سورة يونس عليه السلام من إحياء الأرض بعد موتها، قال الله ﷻ : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون﴾[يونس:24]، أي أن هذه الدنيا بما فيها من شهوات وأمتعة مثل ماء المطر الذي ينزل من السماء إلى الأرض فينبت النباتات كافة بأنواعها المختلفة فيظهر حسن جمالها وبهاؤها وظن الناس أنها لا تُفنى ولا يُهلك ما فيها حتى يأذن الله بهلاكها وفنائها كأنها لم تكن (3)، فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها فهو الأقدر على بعث الإنسان وإحيائه من جديد، قال ﷻ: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[الحج:5-6].

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/217).

(2) انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص348).

(3) انظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ص211).

ثالثاً: البعث عند المعتزلة.

اتفق المعتزلة على إثبات البعث والإعادة، وهذا عندهم حق ويجب اعتقاده والإقرار به من باب العدل[1]، وبما أن المعتزلة أوجبوا على الله ﷻ كل فعل حسن فقد أوجبوا عليه البعث فكل من له حق على الله من ثواب أو عقاب ولا يمكن ذلك إلا بالبعث والإعادة لذلك فهي واجبة عندهم[2]، قال القاضي عبد الجبار:" إن الأجسام إذا أفناها الله ﷻ فيجب أن يصح إعادتها كما يجب أن يصح إحداثها"[3].

مما سبق يتضح أن المعتزلة متفقون في البعث وأنه واجب؛ لكن الخلاف الذي وقعت فيه المعتزلة بعد ذلك فيما يعاد من الجسم هل كله أم أجزاء معينة منه؟؟

القول الأول: ذهب إليه أبو علي الجبائي وهو أن ما يعاد من الجسم عند البعث سائر أجزائه وأعضائه، وكل من له أو عليه حق يجب إعادته[4]، فالمعاد عندهم معاد جسماني، لأن المعدوم عندهم شيء، فإذا عدم الموجود بقيت ذاته المخصوصة فيمكن إعادتها لأنها ذات باقية حتى وهي معدومة وإنما يجري عليها الوجود والعدم[5]، وهذا موافق لما عليه السلف الصالح[6].

القول الثاني: ذهب إليه القاضي عبد الجبار وهو أنه ليس من الضروري إعادة كل أجزاء الجسم، بل يجب إعادة أجزاء معينة ويكون الإنسان بها حياً؛ لأن الحي هو الجسم المبني بنية مخصوصة، وما عدا ذلك فالقديم مخير إن شاء أعاد نفس الأجزاء التي اختص بها من قبل أو ما يقوم مقامها، وهذا يدل على نفي وجود النفس واثبات الجسد[7]، أي: أن هناك أجزاء أصلية تجتمع وكافية بأن يقع عليها الثواب والعقاب.

---

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص735). الزمخشري، الكشاف (32/3).
(2) انظر: ابن متويه، التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض (ص244-245).
(3) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج455/11).
(4) انظر: ابن متويه، التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض (ص245).
(5) انظر: الجرجاني، شرح المواقف (ج317/8-319).
(6) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج157/2).
(7) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج467/11-478).

الرد على أصحاب القول الثاني من المعتزلة

1- ما ذهب إليه المعتزلة من إعادة بعض أجزاء الجسم فهذا ادعاء باطل ومخالف لما ذهب إليه السلف أن البعث يكون إعادة الروح للجسم بأكمله، قال ابن كثير: "البعث هو المعاد وقيام الأرواح والأجسام يوم القيامة"(1)، والأجسام الدنيوية تعاد بأعراضها وأعيانها كاملة(2).

2- أن النشأة الثانية هي إعادة للنشأة الأولى بعينها مع وجود بعض الفوارق كما تحدثت في كيفية البعث، فكيف يموت الجسم بأكمله ثم يُبعث منه أجزاء يكون الإنسان بها حياً، فإقحام العقل وجعله الأساس أدى بهم إلى هذا الضلال والتأويل، والكل يعلم أن الروح تسري في جسم الإنسان كافة والثواب والعقاب يقع على كليهما، وبدونها يكون الإنسان جثة هامدة بدون حركة.

المطلب الثالث: الحشر بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

بعد البعث إلى الحياة الأبدية حياة الآخرة يكون حشر الناس جميعاً للحساب والثواب والعقاب، وقد ورد ذلك في سورة يونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[يونس:45]، وقبل الخوض في الحديث عن الحشر لابد من تعريفه لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الحشر لغةً:

الحشر هو: الجمع والسوق، والمحشر هو المكان والمجمع الذي يحشر فيه جميع الخلائق يوم القيامة، ويقال أذن حشرة إذا كانت مجتمعة الخلق(3).

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج347/5).

(2) انظر: القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص 487).

(3) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج105/4). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج66/2). مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج19/11).

ثانياً: تعريف الحشر اصطلاحاً عند السلف.

الحشر عند السلف معناه: سوق الأموات من قبورهم وجمعهم إلى أرض الموقف وهو المكان الذي يقفون فيه للعرض على الله ﷻ، بقصد حسابهم وفصل القضاء فيما بينهم، وليعرف كل منهما مكانته من الجنة أو النار [1].

من المعنى اللغوي والاصطلاحي للحشر يتضح أن معناها يتمحور حول الجمع والسوق للمخلوقات في مكان ومجمع واحد.

والحشر يوم القيامة يكون للمخلوقات كافة ولكل ما دب على الأرض من إنس وجان فيحشرون؛ لأنهم مكلفون، وتحشر الملائكة للقيام بالمهام المكلفة بها، وكذلك تحشر الدواب والبهائم بكافة أنواعها لكي تشاهد عقاب من ظلمها في الدنيا، ولكي تقتص من بعضها بعضاً ويأخذ كل ذي حق حقه وهذا من باب العدل الإلهي وأنه ﷻ لا يظلم عنده أحد، ثم تكون تراباً، لقوله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[الأنعام:38][2].

ومن الآيات التي وردت في سورة يونس عليه السلام ووضحت حشر الخلائق جميعاً يوم القيامة قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾[يونس:28]، أي أن الله ﷻ يجمع الخلائق من مؤمن وكافر للحساب على أعمالهم، ثم يوجه الخطاب للذين اتخذوا أصنامهم وأوثانهم آلهة من دون الله فيقول لهم أُثبتوا مكانكم أنتم وآلهتكم، وفي ذلك الوقت تتبرأ الآلهة من أتباعُها ويقولون لهم كنتم تعبدوننا من حيث لا نعلم ولا نشعر بكم فنحن ما كنا نسمع ولا نبصر، قال ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[البقرة:166][3].

---

(1) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (ج379/11). حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية (ص221). نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص99).

(2) انظر: عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص655).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج77/15-78). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج231/4).

وأيضاً قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[يونس:45]، فعند تعنت المشركين وإصرارهم على تكذيبهم للقرآن وللنبي محمد ﷺ، أخبرهم الله ﷻ وذكرهم بأحداث يوم القيامة وخاصة يوم الحشر حيث يجمع ويحشر الله الجميع للحساب والجزاء، وفي هذا الوقت يشعرون بحقارة الدنيا وحقارة أنفسهم وأنهم لا يمكثون في هذه الدنيا إلا هذه المدة القصيرة، فيكون التعارف يوم الحشر على قدر هذه المدة الزمنية القصيرة يوبخ ويحتقر فيها بعضهم البعض على ما كانوا يفترون من عناد وكفر، وبعد ذلك ينقطع التعارف لشدة أهوال هذا الموقف والحساب العسير الذي سينالونه جزاءً لهم على تكذيبهم وكفرهم، وهؤلاء قد خسروا الثواب العظيم(1)، وهؤلاء يحشرون على وجوههم عن أنس بن مالك ﷺ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: "أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ"(2).

أحداث يوم الحشر: في هذا الموقف العظيم تحدث أهوال ومواقف عظيمة يعجز العقل البشري عن تصورها، فالشمس تدنو من رؤوس الخلائق مقدار ميل فتكون قريبة منهم، فعن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا"(3)، ويطول قيام هذا اليوم بما فيه من أحداث وحساب ولكن ليس على الجميع، فتختلف فيه أحوال الخلق فهناك أناس يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ

---

(1) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج187/11). ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج123/3).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاقِ/باب كَيْفَ الحَشْرُ، 109/8: حديث رقم 6523].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ/ باب فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَعَانَنَا اللهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، 2196/4: حديث رقم 2864].

مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "(1).

وأما صفات الناس في المحشر: فيكون حال الناس يوم الحشر حفاة عراة غرلا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول :" يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: "يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ"(2)، ويحشرون على أصناف كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا مُشَاةً، وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ"(3).

وأما عن صفة الأرض التي يقف عليها العباد يوم المحشر فاختلف العلماء فيها لكن رجح القرطبي أنها أرض جديدة ليست مشابهة للأرض الحالية فتزول الأرض الحالية وتحل محلها أرض بيضاء غفراء نقية ليس فيها أي معلم لأحد سواء كان معلم طبيعي أو بناء وما شابه ذلك الحالية(4)، وقد وردت أحاديث صحيحة تبين ذلك فعن سهل بن سعد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ(5)، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ(6) لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ"(7).

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأَذَانِ/باب مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ، 133/1: حديث رقم 660].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا/باب فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، 2194/4: حديث رقم 2859].

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ/وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، 305/5: حديث رقم 3142]. قال الألباني: "ضعيف". صحيح وضعيف سنن الترمذي (ج7/ 142).

(4) انظر: مصطفى الخن وآخرون، العقيدة الإسلامية، أركانها حقيقتها مفسداتها (ص427).

(5) عفراء: أي بيضاء ليس بالبياض الناصع، ويقال إنما سميت بعَفَر الأرض والأعفر الثريد المبيض مأخوذ من العُفرة وهي لون الأرض، والعفراء البيضاء. انظر: مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج84/13). وقال ابن جحر:" العفرة: بياض يضرب إلى الحمرة، وقيل المراد خالصة البياض، وقيل شديدة البياض والأول هو المعتمد" ابن جحر، فتح الباري (ج375/11).

(6) قرصة النقي: أي الدقيق النقي من الغش والنخال. أي كرغيف الخبز النقي الخالي من الشوائب. انظر: ابن جحر، فتح الباري(ج375/11). والنقي: الخالص والحواري الدقيق. انظر: إبراهيم مصطفي وأخرون، المعجم الوسيط (ج950/2).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاقِ/ باب يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، 109/8: حديث رقم 6521].

وبعد ما يحدث في الوقف من أحداث وأهوال يتسارع الخلائق للأنبياء عليهم السلام لفصل القضاء وللشفاعة وإنهاء الموقف فيرفض جميع الأنبياء، فيأتون للنبي محمد ﷺ فيشفع للخلائق وذلك هو المقام المحمود الذي سأتحدث عنه في أنواع الشفاعة وينتهي الموقف ويحكم بين الناس بالقسط كما في قوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:47].

ثالثاً: الحشر عند المعتزلة.

بما أن المعتزلة أثبتوا البعث فبناءً على ذلك فقد أثبتوا الحشر، وقد ذكر الزمخشري في تفسيره مواطن كثيرة أثبت من خلالها أن المعتزلة تُثبت الحشر فيوم ينادي إسرافيل وهو قائم على صخرة بيت المقدس، وينادي أيها العظام البالية والأجسام المتمزقة والشعور المبعثرة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[1] فيخرج الناس جميعاً من قبورهم إلى أرض المحشر، ويقبلون عليه من كل مكان ولا يتأخر أحد ولا يعوج، "ويحشر الجميع على ثلاثة أثلاث: ثلث على الدواب، وثلث على وجوههم، وثلث على أقدامهم ينسلون نسلاً "[2].

من خلال ما سبق يتضح أن المعتزلة قد وافقت السلف في إثباتها للحشر، فالإعتقاد به والإيمان به هو من صميم العقيدة الإسلامية ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك، لكن ما ذهب إليه الزمخشري من أن الملك يقف على صخرة بيت المقدس لا دليل عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية، وإنما هو من قبيل أقواله واعتقاداته الباطلة وأهوائه العقلية.

(1) الزمخشري، الكشاف (ج393/4) بتصرف.

(2) المرجع السابق (ج279/3).

المبحث الرابع

الشفاعة بين السلف والمعتزلة في سورة يونس ﷺ.

الشفاعة التي ادخرها الله ﷻ لعباده حق، وهي من العقائد الثابتة والمُسلم بها عند السلف الصالح، وهي من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، ونبينا محمد ﷺ هو من له الحظ الأوفر والمقام الأول من الشفاعة، لكن هناك من الفرق العقلية كالمعتزلة من أنكرتها وخالفت منهج السلف الصالح فيها(1).

المطلب الأول: تعريف الشفاعة لغةً واصطلاحاً عند السلف والمعتزلة:

أولاً: تعريف الشفاعة لغةً.

الشفاعة لغةً مشتقة من الشفع الذي هو غير الوتر، والشفع هو الزوج بعد أن أضيف إليه مثله وصار قريناً به، ويقال أنها بمعنى الزيادة والضم، أي: أن الشافع الطالب لغيره ضم سؤاله إلي سؤال المشفوع له، ويقال تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه، وقيل أنها بمعنى الدعاء والطلب، استشفعت بفلان أي طلبت الشفاعة منه(2).

ثانياً: تعريف الشفاعة اصطلاحاً عند السلف:

الشفاعة هي سؤال الله ﷻ التجاوز عن الذنوب والمعاصي والآثام، وسؤال الخير للعباد من الله ﷻ(3)، أو هي " التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة"(4)، والشفاعة المقصودة هنا هي التي تكون يوم القيامة من النبي محمد ﷺ لعباده من أمته ﷺ حيث يسألَ الله ﷻ الخير لهم ودفع الضر عنهم.

---

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص171). عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص271)

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج8/ 183- 184). مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ص،283). الفيومي، المصباح المنير (ج1/ 317).

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج2/ 485). السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج2/ 204).

(4) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج1/ 169).

يتضح مما سبق أن التعريفات السابقة متقاربة في المعنى؛ لأن من سأل غيره أن يتجاوز عنه الذنوب والمعاصي، فإنه فقد طلب منه دفع مضرة أو جلب منفعة.

ثالثاً: تعريف الشفاعة عند المعتزلة.

الشفاعة عند المعتزلة مشتقة من الشفع الذي هو نقيض الوتر، وفي الاصطلاح هي" مسألة الغير أن ينفع غيره أو أن يدفع عنه مضرة، ولا بد من شافع ومشفوع له ومشفوع فيه"[1]، وسيأتي التفصيل في عقيدة المعتزلة في الشفاعة فيما بعد.

المطلب الثاني: شروط الشفاعة وأقسامها.

أولاً: شروط الشفاعة.

إن الشفاعة التي أخبرنا الله ﷻ عنها في كتابه العزيز وفي سنة نبيه محمد ﷺ لا تتحقق ولا تقبل عند الله ﷻ إلا إذا استوفت شروطها، وسورة يونس عليه السلام قد أشارت إلي بعضها.

الشرط الأول: رضا الله عن الشافع [2] .

الشرط الأول لكي تتحقق الشفاعة هو رضا الله عن الشافع، ودل على ذلك قوله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[طه:109] ، وقوله ﷻ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى﴾[النجم:26]، إذن لا بد من رضا الله عن الشافع سواء كان نبي مرسل أو ملك مقرب.

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له[3].

بعد ذلك لا بد من رضا الله عن الشخص المشفوع له ولمن صَدق في توحيده وعبادته لله ﷻ خالصاً من قلبه، ولمن ارتضيه الله ﷻ فهؤلاء هم الذين يحصل لهم نفع الشفاعة[4]، ودل

---

(1) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص688).

(2) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية (ص486).

(3) انظر: محمد السعوي، رسالة في أسس العقيدة (ص75). ابن عثيمين، تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص130).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج14/ 392).

على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُون﴾[الأنبياء:28]، وأيضاً حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ""[1].

الشرط الثالث: إذن الله بالشفاعة[2].

الشرط الأخير لكي تتم وتقبل الشفاعة هو إذن الله بالشفاعة، ومن شفع بغير إذن الله فلا شفاعة له ولن تقبل شفاعته فهي ما اختص به الله ﷻ، ودعوة النبي محمد ﷺ وشفاعته التي اختبأت ليوم القيامة لا تكون إلا بعد إذن الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:44]، ودل على ذلك قوله ﷻ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:255]، وكما ورد في سورة يونس ﵇ في قوله ﷻ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُون﴾[يونس:3].

وزاد بعضهم شرطان وهما: إسلام المشفوع له، وقدرة الشافع على الشفاعة[3]، كما في قوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون﴾[يونس:18]، ولعل هذين الشرطين يكونان ضمن الشروط السابقة لأن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد ومن كان الله راضياً عنه وبإذن الله ﷻ.

من خلال ما سبق يتضح أن للشفاعة شروط ولا بد من تحقيقها وتوافرها، فالشفاعة لا تكون إلا برضا الله عن الشافع، وبرضا الله عن المشفوع له، وإذن الله بالشفاعة وهذه شروط الشفاعة الشرعية المثبتة، وإذا اختل أحد شروطها فهي شفاعة شركية منفية وهذا النوع الذي دلت عليه سورة يونس ﵇ .

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم/باب الحرص علي الحديث، 1/ 31: حديث رقم 99].

(2) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية (ص486). نخبة من العلماء، أصول الإيمان في الكتاب والسنة (ص234).

(3) انظر: عبد الله الغصن، دعاوي المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية عرض ونقد (ص471).

ثانياً: أقسام وأنواع الشفاعة.

قال ابن أبي العز الحنفي: "الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمم، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع"(1)، وعليه فالشفاعة تنقسم إلى قسمين شفاعة مثبتة وهي التي استوفت الشروط التي تم الحديث عنها سابقاً، وشفاعة منفية وهي التي اختل أحد شروطها، وتكون لغير الله ﷻ وهي التي كان يعتقد بها المشركون في آلهتهم.

1- الشفاعة الشرعية المثبتة: وتنقسم إلى عدة أنواع(2):

أ- الشفاعة الخاصة بالنبي محمد ﷺ:

النوع الأول: الشفاعة العظمى: وهذا النوع لا ينكره أحد من أهل الإسلام، وهي خاصة بالنبي محمد ﵇، حين يأتي الله ﷻ لفصل القضاء بين العباد، ويكون الأمر قد اشتد عليهم وضاق عليهم الحال واشتد القلق، فيطلبون الشفاعة من أولى العزم من الرسل وجميعهم يقول نفسي نفسي، فينتهون إلى محمد فيقول أنا لها، فهي المقام المحمود المذكور في قوله ﷻ : ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾[الإسراء:79]، فهذه الشفاعة خاصة بالنبي وعامة لكل الخلق على اختلاف دينهم.

النوع الثاني: الشفاعة في أقوام من أمته يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، ويستدل على هذا النوع بحديث عكاشة بن محصن(3)، حينما دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب(4).

---

(1) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص171).

(2) تم شرح وتفصيل هذه الأنواع في كتب العقيدة، انظر: عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص271- 273). حافظ الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية (75 - 76). نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص236). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص171- 173). عمر الأشقر، القيامة الكبرى (ص189- 190).

(3) عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن خزيمة الأسدي، حليف بني عبد شمس من السابقين الأولين في الإسلام شهد بدراً وكل المشاهد مع النبي، وهو من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، استشهد في قتل حرب الردة بأرض نجد، وقتله طليحة بن خويلد الأسدي. انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة (ج4/ 439- 440)، الزركلي، الأعلام (ج4/ 244).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب/ باب من اكتوي أو كوي غيره، 7/ 126: حديث رقم 5705].

النوع الثالث: الشفاعة لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، رغم كفره فإنه قد نصر وأيد النبي محمد ﷺ في دعوته، والنبي عمل ما في وسعه واجتهد في هدايته، لكنه أصر على كفره وهذه الشفاعة وتخفيف العذاب فقط لعمه؛ لأن الكفار لا تنفعهم الشفاعة في هذا اليوم

ب- الشفاعة العامة: وهي التي تكون للنبي محمد ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين ومنها:

النوع الأول: الشفاعة لمن دخل الجنة بأن يرفع مرتبته ودرجته في الجنة، وزيادة ثوابه فوق ما كان يقتضيه ثواب عمله في الدنيا، وهذا النوع الذي وافقت عليه المعتزلة دون غيرهم.

النوع الثاني: الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة التوحيد أن لا يدخلوها، كما ورد عن النبي ﷺأنه قال:" إن الله يُخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة" وفي رواية: "إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ"[1].

النوع الثالث: الشفاعة لأصحاب الكبائر أن يخرجوا من النار، لكونهم من أمة التوحيد فيشفع الله لهم ويتغمدهم برحمته ويدخلهم الجنة مصداقاً لقوله ﷺ: "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"[2]، وهذا النوع هو أساس الخلاف مع المعتزلة، لاعتقادهم أن صاحب الكبيرة خالد مخلد في النار.

النوع الرابع: الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، وهم أهل الأعراف فيدخلون الجنة بشفاعة النبي محمد ﷺ.

النوع الخامس: الشفاعة لأهل الجنة بدخول الجنة، بعد تجاوزهم الصراط وتنقية قلوبهم من الغل والحسد، فيؤذن لهم بدخول الجنة والنبي محمد ﷺ هو من يستفتح باب الجنة، وأول من يدخلها من الأمم أمته ﷺ، عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ "[3].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب أدني أهل الجنة منزلة فيها، 178/1: حديث رقم191].

(2) [أبو داود: سنن أبي داود، السنة/ في الشفاعة، 4/ 236: حديث رقم 4749]، قال الألباني: "حديث صحيح". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (ج1/ 376).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الناس تبعاً، 1/ 188: حديث رقم 197].

2- الشفاعة الشركية المنفية:

الشفاعة الشركية المنفية هي التي نفاها الله ﷻ وتتضمن نفي ما كان يفعله المشركون فيعتقدون في أصنامهم وآلهتهم أنها شفعاء لهم عند الله والله ﷻ يقبل دعاؤها وشفاعتها لهم بمشيئته وقدرته[1]، وتارة يطلق نفيها وتارة يقيدها بأنها لا تنفع ولا تضر، وسورة يونس ﷺ تناولت هذا النوع من الشفاعة كما في قوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:18].

فهذا النوع الذي أثبته المشركون وأمثالهم فكانوا يعبدون مع الله غيره ويعتقدون بأن هذه الأصنام والأوثان تقربهم إلى الله، متوهمين أنها تنفعهم وتشفع لهم يوم القيامة ويظنون أن الله يقبل شفاعتها، كما في قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:3]، فهذا من غاية جهلهم وكفرهم، فكيف يكون مع الله شفيعاً في يوم يكون الأمر كله لله ﷻ ولا أحد يملك الشفاعة غيره، فالله ﷻ ينزه نفسه على أن يكون له شريكاً في الشفاعة من غير إذنه[2].

والذي أوقع المشركين في طلب الشفاعة من غير الله ﷻ هو قياسهم الخالق على المخلوق، حيث قاسوه على ما يفعله المخلوقون في هذه الحياة الدنيا من التقرب من الملوك وأصحاب السلطان لقضاء حوائجهم وطلب الشفاعة منهم، وحاشاه التشبيه بين الخالق وخلقه وعلى هذا الأساس اتخذوا أصنامهم وأوثانهم شفعاء لهم من دون الله لجهلهم بالفارق بين الخالق والمخلوق[3].

---

(1) انظر: ابن تيمية، الرد على المنطقيين (ص526- 527).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ 224). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (8/ 322). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/ 46).

(3) انظر: ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ج1/ 221- 222).

الخُلاصة:

فكما سبق الحديث في شروط الشفاعة لا بد من رضا الله عن المشفوع، والمشفوع له، وإذن الله بالشفاعة، فهل هذه الشروط مستوفاة في هذه الشفاعة كي تقبل، فالمشركون الذين اتخذوا أصنامهم شفعاء لهم فالله ﷻ لن يشفع لكم مهما كان الأمر كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:3].

المطلب الثالث: عقيدة المعتزلة في الشفاعة والرد عليها.

المعتزلة ترى أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة ولا خلاف في ذلك، وإنما الخلاف عندهم أنها تثبت لمن؟ فعند المعتزلة أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين ولرفع درجاتهم وزيادة الثواب لديهم، لذلك أدرجوها ضمن الأصل الرابع لديهم وهو الوعد والوعيد، فعندهم أن المؤمن إذا خرج من الدنيا عن توبة استحق الثواب، وإذا خرج على كبيرة ولم يتب فهو خالد مخلد في النار(1)، فأصحاب الكبائر ليس لهم شفاعة يوم القيامة واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:48]، أي أن الله ﷻ نفي أن يكون للظالمين شفاعة البتة، ويقول القاضي عبد الجبار في بيان أن العصاة مخلدين في النار مستدلاً بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف:74]، " إن المجرم اسم يتناول الكافر والفاسق جميعاً فيجب أن يكون مرادين بالآية معنيين بالنار؛ لأنه ﷻ لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه فلما لم ينبه دل على أنه أرادهما جميعاً، وذلك ظاهر في اللغة والشرع، أما من جهة اللغة فلأنهم لا يفرقون بين قولهم مذنب وبين قولهم مجرم، فكما أن المذنب شامل لهما جميعاً فكذلك المجرم، أما من جهة الشرع فلأن أهل الشرع لا يفرقون بين قولهم مجرم لزناه وبين قولهم فاسق لزناه"(2)

---

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص، 687- 690). الزمخشري، الكشاف (ج137/1). الشهرستاني، الملل والنحل (ج1/ 45). الجرجاني، شرح المواقف (8/ 341).

(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص660-661).

ويدعون أن الأحاديث التي وردت فيها الشفاعة لأهل الكبائر كقوله ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"(1)، هي أحاديث أحاد لا يصح الاستدلال بها في مسائل الاعتقاد (2)، فأحاديث الآحاد أو خبر الآحاد لا تفيد العلم اليقيني ومبنية على الظن، لذلك لا يمكن الاستدلال بها(3)، فقال أبو الحسن الخياط:" خبر الواحد العدل إنه لا يوجب علماً"(4)،والذي ألجأ المعتزلة إلى نفيها أنهم يرون أن العفو لا يجوز، وحتمٌ على الله ﷻ أن يعاقب كل مصر للأبد (5).

الرد على المعتزلة في نفيهم الشفاعة لأهل الكبائر.

1- قد أجمع السلف على أن شفاعة النبي ﷺ المثبتة ثابتة لجميع المؤمنين بما فيهم أصحاب الكبائر، وصاحب الكبيرة عند السلف لا يخلد في نار جهنم فهو في مشيئة الله إن شاء غفر له وأدخله الجنة بعفوه، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار، لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[النساء:116]، فلا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد، وأما إن مات وهو مشرك بالله فهو خالد في نار جهنم ولن يغفر له وهؤلاء هم الكفارُ والمشركون(6).

2- أحاديث الشفاعة وإخراج أهل الكبائر من النار، أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ قد بلغت درجة التواتر، فلا يستطيع أحد إنكارها، وقد خُفي ذلك عن المعتزلة وغيرهم وردوها جهلاً منهم وعناداً وإصراراً على أن صاحب الكبيرة مخلد في النار (7).

3- المقصود بالنفس الواردة في قوله ﷻ: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[البقرة:48]، بأنها النفس الكافرة ولمن مات على كفره

---

(1) سبق تخريجه.

(2) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص689- 690).

(3) انظر: محمد العبده وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث (ص82).

(4) أبو الحسن الخياط، الانتصار (ص68).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص667).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج175/6)، (ج484/7). السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج368/1).

(7) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص174). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج486/7). وقد أكثر ابن تيمية من الأقوال التي تدل على إجماع السلف أن الشفاعة تقع لأصحاب الكبائر.

وشركه بالله ﷻ من غير توبة، فلا تشمل كل نفس، فالشفاعة المنفية هي التي تكون للكافرين والمشركين وليس للموحدين من أمة محمد ﷺ[1].

4- إن أحاديث الآحاد التي لا يصح الاستدلال بها عند المعتزلة بحجة أنها لا تفيد العلم، فهذا باطل؛ لأنها أحاديث تفيد اليقين والعلم وتقطع بصحتها إذا احتفت بالقرائن وعلى فرض أنها تفيد الظن فيجب الاستدلال بها في مسائل العقيدة وفي سائر الأحكام الفقهية[2]، قال ابن تيمية: "أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم"[3].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج173/1). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج379/1).

(2) انظر: ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص576). وقد ذكر ابن قيم الجوزية العديد من الأدلة التي تثبت أن حديث الأحاد يفيد العلم، انظر: ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص576-585). ابن حزم الأندلسي، الأحكام في أصول الأحكام (ج123/1). اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء (ج364/4).

(3) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (ج81/5).

المبحث الخامس

الجنة والنار بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

المطلب الأول: تعريف الجنة ونعيم أهلها كما ورد في سورة يونس عليه السلام.

أولاً: تعريف الجنة لغةً واصطلاحاً.

الجنة في اللغة: مشتقة من الاجتنان، أي: الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه، والجَنَّةُ هي البستان وسمي البستان بالجنة، لأنه يستر داخله الأشجار ويغطيه، والجُنة ما يستتر به من سلاح، والمقصود بها هنا الحديقة المليئة بالشجر والنخيل والعنب وهي دار النعيم والثواب في الآخرة[1].

أما اصطلاحاً: هي دار النعيم والكرامة والخلد التي أعدها الله ﷻ لعباده المتقين في الحياة الآخرة جزاءً ومكافأةً على إيمانهم الصادق وعملهم الصالح وجميل أفعالهم في الحياة الدنيا، ولا يدخلها إلا من قام بفضائل الأعمال الحسنة واتصف بالصفات الجميلة، وموضعها عند سدرة المنتهى، وأطلق عليها القرآن الكريم جنة المأوى، ودار الخلود[2].

ومن أسماء الجنة الواردة في سورة يونس عليه السلام دار السلام كما في قوله ﷻ: ﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس:25]، فسميت بدار السلام؛ لأن فيها السلامة من كل الهموم والأحزان والمكاره والآفات والمصائب والعيوب والنقائص، وتكون تحية وكلام المتقين فيها السلام الخالي من الكلام اللغو السيئ والقبيح لقوله ﷻ: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾[يونس:10] فهي دار الآخرة والنعيم الذي لا ينفذ وليس فيها أي كدر ومنغصات وكل ما فيها السلام

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج13/ 100). الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج2094/5). ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص94).

(2) انظر: سيد سابق، العقائد الإسلامية (ص301). نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص238). عمر الأشقر، الجنة والنار (ص117). عبد العزيز الطويان، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (ج498/2). مصطفى الخن ومحي الدين مستو، العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفسداتها (ص444).

والأمان[1]، وكذلك من أسماء الجنة قدم صدق كما في قوله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[يونس:2]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَر فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِر﴾[القمر:54-55]، فالمقصود بمقعد صدق وقدم صدق، المنزلة العالية الرفيعة التي كانت للمتقين من عباده وسميت الجنة بمقعد صدق لحصول المتقين على كل ما يريدونه ويطلبونه في هذا المقعد الحسن وهذا المقعد للصادقين المخلصين[2].

ثانياً: نعيم أهل الجنة كما صورته سورة يونس عليه السلام.

الجنة هي التي فيها النعيم الكامل لا يعتريه نقص ففيها كل مما تشتهي الأنفس وتلذ به الأعين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " قَالَ اللهُ ﷻ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"[3]، فكل ما في هذه الدنيا من نعيم وخيرات فهو تافه وحقير لا يقارن بنعيم جنات رب العالمين رغم تشابه الأسماء والألفاظ، قال ﷻ:﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون﴾[يونس:24]، مهما بلغت الدنيا بما فيها من متاع وزينة وشهوات فهي تافهة وحقيرة ولا تساوي عند الله جناح بعوضة وهي إلى زوال، والدار الآخرة هي الدار الباقية بنعيمها ومتاعها التي لا يوصف ولا يمكن للعقل أن يتصوره، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ،

---

(1) انظر: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (ج575/3). ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص، 96)، محمد رشيد رضا، تفسير المنار (ج286/11). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج59/15).

(2) انظر: ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص101). ابن السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج117/4).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب القيامة والجنة والنار/ باب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، 2174/4: حديث رقم 2824].

وَمَجَامِرُهُمْ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ"(1).

بعض أنواع النعيم الدائم لأهل الجنة كما في سورة يونس عليه السلام:

1- جنات تجري من تحتهم الأنهار، كما في قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾[يونس:9].

يبين الله ﷻ في هذه الآية ما أعده لعباده المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيرشدهم ويدلهم بسبب إيمانهم به وعملهم الصالح إلى الطريق المستقيم الذي نهايته جنات تجري من تحتها الأنهار وتجري من تحت غرفهم وقصورهم وأسرتهم حيث السعادة والراحة الأبدية والمناظر الجميلة(2)، وهذه الأنهار غير مقتصرة على أنهار الماء فقط بل فيها أنهار من لبن وعسل مصفى وخمر كما في قوله ﷻ: ﴿**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى**﴾[محمد:15]، وهناك آيات أخرى تتحدث عن وصف الجنة وأنهارها ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية ليس مجال لذكرها هنا، وأنهار الجنة تُفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ - أَوْ مِنْ تحتِ جِبَالِ مِسْكٍ"(3).

2- رؤية الله ﷻ والنظر إلى وجهه الكريم كما في قوله ﷻ: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون**﴾[يونس:26]، فالمقصود بالزيادة هنا الرؤية والنظر إلى وجهه ﷻ، وقد سبق الحديث في هذه المسألة في مطلب مستقل لا غنى عن إعادته(4).

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب خلق أدم عليه السلام وذريته 132/4: حديث رقم 3327].

(2) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج115/11).

(3) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، وَصْفِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا/ذِكْرُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، 16/ 423: حديث رقم 7408]. قال شعيب الأرنؤوط معلقا على الحديث: "إسناده حسن". وقال الألباني: "حسن صحيح". التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (ج10/ 399).

(4) انظر: صفحة (187-194) من هذا البحث.

فأهل الجنة لهم مكانة عالية ومنزلة رفيعة ويبشرهم الله مكافأة لهم على إيمانهم بالله ﷻ: كما في قوله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُون لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم ﴾[يونس:63-64] ، فالبشارة التي في الدنيا المودة والمحبة التي تكون فيما بينهم، وتيسير أمورهم وقضاء حوائجهم، وإبعاد عنهم كل شر وكل سوء، وأما البشارة التي في الآخرة فأولها ما يكون في القبر حيث النعيم الدائم، والبشارة الأخرى ما تكون بعد البعث من القبور ووقوفهم بأرض المحشر وانتهاء الحساب فتكون البشارة لهم بدخول جنات النعيم والفوز بأعلى الدرجات كما في قوله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[يونس:2][1]، وأخر دعواهم في جنات النعيم الحمد لله رب العالمين، قال ﷻ : ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾[يونس:10]، فهنا تظهر الراحة والتحرر من هموم الدنيا وشهواتها وحاجاتها، والتمتع بما هو باقٍ وجميل والرفرفة في جنان النعيم بالحمد والتسبيح والسلام فيما بينهم وهذا جزاء من كان عابداً لربه حامداً شاكراً وصابراً على ما في الحياة الدنيا من كدر وضيق[2].

قال الطبري في تفسير الآية: "أنه إذا مر بهم الطير ليشتهوه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردّون عليه، وذلك قوله ﷻ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾، وإذا أكلوا حمدوا الله ربهم، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾"[3].

وختاماً نسأل الله ﷻ أن يكرمنا جميعاً بجنات النعيم.

(1) انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص347).
(2) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1768/3).
(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج30/15).

المطلب الثاني: تعريف النار وجحيم أهلها كما ورد في سورة يونس ﷺ.

أولاً: تعريف النار لغةً واصطلاحاً.

النار في اللغة: تطلق النار في اللغة هي عنصر طبيعي يطلق على اللهيب المحترق وعلى الحرارة المحرقة المجردة(1)، ويقال أنها:" جوهر لطيف محترق"(2).

وأما اصطلاحاً: فهي دار العقاب والعذاب العظيم التي أعدها الله ﷻ للكافرين في الحياة الآخرة، جزاءً على كفرهم وعصيانهم وارتكابهم للذنوب والمعاصي(3)، فهي الدار الموحشة ودار البوار والخسران المبين الذي ليس بعده خسران، وفيها من الأحزان والآلام ما يعجز العقل على تصوره لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر:15].

فهي مأوى الكافرين والسجن الأبدي لكل من عصى الله ﷻ ورسوله ﷺ، لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون﴾ [يونس:7-8]، ولشدة قسوة النار وهولة عذابها كان النبي ﷺ كثيراً ما يستعيذ بها ويحذر منها، عن أبي هريرة ؓ قال:" لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: "يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا"(4).

---

(1) انظر: إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط (ج962/2).

(2) الجرجاني: التعريفات (ص239).

(3) انظر: عمر الأشقر، الجنة والنار (ص11).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب قوله ﷻ : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214]، 192/1: رقم الحديث 204].

ومن أسماء النار الواردة في سورة يونس عليه السلام: النار كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون﴾[يونس:8]، ومن أسمائها الجحيم، والهاوية، وجهنم وغيرها.

وصفات أهل النار الواردة في سورة يونس عليه السلام عبادة غير الله تعالى من الأصنام والأوثان واعتقادهم بأنهم يشفعون لهم، وكذلك إنكارهم نبوة محمد ﷺ، وادعاؤهم بأن معجزة القرآن بسحر وأنها من نفس وتلقاء محمد ﷺ، وافتراؤهم على الله تعالى ونسبة الولد إليه، وقد سبق ذكر كل هذه الصفات في مواضعها من هذا البحث بذكر الآيات وتفسيرها.

ثانياً: عذاب أهل النار كما في سورة يونس عليه السلام.

سورة يونس عليه السلام عرضت لنا بعض من أنواع عذاب الله تعالى للكافرين والمشركين الذين أنكروا نبوته ورسالته، فيوم القيامة يجازيهم الله على صنيع أعمالهم وعنادهم وكفرهم في نار جهنم حيث العذاب الدائم لهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون﴾[يونس:7-8]، وقد ذكر القرآن الكريم بعض من أنواع العذاب الذي يقع على جلودهم كما في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيم يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُود وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيد كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيق﴾[الحج:19-22]، وطعامهم هو الزقوم ، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم طَعَامُ الْأَثِيم كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُون كَغَلْيِ الْحَمِيم﴾[الدخان:43-46]، وشرابهم الحميم، ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُون﴾[يونس:4].

ونار جهنم التي أعدت للدار الآخرة لا تماثل نار الحياة الدنيا، فنار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: فُضِّلَتْ عَلَيْهِا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا "(1)، وحال الكفار في النار يكون في ظلام دامس، ووجوههم قد اكتست بالسواد والظلمة من شدة سخط الله عليهم وعذابه الدائم لهم دون انقطاع؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق/ باب صفة النار وأنها مخلوقة، 121/4: حديث رقم 3265].

وعدم الإيمان بالله ﷻ فهم في نار جهنم خالدون مخلدون فيها فهي دار الخلود والحياة الأبدية لمن كفر بالله ورسوله ﷺ واتخذ أولياءه آلهة من دون الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[يونس:27]، وكما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُون﴾[يونس:52]، وأما العصاة وأصحاب الكبائر من الموحدين فيدخلون النار حتى يتطهروا من ذنوبهم، ثم يدخلوهم الله الجنة بشفاعة النبي محمد ﷺ كما سبق الحديث عنها في مبحث الشفاعة.

وكما أن أهل الجنة عند دخولهم الجنة يظهرون الفرح والسرور بأن من الله ﷻ عليهم بهذه النعمة فيشكرون الله ويحمدونه ويتبادرون بالتحية والسلام فيما بينهم وهؤلاء هم السعداء، فإن أهل النار على عكس الصورة تماماً فيظهرون الندم والحسرة والشقاء على ما هم فيه من عذاب أليم ودائم، قال ﷻ : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون﴾[يونس:54].

فعند رؤيتهم العذاب يُظهرون ويجهرون بالندم والحسرة على تقصيرهم في طاعة الله ﷻ وعبادته كما في قوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين﴾[الزمر:56]، فبماذا سينفعهم الندم بعد فوات الأوان ووقوع العذاب عليهم بلا محالة، والله ﷻ لا يظلم أحداً فيقيم الحكم بالعدل والقسط بين الظالم والمظلوم، ويقتص من الظالم على ما كان يقترفه من ظلم في الحياة الدنيا فيخفف العذاب عن بعضهم، ويثقل العذاب على بعضهم الأخر وهؤلاء هم الأشقياء[1]، ومما يدل على تفاوت العذاب لأهل النار، عن سمرة أنه سمع النبي ﷺ يقول:" إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(1) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (ج196/11).

تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ"[1]، فأهل النار من الكفار متفاوتين في العذاب كل حسب ذنبه ومعصيته، وأما مسألة تخفيف العذاب عنهم بسبب أعمالهم الحسنة في الدنيا، فالسلف انقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أنه يخفف عنهم العذاب بسبب أعمالهم الحسنة التي كانوا يفعلونها، مثل التخفيف الذي حصل لعم النبي أبي طالب، واختار هذا الرأى الطبري.

الفريق الثاني: يرى أن الكافر لا ينتفع في الآخرة من شيء من أعماله؛ لأنها هباء منثوراً فلا تقدم له أي منفعة لقوله ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾[الفرقان:23][2].

المطلب الثالث: الجنة والنار عند المعتزلة والقول بعدم وجودهما الآن.

استدل المعتزلة على القول بالجنة والنار بنصوص الوعد والوعيد، وهو أن الله ﷻ وعد المطيعين له بالثواب والتفضل، وتوعد العصاة والمذنبين بالعقاب والعذاب، ولا بد أن يفعل ما وعد وتوعد به؛ لأنه لا يجوز عليه الكذب ولا يخلف وعده ووعيده[3]، واستحقاق العبد للثواب هو فعله للواجب وتركه للقبيح، واستحقاقه للعقاب كونه فعل المعاصي[4]، فالمعتزلة ذهبت إلى أن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في نار جهنم إذا مات قبل التوبة فيجازيهم الله على أعمالهم ومعاصيهم بالخلود في نار جهنم، فالخلود للجميع عند المعتزلة.

فالله ﷻ منجز ما وعد وتوعد به فإن وعد خيراً فلا بد من أن يكافئ به صاحبه، وإن توعد شراً فلا بد من أن يحصل لصاحبه، فالله ﷻ وعد المؤمنين المطيعين بالجنة ونعيمها فهي لهم، وتوعد الكافرين والعاصين بالنار لأنهم مستحقون بها فلابد أن ينفذ وعيده لا محالة؛ لأن إخلاف الوعد والوعيد قبيح والله منزه عن القبيح ولا يفعله[5].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم،كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، 2185/4: حديث رقم 2845].

(2) انظر: ابن رجب، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص182-183).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص135-136).

(4) انظر: المرجع السابق (ص614).

(5) انظر: محمد العبده وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث (ص 75).

أولاً: عدم وجود الجنة والنار الآن عند المعتزلة.

كما تحدثت سابقاً في منهج المعتزلة في إثباتهم لمسائل العقيدة رأينا تقديمهم العقل على النقل دائماً والمصدر الأساسي هو العقل بلا خلاف، وأيضاً من منهجهم قياس الخالق على المخلوق، فعندهم أن الجنة والنار هما دار النعيم والعذاب لكن الخلاف في وجودهما الآن أم سيخلقها الله ﷻ فيما بعد؟؟

من خلال البحث في كتب المعتزلة لم تجد الباحثة أنهم فصلوا في هذه المسألة، ولكنني وجدت في كتب خصومهم أنهم قد نسبوا إلى بعض المعتزلة قولهم بأن الجنة والنار موجودتان، فذهب أبو علي الجبائي وبشر بن المعتمر، وغيرهم من أئمة المعتزلة إلى القول بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولكن الذي عليه جمهور المعتزلة كأبي هاشم والقاضي عبد الجبار بأن الجنة والنار معدومتان غير موجودتين الآن وسيخلقهما وينشئهما الله ﷻ في وقتهما يوم القيامة[1]، وحَملوا المعنى في قوله ﷻ: ﴿أُعِدَّتْ﴾ على أنه من باب التعبير عن المستقبل بالماضي، لتحقيق وقوعه[2]؛ لأنه لو خلقتا الآن فما الفائدة من خلقهما ووجودهما وستكونان معطلتين لذلك سيكون خلقهما يوم الجزاء والعقاب، فأنكروا وأولوا جميع النصوص الواردة في إثبات وجود الجنة والنار الآن.

لكن الذي عليه السلف الصالح وأهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن وهو ما أكدت عليه النصوص من الكتاب والسنة سأذكرها فيما بعد.

وقد عنون الإمام ابن أبي العز الحنفي في كتابه القول: "بأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان"[3].

ثانياً: الرد على المعتزلة بقولهم عدم وجود الجنة والنار الآن.

إن وجود الجنة والنار مما هو معلوم من الدين بالضرورة، لذلك وردت العديد من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي تؤكد وتدلل على وجود الجنة والنار الآن منها:

---

(1) انظر: الجرجاني، شرح المواقف (328/8). ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والنحل(ج68/4).

(2) انظر: محمد السنوسي، شرح السنوسية الكبرى (ص273).

(3) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص353).

1- رؤية النبي محمد ﷺ للجنة والنار في السماء ليلة الإسراء والمعراج، وكما هو معلوم فإن الرؤية لا تكون إلا لشيء موجود، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[النجم:15].

2- أيضاً قوله ﷻ في وجود الجنة: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:133]، وقال ﷻ في النار: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:24]، فالتعبير بصيغة الماضي في قوله ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فهذه الآيات تدل على أنه الجنة والنار مخلوقة وموجودة وهي من المخلوقات التي خلقها الله ﷻ في الكون(1).

3- ومن السنة النبوية: عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ"(2)، وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"(3).

4- ادعت المعتزلة أن خلق الجنة والنار الآن لا فائدة منه وتكونان معطلتين فهذا قول باطل وفاسد؛ لأنه عند موت الإنسان فروحُهُ إما أن تعذب وإما أن تنعم لقوله ﷺ: "إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(4)، فهذا دليل على أنهما مشغولتان فدخول الروح وتنعيمها أو عذابها في الجنة أوفي النار يكون قبل يوم القيامة.

(1) انظر: صالح الفوزان، شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب(ص91). صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص295).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة/ باب النهي عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، 320/1: رقم الحديث 426].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب المَيِّتِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، 99/2: رقم الحديث1379].

(4) [النسائي: سنن النسائي، الجنائز/ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، 108/4: رقم الحديث 2073]. قال الألباني: "وهذا اسناد صحيح". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ج2/ 694).

من خلال الأدلة السابقة تبين أن الذي عليه السلف أن الجنة والنار موجودتان مخلوقتان الآن فالله ﷻ خلق الجنة ومكانها عند سدرة المنتهى؛ لإثابة عباده المطيعين بالثواب، وخلق النار ومكانها في الأرض السابعة السفلى، ليعذب عباده الكافرين جزاءً على كفرهم، فخلقهما وخلق لكل منها أهلها[1].

المطلب الرابع: اعتقاد المعتزلة بفناء حركات أهل الجنة والنار.

أولاً: هل الجنة والنار تفنيان أم لا؟؟ بين السلف والمعتزلة.

ذهب إلى القول بفناء الجنة والنار إمام المعطلة الجهم بن صفوان وادعى أن الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلها وكل ما فيها[2]، ولكن أبا الهذيل الغلاف من المعتزلة وافقه على ذلك ولكن ذهب إلى القول بفناء حركات أهل الجنة والنار، فقال: "أن حركات أهل الخلدين أي أهل [الجنة والنار] تنقطع وإنهم يصيرون إلى سكون دائم كالجماد لا يتحركون، وتجتمع الذات في ذلك السكون لأهل الجنة والآلام لأهل النار؛ لأنه قال بحدوث العالم وأن الحوادث التي لا أول لها كالحوادث التي لا أخر لها"[3]، فدوام الفعل على الله عنده محال، أي أن الجنة وما فيها من شتى أنواع النعيم، والنار وما فيها من شتى أنواع العذاب، لا يعقل أن تبقي إلي الأبد من غير زوال أو انقطاع فهي من الحوادث، فالجنة والنار سوف تفنيان وتفنى وتنتهي حركات أهلهما، والذي عليه جمهور المعتزلة أن النار لا تفنى بدليل أن مرتكب الكبيرة خالد مخلد فيها فكيف لها أن تفنى.

والذي عليه مذهب السلف الصالح وأهل السنة والجماعة ببقاء الجنة وعدم فنائها، وإنما الخلاف والنزاع حول أبدية النار أو فنائها، فزعم البعض من السلف والخلف على بقاء الجنة وفناء النار، ومنهم عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبي هريرة ﷺ[4]، ومال إلى هذا القول ابن تيمية وابن قيم الجوزية[5] وهذا قول ضعيف ومخالف للأدلة الواردة في القرآن

(1) انظر: البربهاري، شرح السنة (ص48-49).

(2) انظر: الأشعري، مقالات الإسلامين (ج396/2).

ا(3) القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ص156). انظر: أبو الحسن الخياط، الانتصار والرد على ابن الروندي (ص70).

(4) انظر: محمد الصنعاني، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (ص9) وقد ذكر بطلان الأدلة التي استدل بها القائلين على فناء النار.

(5) انظر: المرجع السابق (ص7).

الكريم والسنة النبوية الدالة على أن الجنة والنار لا تفنيان، وإن مال إليه ابن تيمية[1] وابن قيم الجوزية[2]، فقد ذهب إلى هذا القول البعض من السلف والخلف، فهما مجتهدان فلا يجوز تكفيرهما[3]، لكن الذي عليه سلف الأمة أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان لأنهما خلقتا للأبد، فأهل الجنة لا يخرجون منها، وأهل النار خالدون فيها لا يخرجون منها[4]، فعذاب أهل النار متواصل لا نهاية له، كما أن نعيم أهل الجنة متواصل لا نهاية له[5]، كما أن ابن تيمية في كتابه مجموع الفتاوي يؤكد على عدم فناء الجنة والنار فقال:" وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش"[6].

ثانياً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تؤكد عدم فناء الجنة وأبديتها

1- ورد في سورة يونس عليه السلام العديد من الآيات التي تدل على أن النعيم باق ومتواصل ولا نهاية له ولا يمكن أن يزول وينتهي كما في قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[يونس:26]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم﴾[يونس:9].

(1) اختلف في نسبة هذا القول لابن تيمية: فالبعض نفي ذلك عنه مطلقاً وقد وردت أقوال تبين قوله بعدم فناء الجنة والنار، انظر: مجموع الفتاوى(307/18) وقد دافع عن هذا القول علي الحربي في كتابه كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار وأثبت براءة ابن تيمية من هذا القول، والبعض الأخر من خصومه أثبت قوله بفناء الجنة والنار مثل السبكي في رسالته الاعتبار في بقاء الجنة والنار، ولعل ابن تيمية قال ذلك في أول حياته، والدليل أن كتبه المتأخرة تُبين أنه يقول بعدم فناء النار، البعض الأخر قال أنا ابن تيمية مال إلى القول القائل بفناء النار وهناك فرق بين القول به والميل إليه كما قال عنه الألوسي في كتاب جلاء العينين، والراجح الذي عليه ابن تيمية القول بعدم فناء الجنة والنار والدليل أنه لم ينقل عن أحد من تلاميذه يقول بفناء النار، انظر: ابن تيمية، الرد على من قال بفناء الجنة والنار (ص18-26)، عبد الله الغصن، دعاوي المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية(622-623).

(2) ابن قيم الجوزية مال إلى القول بفناء الجنة والنار كما في كتابه حادي الأرواح، ولكنه في كتابه الوابل الصيب من الكلم الطيب قال بعدم فناء الجنة والنار ودوام النار وهذا ما عليه السلف الصالح، انظر: ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص20).

(3) انظر: الألوسي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص488).

(4) انظر: إسماعيل الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة (ج280/2). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج307/18). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص353).

(5) انظر: ابن رجب الحنبلي، التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار (ص194).

(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج307/18).

2- وقوله ﷻ: ﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[المائدة:119]، والآيات القرآنية يصعب حصرها

3- النبي ﷺ قال:" مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ"(1)، وهذا يدل على أن نعيم الجنة غير قابل للفناء.

ثالثاً: الرد على أبي هذيل الغلاف و من قال بفناء النار بذكر النصوص الدالة على ذلك

1- قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[يونس:52]، وقوله ﷻ :﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[يونس:27]، فهذه الآيات وغيرها تدل على أن النار حق والعذاب على أهلها الكفار أبدي متواصل لا يفنى ولا نهاية له(2) كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا﴾[النساء:169]، فالنار حق والعذاب فيها أبدي لا يفنى أبداً.

2- **ومن السنة النبوية:** عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ "(3)، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ"(4).

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ/ باب فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، 2181/4: حديث رقم 2836].

(2) انظر: القرطبي، مراتب الإجماع (ص173).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاقِ/ باب يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، 113/8: حديث رقم 6545].

(4) [مسلم : صحيح مسلم، كتاب الْإِيمَانَ/ باب إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ، 172/1: حديث رقم185].

3- قول المعتزلة دوام الفعل على الله ﷻ محال وممتنع باطل؛ لأن الله ﷻ فعال لما يريد ويفعل ما يشاء في أي وقت كان سواء في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل، ولا يزال متصفاً بصفات الكمال فهو الأول الذي ليس قبله شيء والأخر الذي ليس بعده شيء[1].

4- طريقة الحوادث التي استدلوا بها على فناء الجنة والنار باطلة وأن النبي ﷺ لم يدعُ بها، بل هي طريقة المتكلمين، ومن اعتمد عليها في تقرير مسائل العقيدة فإنه يلتزم لأجلها لوازم فاسدة في الشرع والعقل كما التزم بها أبو الهذيل العلاف وادعى بفناء الجنة والنار[2].

الذي يظهر مما سبق أن الجنة والنار لا تفنيان وهذا هو مذهب أئمة السلف الصالح بما فيهم ابن تيمية وابن قيم الجوزية، فالله ﷻ خلق الجنة وخلق لها أهلها وخلق النار وخلق لها أهلها من الكفار والعصاة والمخالفين لأوامره ﷻ، فيعذب العصاة على قدر المعصية ثم يخرجون منها بشفاعة النبي ﷺ، أما الكفار فهم خالدون فيها خلوداً أبدياً وعذاباً سرمدياً متواصل لا انقطاع له وهذا يدل على عدم فناء النار وعلى عدم تخليد كل ما فيها من العصاة والكفار، ومن قال خلاف ذلك فهو مبتدع.

---

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص72-74). ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلي بلاد الأفراح (ص350-351).

(2) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (1/39-40).

الفصل الرابع:

القضاء والقدر والهداية والضلال بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

الفصل الرابع

القضاء والقدر والهداية والضلال بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

إن الإيمان بالقضاء والقدر من أعظم أركان الإيمان الذي من خلاله يدرك المرء معرفة حقيقة نظام التوحيد، الذي هو أساس الدين كله، وبمقتضاه أُنشئ الوجود كله، فهو أمر معلوم بالفطرة فمن لم يؤمن بالقضاء والقدر فقد جهل أصل الخلق والوجود، وأبطل الشرائع الدينية كافة[1]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: "الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تعالى وَآمَنَ بِالْقَدَرِ فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ نَقْضَ التَّوْحِيدَ"[2]، وقد تناولت هذا الفصل في عدة مباحث ومطالب.

المبحث الأول

القضاء والقدر بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

لقد وردت هذه المسألة العظيمة في سورة يونس عليه السلام ودلت عليها الكثير من الآيات لتؤكد أن كل ما يحصل في السموات والأرض يقع بعلم الله تعالى وكتابته إياه في اللوح المحفوظ ومن ثم يقع بإرادته ومشيئته تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61]،وغيرها من الآيات.

---

(1) انظر: علي الوصيفي، القضاء والقدر عند السلف (ص20).

(2) [الفريابي: القدر، ص 159 – 160، رقم الحديث 205]. قال الألباني: ضعيف". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (9/ 70).

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف القضاء لغةً واصطلاحاً عند السلف.

أ- تعريف القضاء لغةً.

القضاء بالمد، ويُقصر أصله قَضايٌ فلما جاءت الياء بعد ألف زائدة متطرفة هُمزت والجمع أقضية[1]، والقضاء في اللغة يأتي بمعانٍ كلها ترجع إلى الحكم، والإعلام، والإتقان، والصنع والتقدير، والفراغ، والانتهاء، وأيضاً يأتي بمعنى الخلق[2]، "فانقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى"[3]، وورد القضاء في سورة يونس عليه السلام بمعنى الفراغ والانتهاء كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[يونس:71]، أي: افرغُوا وانتهُوا من أمركم وامضوا إلي[4]، وبمعنى الهلاك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[يونس:11].

ب- تعريف القضاء اصطلاحاً عند السلف.

القضاء هو إرادة الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأمور والأشياء كافةً وإيجاده إياها على ما ستكون عليه في المستقبل وذلك حسب علمه وإرادته[5]، ويمكن تعريفه بأنه "الحكم الكلي الإجمالي في الأزل ووضع الكل للأسباب الكلية الدائمة"[6].

---

(1) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج2463/6). مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج315/39-316).

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج99/5). ابن منظور، لسان العرب (ج186/15-188). الأزهري، تهذيب اللغة (ج169/9-170). الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج2463/6- 2464).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة (ج169/9-170). ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج78/4)

(4) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص675).

(5) انظر: عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها (ص729). السفاريني، لوامع الأنوار البهية (345/1). مصطفى الخن ومحي الدين مستو، العقيدة الإسلامية (ص459).

(6) ابن جحر العسقلاني، فتح الباري (ج477/11). محمد صديق خان، الدين الخالص (ج106/3).

ثانياً: تعريف القدر لغةً واصطلاحاً عند السلف.

أ- تعريف القدر لغةً.

"القدر مصدر الفعل قَدَرَ يَقْدِرِ قَدَراً، وقد تسكن داله"(1)، قَدْرُ الشيء أي مَبْلَغِ الشيء ونهايته، والقدرَ القضاء والحكم وما يقدره الله من القضاء(2)، وقدرت فعل كذا وكذا أي عزمت عليه ونويت علي فعله(3)، ويقال إذا وافق الشيء الشيء أي: جاء قَدَرَهُ، والتقدير: هو التروى والتفكير في التسوية لفعل أمر ما فهو خاص بأفعال العباد، والقَدَر كالقَدْر وهو لا يكون إلا في أفعال الله ﷻ والجمع أقدار(4)، وقد ورد القدر في سورة يونس عليه السلام بمعنى الخلق والصنع كما في قوله ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس:5].

ب- تعريف القدر اصطلاحاً عند السلف.

القدر هو علم الله ﷻ الأزلي للأشياء بمقاديرها وأزمانها وأوقاتها قبل وقوعها في المستقبل، فلا يحدث أي شيء مهما كان كبيراً أم صغيراً إلا وقد علمه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وقدره وخلقه وشاؤه ووقع بإرادته ﷻ وجزيئاته وتفاصيله وأسبابه ومقدماته ونتائجه كافة بحيث لا يتأخر شيء من ذلك(5)، يمكن تعريف القدر بأنه:" توجيه الأسباب الكلية الدائمة بالمسببات المعدومة بعدد معين لا يزيد ولا ينقص"(6)، فالقدر أعم من القضاء وهو سابق عليه، والقضاء لاحق يأتي بعد تقدير الله ﷻ.

يتضح من التعريفات السابقة لكل من القضاء والقدر لغةً واصطلاحاً أن هناك علاقة وترابط قوي بينهما ولا يمكن أن ينفك أحدهما عن الأخر، فأحدها بمنزلة الأساس وهو القدر،

---

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج22/4).

(2) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج786/2). ابن منظور، لسان العرب (ج74/5). الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ص460).

(3) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج41/9-42).

(4) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج76/5). أبو الهلال العسكري، الفروق اللغوية (ص191).

(5) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (ج118/1). أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن (ص245). صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص297).

(6) محمد صديق خان، الدين الخالص (106/3).

والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمتى أُطلق أحدهما شمل الآخر بلا شك، فإن ذكر القدر وحده انتظم معنى القضاء، وإذا ذكر القضاء وحده انتظم معنى القدر[1]، ومن فصل بينهما فكأنما هدم البناء ونقضه فكل منهما يأتي بمعنى الآخر[2].

وعليه فيمكن تعريف القضاء والقدر بأنه:" ما سبق به القلم وجرى به العلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[3]، وقد عرفه ابن تيمية تعريفاً مختصراً فقال:" هو علم الله وكتابه وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه"[4]، فالتعريف الشامل المختصر هو الذي يشمل مراتب القضاء والقدر الأربعة فهو عِلم الله ﷻ المحيط بمقادير الخلائق وكتابته ومشيئته لها وخلقه لكل ما هو كائن ليوم القيامة.

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر عند السلف.

مما لا شك فيه أن القضاء والقدر يقوم على أربعة مراتب، فمن آمن وأقر بها فهو مؤمن كامل الإيمان، وأما من آمن واختل عنده شيء من هذه المراتب فإيمانه فيه نقص وخلل، والناظر إلى هذه المراتب يجدها تتضمن صفات الله ﷻ، وقد شرح الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله هذه المراتب بالتفصيل[5]، وهي في بيت الشعر:

عِلْمٌ كتابة مولانا مشيئته وخلقُه وهو إيجادُ وتكوين [6].

المرتبة الأولي: علم الله ﷻ بالأشياء قبل كونها.

من المعلوم أن وجود هذا الكون بكل ما فيه من مخلوقات، وسيره وفق نظام محكم إنما يدل دلالة واضحة على علم الله ﷻ به قبل إيجاده وخلقه؛ لأنه يستحيل إيجاد الأشياء بالجهل وعدم العلم، لأن إيجاد الأشياء يكون بالإرادة والإرادة تستلزم تصور المراد وهو العلم بالمراد، فكان

(1) انظر: عبد الرزاق البدر: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص239).
(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج186/15). ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج78/4).
(3) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج348/1).
(4) ابن تيمية، قاعدة في المحبة (ص169).
(5) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص 77-123).
(6) ابن تيمية، القصيدة التائية في القدر (ص42).

الإيجاد مستلزماً للإرادة وهي مستلزمة للعلم، والإيجاد مستلزم للعلم(1)، فيجب الإيمان بعلم الله الأزلي المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون سواء كان صغيراً أو كبيراً، ظاهراً أو باطناً، كما أنه ﷻ يعلم آجال العباد وأرزاقهم وطاعاتهم معاصيهم وشقيهم وسعيدهم، ومآلُهم بعد ذلك إما إلى الجنة أو النار(2)، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فهو يعلم جميع خلقه قبل أن يخلقهم فكل شيء معلوم لديه ﷻ(3).

وذُكر دليل هذه المرتبة في سورة يونس ﷺ في قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:61].

فالله ﷻ في هذه الآية يخبر نبيه محمد ﷺ أنه يعلم ومحيط بكل شيء علماً، فهو يعلم ويراقب ويسجل جميع أحواله ﷺ من تبليغه للرسالة وتلاوة القرآن على أسماع المشركين، وأيضاً يعلم أحوال أمته جميعاً من المكذبين وغيرهم، ويراقبها في كل وقت وفي كل ساعة بل وفي كل دقيقة، ويعلم بما يعملونه من خير وشر، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة حتى لو كانت صغيرة وحقيرة في السموات والأرض إلا ويعلمها (4)،فهذه الآية في غاية البيان والروعة في توضيحها لعلم الله ﷻ وأنه يعلم كل ما في السموات والأرض ولا يغيب عنه أي أمر كبُر أم صغُر من أمور الناس جميعاً إلا ويعلمه وكتبه في اللوح المحفوظ وكتابه المبين.

وأيضاً قوله ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:39]، فهذه الآية تبين أن المشركين لسوء حظهم كذبوا بما لم يحيطوا به علماً، وتكذيبهم كان بسبب عدم علمهم به

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص85-86).

(2) انظر: حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج920/2). عمر الأشقر، القضاء والقدر (ص26-27). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج148/3-150). محمد العثيمين، تقريب التدمرية (ص95). محمد صديق خان، قطف الثمر بيان عقيدة أهل الأثر (ص88).

(3) انظر: حافظ الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ص87).

(4) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج114/15). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج241/4). عبد الكريم الخطيب، تفسير القرآن للقرآن (ج1037/6- 1038).

وجهلهم بما سيؤول إليه مما توعدهم فيه من العذاب الأليم(1)، فمرتبة العلم وعلم الله ﷻ بجميع ما في الكون وعلمه له قبل وقوعه هو أمر متفق عليه بين الصحابة ومجمع عليه بين الأمم، ومنكره كافر ولم ينكره إلا القدرية(2).

المرتبة الثانية: الكتابة في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر ألا وهي مرتبة الكتابة، فما علمه الله ﷻ من الأقدار كتبه في اللوح المحفوظ فالله ﷻ لا يضل ولا ينسى فكتب فيه كل شيء وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة(3)، لقوله ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[يونس:61]، فهذه الآية قد جمعت بين مرتبة العلم ومرتبة الكتابة كما سبق تفسيرها.

فالله ﷻ كتب مقادير الخلائق إلي يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"(4)، وهذه الكتابة كانت بالقلم في اللوح المحفوظ، فما من شيء حدث أو سيحدث في المستقبل إلا وهو مكتوب محفوظ عند الله ﷻ(5)، فما قدر للإنسان أن يصيبه لن يخطئه، وما قدر له أن يخطئه لن يصيبه، والدليل على ذلك ما قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: "يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ،

---

(1) محمد حجازي، التفسير الواضح (ج64/2). القاسمي، محاسن التأويل (ج27/6) بتصرف.

(2) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص77). ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج396/9).

(3) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل(ص101).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْقَدَرِ/ باب حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، 2044/4: رقم الحديث 2663].

(5) انظر: محمد العثيمين، تقريب التدمرية (ص95).

فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي"(1).

المرتبة الثالثة: مشيئة الله ﷻ الشاملة.

المقصود بمشيئة الله ﷻ وقدرته النافذة أي اليقين التام أن مشيئة الله ﷻ هي النافذة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فما وُجد من موجود أو عُدم من معدوم وما حركة كبيرة أم صغيرة ظاهرة أم باطنة في السموات والأرض لا تقع إلا بمشيئة الله ﷻ ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء هو وحده ﷻ، فما شاء وقوعه كان لا محالة، وما لم يشأ لم يكن، وأيضاً مشيئة العباد تندرج تحت مشيئة الله ﷻ فالإنسان لا يشأ أي شيء خارجٌ عن مشيئة الله فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء(2)، وينفع ويضر من يشاء والإنسان لا يملك لنفسه ضراً أو نفعاً إلا كما يشاء الله قال الله ﷻ: ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[يونس:49]، فالنبي محمد ﷺ يخبر المشركين والمعاندين أنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا مرضاً ولا موتاً، إلا ما يشاء الله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فكيف بغيره يملك لكم الضر والعذاب؟؟ فهذا يقع بمشيئة الله وكلٌ منا له وقت معلوم ليتوفاه الله ﷻ بقضائه وقدره، وكما كُتب في اللوح المحفوظ، فإذا شاء الله ذلك الوقت وقع الجزاء والعذاب دون تأخر فلا تستعجلون وقوعه فهو واقع لا محالة عند مشيئة الله وإرادته(3)، وفي قوله ﷻ: ﴿**إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ**﴾ المقصود هنا الاستثناء منقطع أي ما شاء الله كان، ولكن عند المعتزلة الاستثناء متصل لاعتقادهم أن الإنسان خالق أفعاله بنفسه(4).

---

(1) [أبو داود: سنن أبي داود، السُّنَّةِ/فِي الْقَدَرِ، 225/4: رقم الحديث 4700]. قال الألباني: صحيح". صحيح وضعيف سنن أبي داود (10/ 200).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج459/8). محمد العثيمين، تقريب التدمرية (ص96). ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج163/1). محمد العثيمين، رسالة في القضاء والقدر (ص24–25).

(3) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج26/2).

(4) انظر: الألوسي، روح المعاني (ج124/6).

والله ﷻ هو الذي يشاء لعباده أن يختاروا إما طريق الخير وإما طريق الشر وهذا ضمن مشيئته الربانية(1)، فما من طاعة أو معصية أو خير أو شر يفعله العبد إلا بمشيئة الله ﷻ وإرادته فهي النافذة في كل أمور العباد ولا يمكن أن يقع خلاف ما يشاءه ﷻ، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]، فالهداية والضلال بيد الله ﷻ ومن أصر على الضلالة لم يرد ولم يشأ الله ﷻ رشدهُ وهدايتهُ، ومن الناس من يهديهم الله ويوفقهم لطريق الخير والصلاح فالجميع فاعلون لِما يشاء الله ﷻ ومشيئته نافذة في جميع خلقه(2)، قال ﷻ: ﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:25]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ"(3).

المرتبة الرابعة: القدرة والخلق وأن الله ﷻ خالق كل شيء.

المرتبة الرابعة وهي مرتبة الخلق والمقصود بها أن الله ﷻ خالق كل شيء فهو الذي خلق كل ما في السموات وما في الأرض ظاهراً وباطناً، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[يونس:6]، فما من موجود سواء كان ساكناً أو متحركاً في الكون إلا والله ﷻ خلقه وأوجده، فلا خالق غيره وما سواه مخلوق مربوب، وأيضاً المهم في هذه المرتبة أن الله ﷻ خالق العباد وخالق أفعالهم فهو ﷻ علم ما سيخلقه في عباده وعلم ما سيفعلونه وما الطريق الذي يسلكونه، فالعباد لهم قدرة وإرادة ليحاسبوا عليها بالثواب والعقاب، لكن

---

(1) انظر: سيد سابق، العقيدة الإسلامية (ص105-106).

(2) انظر: إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج104/9). أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم (ج138/4).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْقَدَرِ/ باب تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ، 2045/4: رقم الحديث 2654].

ضمن إرادة الله ﷻ ومشيئته وخلقه لهم ولهذه الأفعال فهو الخالق لجميع الأسباب[1]، وهنا قرن الخلق بالمشيئة؛ لأنه لا يتحقق الخلق إلا بهما، وهذا ما اتفقت عليه الرسل والفطر والعقول[2].

المطلب الثالث: عقيدة المعتزلة في القضاء والقدر والرد عليهم.

أولاً: تعريف القضاء والقدر عند المعتزلة.

القضاء والقدر عند المعتزلة بمعنى واحد فلا يوجد فرق بينهما وإذا أطلق أحدهما فيجب أن يقيد حتى يُفهم المقصود منه، فإذا كان القضاء بمعنى الخلق فلا يصح في أفعال العباد؛ لأن الأفعال هي من صنع وخلق العباد أنفسهم وليس من خلق الله ﷻ، وأما إذا كان بمعنى الإخبار والإعلام فذلك يصح ويجوز فكل شيء يقع في الكون يكون بقضاء الله وقدره، وأما إذا كان بمعنى الإلزام والإيجاب فلا يصح إلا بالعبادات الواجبة ويجب أن يقيد بها بمعنى أنه ألزمهُم وأوجبهم بها[3].

يتبين مما سبق أن القضاء والقدر عند المعتزلة يجب أن يقيد لفظه حتى يتضح المقصود منه، فإذا كان بمعنى الخلق والإلزام فلا يجوز هذا المعنى؛ لأن أفعال العباد هي من خلق أنفسهم ولا يمكن القول بحال من الأحوال أن الله ﷻ خالق أفعالهم، أما إذا كان بمعنى الإخبار والتوضيح فهذا يجوز في كل شيء، وما ذهبت إليه المعتزلة مخالف وبعيد جداً لما عليه السلف الصالح في تعريفهم للقضاء والقدر.

ثانياً: مذهب المعتزلة في القضاء والقدر والرد عليهم.

قد أثبت المعتزلة علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها وتكوينها؛ لأنه ﷻ عالم بذاته ومن حقه أن يعلم كل شيء فهو عالم بما العباد عاملون وما إليه سائرون فإنه أحاط بكل شيء

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج8/440). زيد فياض، الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية (ص373). حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج3/940). فيصل النجدي، التعليقات السنية على العقيدة الواسطية (ص116). محمد العثيمين، تقريب التدمرية (ص96-97).

(2) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص123).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص169-170). القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص770- 771).

علماً[1]، وزعمت المعتزلة أن ما شاء الله لا يكون، ويكون ما لا يشاء، فهم جوزوا أن يكون في الكون ما لا يشاءه الله ولا يريده فقال القاضي عبد الجبار: "أنه لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي ثم قال واتصال هذا الفصل بباب العدل ظاهر؛ فإن الإرادة فعل من الأفعال ومتي تعلقت بالقبيح فتجب لا محالة وكونه تعالى عدلاً يقتضي أن تنفي عنه الإرادة"[2]، فالله ﷻ لا يشاء ولا يريد الظلم والقبائح والذنوب بل يكرها ويسخطها، ولو أرادها الله ﷻ لوجب أن يكونوا مطيعين له بذنوبهم؛ لأنهم فعلوا ما أراده الله[3]، فالمعتزلة نفت وعطلت المشيئة الكونية القدرية المتعلقة بالذنوب والمعاصي، وكما سبق فهم ينزهون الله عن فعل الظلم والقبائح وإذا قلنا أن الذنوب والمعاصي تقع بمشيئته لأثبتنا الظلم لله ﷻ وهو منزه عن ذلك كما في قوله ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:44]، وليس المقصود أن المعاصي والذنوب لا تقع بقضاء الله وقدره انكار علمه السابق ولكن المقصود أنه لم يخلقها في الكون [4]، وقالت المعتزلة في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]، "أي أنه لو شاء الله ﷻ لألجأهم إلى الإيمان والإسلام، لكنه لو فعل ذلك لزال التكليف فلم يشأ ذلك بل شاء أن يطيعوا على وجه التطوع والإيثار لا على وجه الإجبار والاضطرار، وذلك واضح في قوله ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾"[5]، ولكن المقصود من هذه الآية أنك يا محمد ليس عليك ولا إليك أن تُلزمهم وتُلجئُهُم حتي يكونوا مؤمنين، بل الله ﷻ يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض، وأنت ليس عليك هدايتهم والله ﷻ يهدى ويكتب السعادة لمن يشاء من عباده دون إجبار [6]

ولكن المسألة المهمة في القضاء والقدر عند المعتزلة هي مسألة خلق أفعال العباد، فهم ينفون القضاء والقدر إذا تعلق بأفعال العباد خلقاً فيزعمون أنه يقع بقدرتهم ومن خلقهم وأن

(1) انظر: القاسم الرسي، أصول العدل والتوحيد ضمن رسائل العدل والتوحيد (ج140/1- 141). القاضي عبد الجبار، مختصر أصول الدين (ج235/1).

(2) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص431).

(3) المرجع السابق (ص459-460) بتصرف.

(4) انظر: علي الزاغوني، الإيضاح في أصول الدين (ص114).

(5) الشريف المرتضي، انقاذ البشر من الجبر والقدر (ص 332) ، ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج259/4). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج211/15).

أفعالهم حصلت بدواعيهم والذنوب الواقعة منهم لا تقع بمشيئة الله ﷻ وإنها ليست بقضاء الله وقدره، وهذا من باب العدل والحكمة ومما يؤكد ذلك قول القاضي عبد الجبار: " اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفاتهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم وأن من قال أن الله خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه"(1)، فلو كانت أفعال العباد بقضاء الله وقدره للزم الرضا بكل ما فيها من كفر وإلحاد وذنوب والرضا وذلك كفر(2)، فالمعتزلة لا يقولون إن الله خالق أفعال العباد لينزهوا الله ﷻ عن الظلم والجور وفعل القبيح فالله ﷻ عادل ولا يريد من أحد فعل المعاصي ويريد منهم فعل الطاعات فقط، وكيف يخلق الله ﷻ أفعال العباد ثم يعاقبهم عليها فبذلك يكون ظالماً (3) ولو كان الله ﷻ خلق أفعال العباد لما استحقوا عليها الثواب والعقاب(4).

مناقشة المعتزلة والرد عليهم.

1- إن مشيئة الله ﷻ قد أحاطت كل ما في الكون فما شاء الله وقوعه كان وما لم يشأ وقوعه لم يكن، ولا شيء يخرج عن هذه المنظومة والله ﷻ لم يشأ أن يجعلنا أمة جميعها على الهدى لكن حكمة الله وقدره أن يجعل منا أُناساً مهديين إلى طريق الحق، وأُناساً مضلين أضلوا الطريق واتبعوا خطوات الشيطان(5)، كما قال ﷻ: ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ [يونس:99- 100].

2- إن زعم المعتزلة وحجتهم بعدم خلق الله ﷻ لأفعال العباد؛ لأنه لو فعل ذلك لكان ظالماً فهذا مبني على أصل المعتزلة الفاسد وهو قياسهم الخالق بالمخلوق، فالله ﷻ عند السلف

---

(1) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج3/8).

(2) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص771).

(3) انظر: زهدي جار الله، المعتزلة (ص 97).

(4) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (ص771).

(5) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص109) وقد سرد ابن قيم الجوزية العديد من الأدلة التي تبين بطلان ما ذهبت إليه المعتزلة من نفيهم للمشيئة.

منزه عن الظلم وهو عدلٌ لا يظلم عنده أحد، والمقصود بالظلم عند السلف أنه وضع الشيء في غير موضعه [1].

3- الذي عليه السلف الصالح أن الله ﷻ خالق كل ما في الوجود من أفعال العباد وغيرها فأفعال العباد مخلوقة[2]، فعن الحسن البصري[3] قال: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا فَخَلَقَهُمْ بِقَدَرٍ، وَقَسَمَ الْآجَالَ بِقَدَرٍ، وَقَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ بِقَدَرٍ، وَالْبَلَاءُ وَالْعَافِيَةُ بِقَدَرٍ"[4]، فحركات العباد وأفعالهم سواء كانت خيراً أو شراً هي لهم حقيقة مخلوقة خلقها الله ﷻ بعلمه ومشيئته، وهم يفعلونها بمقتضى مشيئة الله وخلقه لها[5].

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج507/8). ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج56/3).

(2) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص191). محمد هراس، شرح العقيدة الواسطية (ص229).

(3) الحسن البصري: أبو السعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من كبار سادات التابعين كان عظيم القدر ثقة في نفسه، كان فقيهاً عابداً فجمع بين العلم والفصاحة والزهد والورع، كان لا يخاف في الله لومة لائم. انظر: وفيات الأعيان وأبناء الزمان (ج69/2-72). الذهبي، ميزان الاعتدال (ج527/1). الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج131/2).

(4) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 755/4: حديث رقم1255.

(5) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص128).

المبحث الثاني

الهداية والضلال بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام .

لكي يكتمل باب الإيمان بالقضاء والقدر لا بد من الإيمان بقلب القضاء والقدر كما سماه ابن قيم الجوزية ألا وهو الهداية والضلال[1]، فالله تعالى هو الهادي والمضل فهو يهدى من يشاء وذلك لمن اجتمعت فيه خصال الخير، ويضل من يشاء لمن أبى وانحرف عن الطريق المستقيم، فالهداية نعمةٌ والضلال نقمة.

وقد ورد في سورة يونس عليه السلام الكثير من الآيات التي تؤكد وتدلل على الهداية والضلال كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** ﴾[يونس:108]، وقوله تعالى: ﴿**وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[يونس:25].

المطلب الأول: تعريف الهداية والضلال لغةً واصطلاحاً عند السلف.

أولاً: تعريف الهداية لغةً واصطلاحاً.

أ- تعريف الهداية لغةً.

الهدُى مصدر هداه هُدَى، فهو ضد الضلال أي: الرشاد والبيان، والطاعة والورع وهو يُذكر ويُؤنث، والهدى من هَداهُ يهديه هدى ويقال هداه الله تعالى للدين هدى، ويقال هَدى هَدْيَ فلان أي سار على نهجه[2]، وفي لغة الحجاز يقال هداه الله الطريق، وعند غيرهم يقال هداه إلى الطريق أي أنه تعدى بحرف الجر، بمعنى أرشده ودله إلى طريق الخير وطريق الإيمان، وهداه الله إلى الإيمان بمعنى أرشده[3]، والهُدى أي: "الصراط الذي دعا إليه هو طريق الحق"[4].

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص153).

(2) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج2533/6- 2534). الرازي، مختار الصحاح (ج325/1).

(3) انظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج636/2). ابن منظور، لسان العرب (ج353/15- 355).

(4) ابن منظور، لسان العرب (15/ 354).

ب- تعريف الهداية اصطلاحاً عند السلف.

الهدى هو " العلم بالحق والعمل به، وما به الهُدَى والإرشاد إلى طريق الخير، فيشتمل آيات الأحكام التي بها صلاح الناس في أنفسهم وصلاحهم في مجتمعهم"(1)، "والهدى بيان ما ينتفع به الناس ويحتاجون إليه"(2).

والهداية هي سلوك الطريق الذي يُوصل الإنسان إلى غايته ومبتغاه، باتباع شرع الله ﷻ فالإنسان من خلال شرع الله والعلم بكتابه يهتدى إلى تميز الحق من الباطل(3)، قال ابن قيم الجوزية: "الهداية هي البيان والدلالة ثم التوفيق والإلهام وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل وإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق"(4)، فتعريف ابن قيم الجوزية شاملاً وجامعاً لمراتب الهداية والضلال التي سأفصلها في المطلب الثاني من هذا البحث.

ثانياً: تعريف الضلال لغةً واصطلاحاً.

أ- تعريف الضلال لغةً.

"الضَّلالُ والضَّلالةُ: ضد الهُدَى والرَّشاد، ضَلَلْتَ تَضِلّ هذه اللغة الفصيحة وضَلِلْتَ تَضَلُّ ضَلالًا وضَلالةً"(5)، ويأتي بمعنى العدول والانحراف عن المنهج وعن الطريق السوي قال ﷻ: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[يونس:108](6)، والضلال في اللغة له استعمالات كثيرة فيأتي بمعنى الضياع والهلاك، فإذا ضل الشيء أي ضاع وهلك،

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج66/2). عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص 61).

(2) ابن تيمية، النبوات (ج640/2).

(3) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص256). زين الدين العابدين، التوقيف على مهمات التعريف (ص343).

(4) ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم (ص13).

(5) ابن منظور، لسان العرب (ج390/11). الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص1024).

(6) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص509).

ويأتي بمعنى بطلان العمل وعدم قبوله[1] وبمعنى الكفر والشرك والضلال في معرفة التوحيد والأحكام الشرعية العملية، كما يأتي بمعنى الخطأ والنسيان[2].

ب- تعريف الضلال اصطلاحاً عند السلف.

الضلال هو الانحراف عن طريق الإسلام، وسلوك الطريق المخالف الذي لا يوصل إلى اتباع شرع الله واتباع الأهواء والشهوات، وفقدان الطرق والأساليب التي توصل إلى الهدف المطلوب[3].

يتبين مما سبق أن الهدى والضلال كلمتان متضادتان، فالهدى في اللغة بمعنى الرشاد والبيان والطاعة، وفي الاصطلاح هو سلوك الطريق الصواب الذي يوصل إلى ما ينتفع به المجتمع في الدنيا والآخرة، بينما الضلال في اللغة فهو الضياع والهلاك والخسران، وفي الاصطلاح الانحراف والعدول عن الطريق المستقيم السوى واللجوء إلى اتباع طرق الشيطان.

المطلب الثاني: مراتب الهداية كما وردت في سورة يونس ﵇.

كما يُعلم أن الهداية والضلال هي بخلق الله ﷻ فمن يرد الله ﷻ إصلاحه وتوفيقه يهده ويشرح صدره للإسلام، وهذه الهداية لها أربع مراتب من فهمها جداً عرف معنى الهدى المراد من آيات القرآن الكريم.

المرتبة الأولي: الهداية العامة.

الهداية العامة هي التي تشمل جميع المخلوقات فهي أعم مراتب الهداية، فهي تشمل الإنسان مؤمناً وكافراً ، وتشمل الحيوانات والطيور في هدايتها لجلب ما يُصلحها في معاشها، كما أن الله ﷻ قد أعطى كل عضو شكله الخاص به ثم هداه إلى وظيفة معينة يقوم بها، فالله ﷻ خلق وهدى اللسان للنطق، واليدين للعمل والكسب، وغيرها فكل عضو له هداية تليق به[4]،

(1) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج97/3). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج356/3).

(2) انظر: مرتضي الزبيدي، تاج العروس (ج343/29- 346). الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص510).

(3) انظر: سميح الزين، الإسلام وثقافة الإنسان (ص125). الجرجاني، التعريفات (ص 138).

(4) انظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج35/2). شفاء العليل (ص153- 155).

لقوله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[الأعلى:2- 3]، "فإحسان خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزاءه بحيث لم يحصل بينها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال، فالخلق: الإيجاد، والتسوية: إتقانه وإحسان خلقه"(1).

المرتبة الثانية: هداية البيان والدلالة.

إن هذه المرتبة أخص من مرتبة الهداية العامة، فهي خاصة بالمكلفين وتقتصر على إرشاد الخلق وتوضيح لهم طريق الحق وتميزه من طريق الباطل بالأدلة والبراهين، لقوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون﴾[يونس:47]، وتلك هي مهمة الأنبياء توضيح الحق والدعوة إليه وهذه الهداية لا يستلزم حصول التوفيق والهُدى الكامل معها؛ فإنها سبب وشرط في حصول الاهتداء من قبل الرسل لا موجبٌ له، لكفر بعض الناس بدعوة الرسل ولهذا ينتفي الهُدى معها إما لعدم كمال السبب أو لوجود مانع من العبد نفسه(2).

ومن الآيات التي دلت على هذه المرتبة من سورة يونس عليه السلام قوله ﷻ: ﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم﴾[يونس:25]، فهذه الآية شملت دعوة الجميع إلى دار الخلد ودار البقاء فهي هداية عامة، ولكن خُصت الهداية بعد ذلك بمن اصطفاهم الله ﷻ ومن اختصهم برحمته فهو يهدي من يشاء، ويضل من يشاء وهذا من فضله ورحمته وحتى لا يكون لأحد على الله حجة بعد الرسل (3) كما في قوله ﷻ : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِين﴾[يونس:74]، فهذه الآيات توضح أن دور الأنبياء التوضيح والإرشاد والبيان للمكلفين ولا يبقي للخلق أي حجة على الله ﷻ.

فالمقصود من البيان هنا بيان بالآيات المقروءة بالتلاوة والآيات المرئية فهما فيهما دلالة علي توحيد الله ﷻ لذلك كثيراً ما تحث هذه الآيات على التأمل والتفكر فيما خلقه الله كما في

(1) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص153).

(2) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج1/335).

(3) انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص341).

قوله ﷻ: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:101]، فالرسل تبين والله ﷻ يهدى من يشاء ويضل من يشاء[1].

المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام.

هذه المرتبة أخص من التي قبلها؛ فإن كانت مرتبة البيان والإرشاد للمكلفين فهذه المرتبة للمهتدين من هؤلاء المكلفين والذين شاء الله هدايتهم ووفقهم إلى طريق الحق، فمرتبة التوفيق والإلهام مستلزمة للاهتداء ولا يمكن للاهتداء أن يتخلف عنها بحال من الأحوال، فهي مستلزمة للفعل من ناحية فعل الله ﷻ وهو الهُدى، وفعل الإنسان وهو الاهتداء الناتج عن الهدى، ولا يحصل ذلك الاهتداء إلا وجود المؤثر وبفعل الله ﷻ[2]، ولا يستطيع أن يفعل هذه الهداية إلا الله، فعن جابر ﷺ قال كان الرسول ﷺ يخطب الناس يحمد الله ويثنى عليه ثم يقول: "مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ"[3]، وهذه المرتبة قد نفاها الله ﷻ عن نبيه ﷺ، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[القصص:56]، وهذه المرتبة التي حصل فيها الخلاف مع المعتزلة.

ومن الآيات التي وردت في سورة يونس عليه السلام في بيان هذه المرتبة، قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[يونس:35]، قوله ﷻ: ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[يونس:108]، هاتان الآيتان قد جمعتا بين فعل الله ﷻ وبين فعل العبد، ففي الآية الأولي تدل على أن الله ﷻ هو الذي هدى وخَلْقُ قابلية الهداية في نفس الإنسان، بينما الآية الثانية تدل على الإنسان هو الذي يفعل الهداية والضلال وهو الذي يهتدى نفسه بما خلقه الله ﷻ فيها من تُقبل الهداية وهدايتها، فيكون الذي فعل الهداية والضلال هو العبد لذلك يحاسب

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج66/1).

(2) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج334/1). ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (ج37/2). شفاء العليل (ص178- 179).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْجُمُعَةِ/باب تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، 593/2: رقم الحديث 867].

عليها[1]، فهداية التوفيق والإلهام تقع بين أمرين الله ﷻ والعبد نفسه فلا تنسب إلى الله مباشرة بل هو خلقها والعبد إما أن يهتدى وإما أن يتبع أهواء الشيطان ويضل. قال ﷻ : ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [يونس:99- 100]، وأيضاً قوله ﷻ: ﴿وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:40].

والله ﷻ أمر عباده أن يسألوه في كل يوم وفي كل لحظة هدايتهم للصراط المستقيم وللطريق السوي وأن يهديهم من خلال هداية البيان والدلالة وأن يكونوا من الذين قذف الله ﷻ في قلوبهم التوفيق والإلهام، فهداية البيان وهداية التوفيق كل منهما تشمل الأخرى[2]، وضلال العبد يكون بتركه ما أمره الله ﷻ بفعله وبعده عن الهدى والرشاد فبذلك يضله الله ويخذله فالعبد هو الضال.

المرتبة الرابعة: الهداية في الآخرة إما إلي الجنة أو إلي النار.

وقد وردت هذه المرتبة في سورة يونس ﷻ فالهداية إلى طريق الجنة وردت في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس:9]، أي أن الذين آمنوا وبسبب ما معهم من الإيمان والعمل الصالح يجازيهم الله ﷻ أعظم الثواب والجزاء، ألا وهو الهداية فيهديهم في الحياة الدنيا إلى الطريق المستقيم وإلى اتباع شرعه والتأمل في آياته، وفي الآخرة يهديهم إلي الصراط الذي يوصلهم إلى جنات النعيم وينعمون فيها بما أنعم الله ﷻ عليهم من رزق ونعمٌ لا تعد ولا تحصى[3].

وأما الهداية إلى طريق النار فلم يرد عليها آية في سورة يونس ﵇ لكن هي كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ

(1) انظر: سميح الزين، الإسلام وثقافة الإنسان (ص126-127).

(2) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص180).

(3) انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص337-338). عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (964/6). الشوكاني، فتح القدير (485/2-486).

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[النساء:186- 196] أي: إن الذين كفروا وظلموا أنفسهم لن يعفو الله ﷻ عنهم ذنوبهم فيخذلهم جزاء ما كانوا يفعلونه من كفر وجحود، فهؤلاء ليس لهم هداية إلا طريق جهنم[1].

المطلب الثالث: مذهب المعتزلة في الهداية والضلال والرد عليهم.

إن مذهب المعتزلة في الهداية والضلال قائم على أصلهم الفاسد في عدم خلق الله ﷻ أفعال العباد، فالهداية والضلال هي من جملة أفعال ومخلوقات العباد أنفسهم، وغير ذلك فهم أسندوا الفعل إلي الله ﷻ على سبيل المجاز لا على الحقيقة، أي أن العبد هو المهدى والضال[2]، لذلك أولوا جميع الآيات الواردة في الهداية والضلال تأويلاً يقطع ببطلانها ويعتبرون الآيات الواردة فيها من قبيل متشابه القرآن[3][4]، وهذا نتيجة اعتمادهم على العقل في الأمور العقدية كافة وجعله المصدر الأساسي في قبول العقائد أو رفضها.

والمقصود بالهداية عند المعتزلة: إما بمعنى الدلالة والبيان والإرشاد إلى طريق الحق، فهذه الهداية تثبتها المعتزلة، وبما أن الإنسان خالق أفعاله بنفسه فإن هداية التوفيق والإلهام التي هي من الله ﷻ فتنفيها المعتزلة[5]، وعرفها البعض بأنها "سلوك طريق الإيمان والطاعة، وهي فعل للإنسان"[6]، ونقل الأشعري عنهم أن الهداية تأتي بمعنى التسمية والحكم" أي أن الله ﷻ

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج411/9).

(2) انظر: الزمخشري، تفسير الكشاف (ج118/1). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص92).

(3) المحكم والمتشابه عند السلف: فالمحكم هو الذي يدل علي معناه بوضوح ولا يحتمل معنى أخر، وأما المتشابه فهو الذي يخلو من الدلالة الراجحة على معناه ويحتمل أكثر من معنى. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن (ص282). نور الدين الحلبي، علوم القرآن الكريم (ص122). بينما المحكم والمتشابه عند المعتزلة: " فالمحكم ما يُعرف المراد به بظاهره دون الرجوع إلى قرينة، والمتشابه هو ما لا يعرف تأويله إلا بقرينة أو به وبغيره". القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج379/16).

(4) انظر: محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية (ص131). ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص182).

(5) انظر: القاضي عبد الجبار، مختصر أصول الدين (ص326) ضمن رسائل العدل والتوحيد. الزمخشري، الكشاف (ج15/1). علي المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة (234- 235). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص92).

(6) محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية (ص133).

هدى المؤمنين بأن سماهم مهتدين، وحكم لهم بذلك"[1]، وقيل تأتي بمعنى اللطف ومنح زيادة الإلطاف[2].

يتبين مما سبق أن الهداية عند المعتزلة لها ثلاثة معانٍ: إما الدلالة والبيان، وإما بمعنى سلوك طريق الإيمان، وإما التسمية والحكم بأنهم مهتدين.

وأما المقصود بالضلال عند المعتزلة: تنفي المعتزلة أن يكون الله ﷻ خلق الإضلال؛ لأن الإنسان هو خالق أفعاله بنفسه وخلق الله ﷻ لفعل الإضلال لا يجوز؛ لأنه ﷻ منزه عن فعل القبيح لذلك قاموا بتأويل الآيات الواردة في الإضلال والضلال وينسبونه إلى الله ﷻ على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة، أي لا يوجد إضلال في الحقيقة لأن لو قلنا أن الله أضله فكيف يحاسبه على شيء خلقه، قال الزمخشري: "وإسناد الضلال إلى الله ﷻ إسناد الفعل إلى السبب؛ لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم"[3]، فإضلال الله ﷻ للعبد تسميته ضالاً، فهو الذي خلق الضلال لنفسه لذلك أُطلق عليه ضالاً فهو هنا بمعنى التسمية [4]، ومعنى إضلال الله ﷻ أنهم كانوا ضالين ووجدهم كذلك فأخبر أنه أضلهم، وقد نقل الأشعري عن المعتزلة أن الضلال يأتي بمعنى العقوبة والهلاك ومجازاتهم على ضلالهم[5]، فالضلال إما مجرد تسميته ضالاً أو أنها مجازاة وعقوبة على ضلالهم.

ولتوضيح مسألة الهداية والضلال عند المعتزلة اختصارها القاضي عبدالجبار في تفسير قوله ﷻ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة:26]، فقال القاضي عبد الجبار: "أنه الله ﷻ هدى الخلق بالأدلة والبيان ويهدى من آمن بالثواب خاصة ويهديهم أيضاً بالألطاف ونقول إنه يضلل من استحق العقاب بالمعاقبة، وبأن يعدلهم عن طريق الجنة وبأن لا يفعل بهم من الألطاف ما ينفعهم ولا نقول إنه يضل عن الدين بأن يخلق الضلال فيهم ولا أنه يريده، ولا أنه يدعوهم إليه لأن ذلك هو الذي يليق بالشياطين والفراعنة، وقوله ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ أراد يعاقب بالكفر به، وقوله

(1) الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج207/1).
(2) انظر: الزمخشري، الكشاف (115).
(3) المرجع السابق (ج118/1-119).
(4) انظر: القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص20). زهدي جار الله، المعتزلة (ص101).
(5) الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج208/1) بتصرف.

﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾أي يثيب بالإيمان به كثيراً" [1]، كما في قوله ﷻ: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[يونس:108].

مناقشة المعتزلة والرد عليهم:

1- الله ﷻ يهدي من يشاء ويضل من يشاء فالهداية والضلال بيد الله ﷻ، وجعل للهداية والضلال نتائج لمقدمات ومسببات لأسباب، فهدايته للناس بتوفيقهم للعمل الصالح وإضلاله لهم بسبب زيغهم عن طريق الحق واتباعهم طريق الهوى والكفر، فهو لم يجبر أحداً على هدايته أو إضلاله، ولم يضل أحداً إلا من أعرض عن ذكره [2].

2- الذي عليه السلف الصالح أن غير الله ﷻ لا يقدر على جعل الهدى والضلال في قلب أحد من الناس، ولكن الذي على المخلوق هو الدلالة والإرشاد ويوجه الغير إلى طريق الصواب فهداية البشر وتوفيقهم لا يملكها نبي مرسل ولا غيره وإنما هي لله ﷻ[3]، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:99].

3- ما ذهبت إليه المعتزلة من تسمية الإنسان مهتدياً أو ضالاً، فهذا باطل وليس هو المراد من آيات القرآن الكريم، فضلاً على ذلك أنه لم يرد أي لغة من لغات العرب تسمية الإنسان ضالاً وأن أضله أي سماه ضالاً، كما أن الإضلال فهو من أفعال الله ﷻ[4].

4- إن ما يصيب الإنسان من الذنوب الوجودية ويُبتلى بها، وإن كانت هي خلق من الله ﷻ فهي جزاء وعقاب له عما كان يفعله من ذنوب قبلها، فعقاب السيئة بمثلها، والذنوب والمعاصي وإغواء الشيطان لبني أدم يجري في الإنسان مجرى الدم في العروق[5]، والله ﷻ لا يظلم أحداً.

---

(1) القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص20).

(2) انظر: سيد سابق، العقائد الإسلامية (ص106- 108).

(3) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (379/8).

(4) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص182). الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة (ص214).

(5) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص372) بتصرف.

5- ما ادعته المعتزلة من أن المقصود بالهداية هي هداية البيان والدلالة لما قيدها الله بالمشيئة، وأيضاً هناك فرق بين الدعوى والهداية فالدعوى عامة والهداية لمن خصهم الله ﷻ بهداية التوفيق والإلهام، قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:25][1].

(1) انظر: الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة (ص216). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص92-93). الجويني، الإرشاد (ص212).

المبحث الثالث

الختم والطبع بين السلف والمعتزلة في سورة يونس عليه السلام.

الختم والطبع هما أحد أبواب القضاء والقدر، بل هما أكبر أبوابه، لأنهما يتعلقان بقلوب العباد وأعمالهم فمن أراد الله ﷻ ضلاله ختم وطبع على قلبه بالكفر وعدم الإيمان، وقد ورد الختم والطبع في سورة يونس عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾[يونس:74].

المطلب الأول: تعريف الختم والطبع لغةً واصطلاحاً عند السلف.

أولاً: تعريف الختم والطبع لغةً.

بعض العلماء عد الختم والطبع في اللغة بمعنى واحد، فكما أن الختم هو التغطية والاستتار على الشيء، وبلوغه آخره فيقال ختمت الكتاب أي وصلت إلى آخره، فالطبع أيضاً هو الختم على الشيء وأن لا يدخل إليه أي شيء ولا يخرج منه أي شيء(1)، فالله ﷻ طبع على قلوب الكافرين أي ختم على قلوبهم فلا يوفقون إلى خير ولا إلى هدى ورشاد(2)، هذا التعريف باتفاق علماء اللغة، لكن ابن قيم الجوزية كان له قول آخر في الختم والطبع فقال:" أن الختم والطبع يشتركان فيما ذكر ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا يفارق"(3).

ثانياً: عقيدة السلف في الختم والطبع.

من الأفعال والعقوبات الربانية التي خلقها الله ﷻ في عباده الختم والطبع، وذلك جزاءً على ظلمهم وطغيانهم وهذا ليس ظلماً من الله ﷻ لعباده كما يدعى البعض بل هو من باب حكمة الله ﷻ وعدله ويقع جزاء وعقوبة لهم لا ابتداء، فالله ﷻ أرسل الرسل بالدلائل والبراهين

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج12/163- 165). الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص1099). مرتضي لزبيدي، تاج العروس (ج32/41). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج2/245).

(2) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج3/1253).

(3) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص202). ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم (ج1/115)

فبعضهم آمن واهتدى والبعض الآخر ضل فعاقبهم الله بالختم والطبع بعد تماديهم بالطغيان وذلك جزاء لمخالفتهم أوامر الله ﷻ[1].

وذلك كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾[يونس:74]، وبعد أن ثبتت الذنوب في قلوبهم من جميع النواحي طبع الله عليها وختمها بسبب انهماكهم في الضلال والعصيان، وهذا دليل على أن الأفعال تقع بقدرة الله ومشيئته[2]، فالختم والطبع يقع بسبب كفرهم الذي اختاروه لأنفسهم وآثروه علي الهدى والإيمان بالله ﷻ والله ﷻ لم يخلق قلوبهم مطبوعة ومختومة الكفر بل بعد الدعوة والبلاغ فهم اختاروا الكفر على الإيمان فطبع على قلوبهم بسبب ما اكتسبوه من أعمالهم[3].

لكن الختم والطبع لا يمنع ولا يكون سبباً مانعاً من الإيمان مرة آخرى، فالله ﷻ يهدى من يشاء من عباده بعد انغماسهم في الضلال وهو وحده القادر على الختم والطبع على قلوب من يشاء من عباده والأسباب بيد الإنسان، فالله ﷻ يخلقها على وجه الحقيقة والإنسان تنسب إليه أفعاله أيضاً علي وجه الحقيقة[4]، ومما يعين الإنسان على التخلص من الختم والطبع كراهيته للمعاصي ولما هو عليه من الضلال، وحبه ورغبته في العودة إلى طريق الإيمان والهدى فهذا يكون سبباً من أسباب الهداية بمشيئة الله ﷻ، وأما إصراره على التمادي في الكفر والذنوب والمعاصي فهو سبب في دوام الختم والطبع على قلبه[5]، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[يونس:88]، قال الطبري: "أن النبي ﷺ أخبر أن الذنوب إذا تتابعت

---

(1) انظر: ابن بطة العكبري، الإبانة الكبرى (ج197/3-198). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج154/15)

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج84/1). أبو السعود، ارشاد العقل السليم إلى مزيا الكتاب الكريم (250/2).

(3) انظر: ابن قيم الجوزية، تفسير القيم (ج139/1).

(4) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص198).

(5) انظر: المرجع السابق (ص199).

على القلوب أغلفتها وإذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله ﷻ، والطبع فلا يكون للإيمان مسلك ولا للكفر عنها مخلص فذلك هو الطبع"[1].

المطلب الثاني: عقيدة المعتزلة في الختم والطبع والرد عليهم.

ما زال الحديث مع المعتزلة وعقائدهم التي تم تأويلها على أساس أن العبد هو خالق أفعاله بنفسه، والله ﷻ لا قدرة ولا مشيئة له على خلق أفعال العباد فكما أن العباد هم خلقوا أفعالهم بأنفسهم، وأن الأفعال تنسب إلى الله ﷻ على وجه المجاز ويجوز نفيها عنه، وعلى ذلك فالختم والطبع تنفيه المعتزلة فلا ختم ولا طبع ولا تغشية ولا تغطية على وجه الحقيقة وإنما هو من باب المجاز والاستعارة والتمثيل ويرجع إلى انصرافهم عن الحق واستكبارهم وعنادهم[2]، أي: أن الختم والطبع يقع من العبد نفسه دون مشيئة الله وإرادته وقال بعضهم أن الختم والطبع على قلوب الكفار هو بمعنى الشهادة والحكم بأنهم لا يؤمنون وليس لوجود عائق لهم من الإيمان، والبعض الآخر قال أن الختم والطبع هو علامة يفعلها الله ﷻ في قلوب الكافرين والظالمين لتميزهم ولتعرفهم الملائكة، وقيل هو السواد الذي يصيب قلوب الكافرين بسبب كفرهم وطغيانهم، وقيل هو الكفر[3].

من خلال ما سبق يتضح أن المعتزلة تنفي الختم والطبع وتأول الآيات التي وردت فيه وهذا من باب مطلق الحرية الكاملة للإنسان ولكي تنزه الله ﷻ عن فعل الظلم وفعل القبيح.

مناقشة المعتزلة والرد عليهم:

1- الله ﷻ وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين والمعتدين مجازاة على أفعالهم كما في قوله ﷻ:﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾[يونس:74]، والختم والطبع من جهة الأنبياء لا يجوز، ولو كان معناهما الشهادة والحكم لما امتنع من ذلك الأنبياء، فالختم غير التسمية[4].

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (261/1). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (85/1).

(2) انظر: الزمخشري، الكشاف (48/1).

(3) زهدي جار الله، المعتزلة (ص101)، القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص14).الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج206/1) بتصرف.

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج187/1).

2- الختم والطبع هي من الأفعال الحميدة التي وضعها الله ﷻ في المكان المناسب، إذ لا يليق بها غير هذا المكان وهو قلوب الكافرين وهذا من حكمته ﷻ[1].

3- أن الله ﷻ هو وحده المتفرد بالربوبية وكل ما في الكون تحت ملكه وقدرته ومشيئته، فهو المتصرف بجميع ما في الكون ويقع حسب علمه ومشيئته وهذا أعظم ما في التوحيد [2]، كما أنه لم يختم ويطبع على قلوب الكافرين ابتداءً.

4- أن هذا الختم والطبع لا يشمل جميع الكفار، والدليل أنه كان هناك أناس آمنوا بالله ﷻ وكانوا قبل ذلك كفاراً ولم يُختم على قلوبهم، بل هذا الختم والطبع في حق أناسٍ بعينهم خصهم الله بذلك كعقوبة لهم في هذه الحياة الدنيا كما عاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير [3].

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص196).

(2) انظر: العكبري، الإبانة الكبرى (ج198/3-199).

(3) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص 200).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه وهدايته تُردُّ وتُبْطَل الشبهات، والصلاة والسلام على نبييه محمد ﷺ خير البريات وعلى أله وصحبه، وبعد.

وفي نهاية هذا البحث لا بد لي من وقفة استجمع فيها بعض ثماره وأعرض ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات وهي على النحو التالى:

أولاً: النتائج.

1- بلغ عدد القضايا العقدية التي تناولتها في هذا البحث من خلال سورة يونس عليه السلام ستة عشر قضية عقدية والتي اعتبرتها من أهم المسائل العقدية وهي: التوحيد بأنواعه الثلاثة، السحر، الولاية، الرؤية، النبوات وخاصة النبي محمد ﷺ ومعجزته الخالدة معجزة القرآن الكريم، الغيبيات، الملائكة، اليوم الأخر، البعث، الحشر، الشفاعة، الجنة والنار،القضاء والقدر، الهداية والضلال، وأخيراً الختم والطبع.

2- سورة يونس عليه السلام من أشمل وأكثر السور التي تناولت التفصيل في معظم العقائد الإسلامية.

3- إن حكمة الله تعالى في تسمية هذه السورة بهذا الاسم تتجلى في أن قوم يونس عليه السلام هم الوحيدون الذين آمنوا بعد ما أن دعاهم يونس عليه السلام وهددهم بالعذاب، فكشف الله تعالى عنهم العذاب.

4- السبب الرئيسي في نشأة المعتزلة هو اعتزال واصل بن عطاء مجلس شيخه وقوله بالمنزلة بين المنزلتين.

5- أن حقيقة التوحيد إفراد الله تعالى بأنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

6- أن الله تعالى أرسل رسله من أجل توحيد الألوهية وإفراده بالعبادة دون سواه، فكانت دعوة الرسل جميعاً، بينما توحيد الربوبية فهو مركوز في النفوس بالفطرة.

7- المعتزلة أهملت توحيد الألوهية في تقسيمها لأنواع التوحيد، وفسروه بالربوبية فعندهم تفسير الإله بأنه هو القادر على الاختراع.

8- توحيد المعتزلة أدى بهم إلى نفي الصفات الإلهية جميعها بحجة أن إثباتها يتنافى مع الوحدانية لله ﷻ، وأيضاً أثبتت المعتزلة الأسماء لله ﷻ مجردة عن معانيها.

9- اشتملت سورة يونس عليه السلام على عدد لا بأس به من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، إذ بلغ عدد الأسماء الحسنى فيها احدي عشر اسماً، وبلغ عدد الصفات أربعة عشر صفة، ومذهب السلف الصالح فيها إثباتها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل.

10- خالفت المعتزلة السلف في تقسيمها للصفات الإلهية.

11- سبب ضلال المعتزلة وانحرافها عن الصواب هو اتخاذها العقل أساساً ومعياراً للقضايا العقدية وتقديمه على القرآن الكريم والسنة النبوية، وتأويل جميع آيات القرآن الكريم حسب ما يتفق مع أهوائهم العقلية وجعلها من قبيل المجاز، كذلك لقياسهم الغائب على الشاهد.

12- تناولت سورة يونس عليه السلام الحديث عن بعض نواقض توحيد الألوهية كالشرك والفسق، وكذلك نواقض توحيد الربوبية كاعتقاد أن لله ﷻ شريكاً في الخلق والملك.

13- عرضت سورة يونس عليه السلام قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم مثل النبي نوح عليه السلام، وموسى عليه السلام مع الطاغية فرعون، وأهمها قصة يونس عليه السلام فهي تمثل أعظم ما ورد في السورة.

14- أثبتت السورة نبوة النبي محمد ﷺ بمعجزته الخالدة وهي القرآن الكريم وكونه منزلاً من عند الله ﷻ وهو غير مخلوق وليس من تأليفه ﷺ، وكذلك تناولت بعض الردود حول الشبهات التي أثيرت حول الوحي المحمدي.

15- الولاية لا تكون إلا لمن آمن واتقى وعمل الصالحات، كذلك كرامات الأولياء حقيقة ثابتة دل عليها الكتاب والسنة وهناك فرق بينها وبين المعجزة، لا كما ادعت المعتزلة من إبطال لكرامات الأولياء بحجة المشابهة بين الولي والنبي.

16- أثبتت سورة يونس عليه السلام رؤية المؤمنين لربهم في الجنة وهذا أعظم نعيم يناله أهل الجنة، والمعتزلة خالفت نهج السلف في ذلك ونفت الرؤية.

17- أن الله ﷻ لا يجب عليه شيء من أحد، إلا ما أوجبه على نفسه، وذكره في كتابه أو في سنة نبيه محمد ﷺ.

18- الشفاعة نوعان إما مثبتة وهي التي أثبتها الله ﷻ ورسوله ﷺ بشروطها الثلاثة وهي رضا الله عن الشافع والمشفوع له، وإذن الله بالشفاعة، أما الشفاعة المنفية فهي التي ادعاها المشركون لآلهتهم.

19- الشفاعة لأهل الكبائر ثابتة بنصوص الكتاب والسنة، خلافاً للمعتزلة الذين أنكروها وقالوا أن مرتكب الكبيرة لا شفاعة له وأنه خالد مخلد في النار يوم القيامة.

20- الجنة والنار موجودتان الآن لا تفنيان ولا تبيدان، وزعمت المعتزلة غير ذلك.

21- برز من خلال السورة إعجاز القرآن الكريم، كما أنها تناولت احدى مراحل تحدي الله العرب أن يأتوا بمثله، وقول النظام بالصرفة باطل لأنه ليس معه دليل سوى عجز العرب عن الإتيان بمثل ما عليه من البيان.

22- الله ﷻ خالق كل شيء، بما في ذلك أفعال العباد فهم يفعلونها وفق لمشيئة الله وعلمه السابق، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا أن العباد يخلقون أفعالهم ويحدثونها والله ﷻ لا يخلقها.

23- الهدى والضلال يقعان بإرادة الله ﷻ والعباد هم الذين يختارون لأنفسهم الهداية والضلال، وعلى ذلك يقع الثواب والعقاب فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

24- هداية الإرشاد والبيان هي هداية عامة لجميع المؤمنين والكافرين ومن أجلها أرسل الأنبياء، أما هداية التوفيق فهي خاصة لله ﷻ فقط.

25- الختم والطبع لا يقعان ابتداءً وإنما هما عقوبة على من تمادى في الكفر والطغيان، وأعرض عن اتباع الهدي النبوي.

26- وأخيراً أحمد الله ﷻ أن أعانني ووفقني لحفظ هذه السورة المباركة وهي عندي من أهم نتائج الكتابة في هذا البحث، والحمد لله رب العالمين.

ثانياً: التوصيات.

1- العمل على إظهار زيف معتقدات المعتزلة الضالة وبطلانها خاصة فيما يتعلق في مجال الغيبيات.

2- أوصي بدراسة أراء الفرق الأخرى للقضايا العقدية الواردة في سورة يونس عليه السلام كالأشاعرة وغيرها من الفرق الكلامية الأخرى ومقارنتها مع السلف الصالح.

3- العمل على تأصيل العقيدة الإسلامية الصحيحة وغرسها في نفوس الموحدين، وتفنيدها من الشبهات الضالة التي قد تؤثر على البعض.

4- العمل على دراسة بعض موضوعات العقيدة من خلال كتب المعتزلة وذلك خلال مرحلة دراسة الماجستير لصعوبتها ولأهميتها.

5- أوصي وزارة التربية والتعليم والقائمين على وضع المناهج التعليمية بوضع مادة مستقلة خاصة بالعقيدة الإسلامية، وليست مدمجة مع منهج التربية الإسلامية لأن ذلك يعمل على غرسها في نفوس الطلبة وفهمها فهماً جيداً.

وأخيراً فهذه هي أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال كتابتي لهذا البحث، وأحمد الله ﷻ أن وفقني لإنجازه فقد تكبدت فيه جهداً غير يسير من السهر والجد والاجتهاد، ويبقى هذا جهداً بشرياً قليلاً فقد بذلت جهدي في التطرق لجميع القضايا العقدية التي تناولتها السورة، فالعلم بحر لا ساحل له إن أعطيته بعضك لم يُعطك شيئاً، وإن أعطيته كلك أعطاه بعضك، ولا ادعاء لي بفضل إلا بتوفيق ربي في علاه، فالحمد والشكر لله ﷻ أولاً وأخيراً

وأقول كما قال بعض العلماء:" إني رأيت أنه لا يكتب إنساناً كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ كذا يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا دليل على استيلاء النقص الذي يعترى البشر" (1).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس:10]

الباحثة

إيمان بنت عبد الكريم بن سليمان أبو مصطفى.

(1) أبو الطيب القنوجي، أبجد العلوم (ص52).

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

ابن أبي العز الحنفي، (1426هـ- 2005م). *شرح العقيدة الطحاوية*. ط1. تحقيق: محمد الألباني مكتبة الصفا.

ابن أبي يعلى ، أبو الحسين محمد بن محمد (المتوفى: 526هـ)، *طبقات الحنابلة*، المحقق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة.

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. (1422هـ). *الوجيز في عقيدة السلف الصالح*. ط1. مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. (1424هـ - 2003م). *الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة*. ط1. مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، الرياض: مدار الوطن للنشر.

ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. (1399هـ - 1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. (د.ط). تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. (المتوفى: 606هـ).

أحمد، إبراهيم خليل. (1409هـ-1989م). محمد *في التوراة والإنجيل والقرآن*. الناشر: دار المنار.

الأرو، عبد الرزاق. (1428هـ-2007م). *مصادر النصرانية دراسة ونقد*. ط1. دار الحديث للنشر والتوزيع.

الأسفراييني، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي. (1977). *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية*. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة. (المتوفى: 429هـ).

الأسفراييني، طاهر بن محمد ، أبو المظفر (المتوفى: 471هـ). (1403هـ - 1983م). *التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين*، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب - لبنان، ط1.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله، العتيبي. (1419هـ- 1999م). *العقيدة في الله*. الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثانية عشر.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ).(1394هـ - 1974م). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (المتوفى: 430هـ)(1406هـ-1986). *دلائل النبوة* ، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانيةم.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي ، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، 1419هـ - 1999م

الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (المتوفى: 502هـ). (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*. ط1. المحقق: صفوان عدنان الداودي، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

الأطرم ، صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله (المتوفى: 1428هـ)(1413هـ). *الأسئلة والأجوبة في العقيدة*، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط1.

أل فياض ، زيد بن عبد العزيز (1414هـ). *الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية*، دار الوطن - الرياض الطبعة الثالثة .

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (المتوفى: 1420هـ). *سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائده*. ط1. الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: مكتبة المعارف.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (المتوفى: 1420هـ). *صحيح الجامع الصغير وزياداته*.(د.ط). الناشر: المكتب الإسلامي.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (المتوفى: 1420هـ) (1423 هـ - 2002 م). صحيح *أبي داود*. ط1. الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (المتوفى: 1420هـ)، (1412هـ/1992م). *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة*، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1.

الألباني، محمد ناصر الدين (المتوفى: 1420هـ)(د.ت). صحيح وضعيف سنن أبي داود(د.ط).(د.ن).

الألباني، محمد ناصر الدين (المتوفى:1420هـ). (د.ت). *صحيح وضعيف سنن الترمذي*(د.ن).

الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415 هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. ط1. المحقق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية. (المتوفى: 1270هـ).

الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء (المتوفى: 1342هـ)(1422هـ). *فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية*. ط1. تقديم وتعليق: علي بن مصطفى مخلوف.

الآلوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين (المتوفى: 1317هـ) (1401 هـ – 1981م). *جلاء العينين في محاكمة الأحمدين*، قدم له: علي السيد صبح المدني – رحمه الله –، الناشر: مطبعة المدني.

الأمدي، سيف الدين الأمدي. (1424هـ –2004م). *أبكار الأفكار في أصول الدين*. ط2. تحقيق: أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية.

انجيل ربانا(د.ت). ترجمة الدكتور خليل سعادة، كتابة أحمد جبر عبد ربه، مطبعة المنار.

أيوب ، حسن محمد (المتوفى: 1429هـ). (1403 هـ – 1983 م). *تبسيط العقائد الإسلامية*. ط5. الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان.

الباجوري، محمد بن عفيفي ، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: 1345هـ) (1425هـ). *نور اليقين في سيرة سيد المرسلين*، الناشر: دار الفيحاء – دمشق، الطبعة: الثانية .

البار، محمد علي. (1403هـ–1983م). *خلق الإنسان بين الطب والقرآن*. ط4. الدار السعودية للنشر والتوزيع.

الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب. (1957م). *تصحيح ونشر الأب رتشرد يوسف اليسوعي*. بيروت: المكتبة الشرقية.

الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر المالكي (المتوفى: 403هـ) (1407هـ - 1987م). تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل. ط1. المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان.

البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ). (د.ت). *خلق افعال العباد*، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية – الرياض.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وأيامه، صحيح البخاري*. ط1. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة.

البدر، عبد الرزاق (د.ت). *الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله من العلماء الربانيين*.

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن (1424هـ/2003م). *تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي*، الناشر: غراس للنشر والتوزيع، ط1.

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن (1429هـ - 2008م). *فقه الأسماء الحسنى*. دار التوحيد الرياض الطبعة الأولي.

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. (1418هـ/ 1998م). *الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة*.ط11. ع4، الرياض: مكتبة الرشد.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي. (1408هـ-1987م). *مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ*. ط1. الرياض: مكتبة المعارف. (المتوفى: 885هـ).

أبو بكر الجزائري ، (د.ت). *عقيدة المؤمن*. (د.ط). مكتبة العلوم والحكم السعودية دار العقيدة.

أبو بكر الجزائري ، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. (1424هـ/2003م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط5. الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

البيجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي(2004- 1424هـ). شرح جوهرة *التوحيد*، ضبطه وصححه عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)،(1413 هـ - 1993 م). *الأسماء والصفات، حققه وخرج أحاديثه*

وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ)،(1401هـ). *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*، المحقق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط1،

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ). (1413 هـ - 1993 م). *الأسماء والصفات، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه*. ط1. عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية.

التبريزي ، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين (المتوفى: 741هـ). (1985). *مشكاة المصابيح*. ط3. المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ). (1395هـ-1975م). *سنن الترمذي*. ط2. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

التليدي ، عبد الله بن عبد القادر (د.ت). دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون. (د.ط). دار ابن حزم.

التميمي ، محمد بن خليفة بن علي (1422هـ/2002م). *الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها*. ط1. الرياض، المملكة العربية السعودية: أضواء السلف.

التميمي ، محمد بن خليفة بن علي1419هـ/1999م ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى. ط1. الرياض، المملكة العربية السعودية: أضواء السلف.

التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: 1285هـ). (1377هـ/1957م). *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*. ط7. المحقق: محمد حامد الفقي، مصر: مطبعة السنة المحمدية.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي. (1418هـ/1997م). *مقالة التعطيل والجعد بن درهم*. ط1. الرياض: أضواء السلف.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي. (1419هـ/1999م). *معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات*. ط1. الرياض: أضواء السلف.

التميمي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي. (المتوفى: 1206هـ). مجموعة *رسائل في التوحيد والإيمان*. المحقق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الرياض، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود.

التونجي، عبد السلام (1426هـ). *الإيمان باليوم الآخر*. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الثانية.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: 728هـ) (1416هـ/1995م). مجموع *الفتاوي*. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، مجموعة الرسائل والمسائل، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). (1425هـ / 2004م). *الفتوي الحموية الكبري*. ط2. المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الرياض: دار الصميعي.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). (1419هـ - 1999م). *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*. ط7. المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، بيروت: دار عالم الكتب.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). (1405هـ-1985م). *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*. (د.ط). حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ).(1411هـ-1991م). *درء تعارض*

العقل والنقل. ط2. تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). (1406هـ–1986م). *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*. ط1. المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). (1426هـ). *بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية*. ط1. المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). (1426هـ–2005م). العبودية، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي–بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة .

تيمية ابن ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). (1419هـ / 1999م). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. ط2. تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، (1420هـ/2000م). *النبوات*، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الرد على المنطقيين، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الفتاوي الكبري، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ – 1987م

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، قاعدة في المحبة، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، القصيدة التائية في القدر، شرح وتحقيق: محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، ط1 1424هـ = 2003م

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). (1421هـ/2000م). *التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع*. ط6. المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الرياض: مكتبة العبيكان.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (المتوفى: 429هـ). (د.ت). *أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه*. (د.ط). المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مكتبة الحسين التجارية.

الثعلبي، أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (1422، هـ – 2002 م). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. ط1. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (المتوفى: 427هـ).

جار الله ، زهدي. (1974). *المعتزلة* . ط1. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

الجامي، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: 1415هـ). (1408هـ). *الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه*. ط1. المملكة العربية السعودية: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدين.

ابن جبرين ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد (المتوفى: 1430هـ) (1416هـ-1995م). *التعليقات على متن لمعة الاعتقاد*. الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1.

الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة. (1424هـ). مختصر *تسهيل العقيدة الإسلامية*. ط2. الناشر: مكتبة الرشد.

الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة. (د.ت). *تسهيل العقيدة الإسلامية*. ط2. الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع.

الجديع، عبد الله يوسف. (1416هـ-1995م). *العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية*، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن (1423هـ/2003م). *أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة*، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الدار (المتوفى: 471هـ). (1413هـ - 1992م). *دلائل الإعجاز في علم المعاني*، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة .

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الدار (المتوفى: 471هـ). (1976م). *الرسالة الشافية*، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة.

الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد (د.ت). *شرح المواقف، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجبلي على شرح المواقف*، ضبطه وصححه محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ)(1403هـ -1983م). *التعريفات*. ط1. المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري. (1424هـ/2003م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط5. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم .

الجزائري، مبارك بن محمد الميلي (المتوفى: 1364هـ). (1422هـ-2001م). *رسالة الشرك ومظاهره*. ط1. تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع.

الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)(1417هـ/1997م). *الكامل في التاريخ*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1.

جعفر شرف الدين. (1420هـ). *الموسوعة القرآنية، خصائص السور*. ط1. المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

جمال الدين، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن (المتوفى: 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ). (1412 هـ – 1992 م). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ). (1422هـ). *زاد المسير في علم التفسير*. ط1. المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

الجويني. (د.ت). *الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد*، تحقيق محمد يوسف موسى و علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي – مصر.

الحجازي، محمد محمود. (1413 هـ). *التفسير الواضح*. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد.

ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: 852هـ). (1326هـ). *تهذيب التهذيب*. ط1. الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (المتوفى: 852هـ). (1390هـ /1971م). *لسان الميزان*. ط2. المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: 852هـ). *نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر*، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير بالرياض، ط1، 1422هـ.

ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: 852هـ) (1406 – 1986). *تقريب التهذيب*. المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، ط1.

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. (1410هـ-1990م). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*. ط1. المحقق: عمر بن محمود أبو عمر. الدمام: دار ابن القيم. (المتوفى: 1377هـ).

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. (المتوفى: 1377هـ). (1422هـ). *أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية*. تحقيق: حازم القاضي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية.

الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. (1414 هـ - 1993 م). معجم *الأدباء*. ط1. المحقق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي. (المتوفى: 626هـ).

أبو حنيفة النعمان ، بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هـ)(1419هـ - 1999م)، *الفقه الأكبر*. ط1. الناشر: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية،.

ابن حيان ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ). (1420 هـ). *البحر المحيط في التفسير*. (د.ط). المحقق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر .

ابن حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، *البحر المحيط في التفسير*، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (المتوفى: 388هـ)، (1404هـ - 1984 م). *شأن الدعاء*، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، الطبعة: الأولى.

الخلف، سعود بن عبد العزيز (1425هـ/2004م). دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة.

الخميس ، محمد بن عبد الرحمن.(د.ت). *أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة*. الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

الخميس، محمد بن عبد الرحمن. (1425هـ/2004م). *شرح الرسالة التدمرية*. (د.ط). (د.م). السعودية: دار أطلس الخضراء.

الخن، مصطفى و مستو محي الدين. (د.ت). *العقيدة الإسلامية أركانها – حقائقها- مفسداتها*، دمشق –بيروت: دار الكلم الطيب.

الخياط، أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان. (1413هـ –1993م). *الانتصار والرد على بن الراوندي الملحد*. ط2. تحقيق: الدكتور نيبرج. بيروت: مكتبة الدار العربية.

الدارمي ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) (1424هـ–2003م). *التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان*، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: 739هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1.

الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد السجستاني (المتوفى: 280هـ). (1418هـ – 1998م). *نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد*. ط1. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المحقق: رشيد بن حسن الألمعي.

الدارمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، البُستي (المتوفى: 354هـ) (1408هـ–1988م). *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. (د.ت). *سنن أبي داود*. (د.ط). المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. صيدا– بيروت: المكتبة العصرية. (المتوفى: 275هـ).

دراز ، محمد بن عبد الله (المتوفى: 1377هـ) (1426هـ– 2005م). *النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة .

دويدري ، رجاء وحيد (2000م). *البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية*، الناشر: دار الفكر المعاصر–بيروت–لبنان–دار الفكر–دمشق–سورية، ط1 – جمادى الآخرة 1421 هـ– أيلول سبتمبر.

الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: 276هـ). (1398هـ–1978م). *غريب القرآن*. المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية).

الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1419هـ- 1998م). *تذكرة الحفاظ*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (المتوفى: 748هـ).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: 748هـ). (1419هـ- 1998م). *تذكرة الحفاظ*. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1405 هـ / 1985 م). *سيرة أعلام النبلاء*. ط3. المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة. (المتوفى: 748هـ).

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. (1420 هـ). *التفسير الكبير*. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (المتوفى: 606هـ).

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ). (1420هـ - 1999م). *مختار الصحاح*. المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة.

ابن رجب ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ). (1409 - 1988). *التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار*، المحقق: بشير محمد عيون، دار النشر: مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان - دمشق، الطبعة: الثانية.

الرسي، القاسم إبراهيم إسماعيل (1408هـ-1988م). *أصول العدل والتوحيد*. دار الشروق الطبعة الثانية.

الروماني، الخطابي(د.ت). *عبد القاهر الجرجاني*، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر الطبعة الثالثة .

ابن الزاغوني، أبو الحسن علي بن عبيد الله (1424هـ - 2003م). *الإيضاح في أصول الدين*، دراسة وتحقيق عصام السيد محمود، الطبعة الأولي.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (المتوفى: 311هـ). (1408هـ-1988م). *معاني القرآن وإعرابه*. ط1. المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت: عالم الكتب .

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1422هـ). *التفسير الوسيط*. ط1. الناشر: دار الفكر - دمشق.

الزحيلي، وهبة مصطفى الزحيلي. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ). (1376 هـ - 1957م). *البرهان في علوم القرآن*، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (أيار / مايو 2002 م). *الأعلام*. ط15. الناشر: دار العلم للملايين. (المتوفى: 1396هـ).

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ). (1419 هـ - 1998م). *أساس البلاغة*. ط1. تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ). (1407 هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: 1394هـ). (د.ت). *زهرة التفاسير*. دار النشر: دار الفكر العربي.

أبو زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: 1394هـ)، المعجزة الكبرى للقرآن، الناشر: دار الفكر العربي.

زين العابدين، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ). (1410هـ-1990م). التوقيف علي مهمات التعاريف، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط1.

الزين، سميح عاطف. (1398هـ-1978م). *الإسلام وثقافة الإنسان*. الدار الكتاب اللبناني بيروت لبنان.

الزين، سميح عاطف. (1411هـ-1991م). معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر (1425هـ 2004م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ط1. قدم له فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، السعودية: مكتبة الصفا.

ابن السعود ، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

سعود بن عبد العزيز الخلف. (1420هـ-1421هـ). *أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة*.

السعوي، محمد بن عودة (1425هـ). *رسالة في أسس العقيدة*، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1.

السَّقَّاف، علوي بن عبد القادر. (1426هـ- 2006م). *صفات الله عزوجل الواردة في الكتاب والسنة*، الناشر: الدرر السنية – دار الهجرة، الطبعة: الثالثة .

السلمان، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن (المتوفى: 1422هـ)، (1418هـ -1997م). *مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية*. ط12. (د.ن).

سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 1233هـ). (1423هـ/2002م). *تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد*. ط1. المحقق: زهير الشاويش، بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي.

السنوسي، العلامة أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن عمر (1316هـ). *شرح عقيدة أهل التوحيد* (شرح السنوسية الكبري) مطبعة جريدة الإسلام مصر.

سيد سابق (المتوفى: 1420هـ). *العقائد الإسلامية*. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). *في ظلال القرآن*. ط17. بيروت-القاهرة: دار الشروق .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. (1394هـ/ 1974 م). *الإتقان في علوم القرآن*. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. (المتوفى: 911هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. (د.ت). *لباب النقول في أسباب النزول*. ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي. بيروت: دار الكتب العلمية. (المتوفى: 911هـ).

الشافعي، حسن بن محمد بن محمود العطار (المتوفى: 1250هـ). *حاشية العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع*. الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

أبو شريخ ، شاهر ذيب (2004هـ-1424م). موسوعة *أسماء الله الحسنى*. ط1. دار صفاء للنشر والتوزيع،

الشعراوي، محمد متولي (المتوفى: 1418هـ)، *تفسير الشعراوي*، الناشر: مطابع أخبار اليوم

شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي. (1402 هـ - 1982 م). *لوامع الأنوار البهية*. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها. (المتوفى: 1188هـ).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: 1393هـ) (1404هـ - 1984م). *منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات*. ط4. الناشر: الدار السلفية – الكويت.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: 1393هـ). (1415هـ - 1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، بيروت – لبنان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع .

أبو شُهبة ، محمد بن محمد بن سويلم (المتوفى: 1403هـ) (1423هـ-2003م). *المدخل لدراسة القرآن الكريم*. الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية.

أبو شُهبة ، محمد بن محمد بن سويلم (المتوفى: 1403هـ)، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، الناشر: دار الفكر العربي

الشهرستاني ، أبو الفتح ، محمد بن عبد الكريم بن أحمد. (1430هـ -2009م). *نهاية الأقدام في علم الكلام*، *حرره وصححه ألفريد* جيوم. ط1. مكتبة الثقافة الدينية.

الشهرستاني ، أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد. (د.ت). *الملل والنحل*. الناشر: مؤسسة الحلبي. (المتوفى: 548هـ).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. (1414 هـ). *فتح القدير*. ط1. دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب. (المتوفى: 1250هـ).

الشيرازي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (المتوفى: 685هـ) (1418هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ط1. المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الصابوني، محمد علي (1432هـ - 2011م). *التبيان في علوم القرآن*، مكتبة البشرى، الطبعة الثانية.

الصابوني، محمد علي. (1417هـ- 1997م). *صفوة التفاسير*. ط1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

صالح بن عبد العزيز بن محمد أل الشيخ (1433هـ-2012م). *التمهيد لشرح كتاب التوحيد*، دار الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط1.

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. (1420هـ- 2000م). *الوافي بالوفيات*. المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث. (المتوفى: 764هـ).

الصنعاني ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط1 - 1405 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ). (1421هـ). *الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف*. ط1. المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

صوفي، عبد القادر بن محمد عطا. (1422هـ- 1423هـ). *المفيد في مهمات التوحيد*. ط1. الناشر: دار الاعلام.

الضريس، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي. (1408هـ-1987م). *فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة*. ط1. تحقيق: غزوة بدير. دمشق: دار الفكر. (المتوفى: 294هـ).

ضميرية، عثمان جمعة (1417هـ-1996م). *مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية*.ط2. تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع.

الطاهر، حامد أحمد (1423هـ - 2002م). *الجامع لأسماء الله الحسنى*، الطبعة الأولي دار الفجر للتراث.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ). (1420هـ-2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. ط1. المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ). (1405). *صريح السنة*. ط1. المحقق: بدر يوسف المعتوق، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ) (1387هـ). تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية.

طنطاوي، محمد سيد. (د.ت). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط1. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الطوسي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: 505هـ) (1407 – 1987). *المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى*، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، ط1.

أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي. (1423 هـ- 2002 م). *أبجد العلوم*. ط1. دار ابن حزم. (المتوفى: 1307هـ).

ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.(1984هـ). *التحرير والتنوير*. (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر. (المتوفى: 1393هـ).

أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، (1418هـ). مختصر *معارج القبول*، الناشر: مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة: الخامسة.

أبو العباس ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي. (المتوفى: نحو 770هـ). (د.ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية.

أبو العباس ، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. المحقق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

أبو العباس ، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ). *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*. المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

عباس، فضل حسن، و عباس سناء فضل (1991م). *إعجاز القرآن الكريم*. (د.ط). عمان. (د.ن).

عبد الرحمن بن حماد آل عمر. (1412هـ). *الإرشاد إلى توحيد رب العباد*. ط2. الرياض – المملكة العربية السعودية: دار العاصمة.

عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف (1422هـ). *التوحيد للناشئة والمبتدئين*، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1.

عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان. (1419هـ/1999م). *جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف*. الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1.

عبد الكريم يونس الخطيب.(د.ت). *التفسير القرآني للقرآن*. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي .

عبد اللطيف ، رابحة نعمان توفيق. (1997م). *مشكلة الذات الإلهية والصفات عند القاضي عبد الجبار المعتزلي*. ط1. الكويت: جامعة الكويت.

العبد اللطيف ، عبد العزيز بن محمد بن علي. (1427هـ). *نواقض الإيمان القولية والعملية*. ط3. مدار الوطن للنشر.

أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ). (1421هـ). *تفسير أسماء الله الحسنى*. (د.ط). المحقق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 112 – السنة 33.

عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد. (المتوفى: 1402هـ) . (1412هـ–1992م). *التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية*، المحقق: أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة طبرية.

أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)(1421هـ). *تفسير أسماء الله الحسني*، المحقق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 112 – السنة 33 –.

العبده، محمد وعبد الحليم، طارق. (1408هـ–1987م). *المعتزلة بين القديم والحديث*. ط1. دار الأرقم.

العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر (1410هـ–1989م). *الرسل والرسالات*. الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الرابعة.

العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر (1415هـ–1995م). *القيامة الكبرى*، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السادسة.

العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر. (1425هـ–2005م). *القضاء والقدر*. الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثالثة عشر.

ابن عثيمين (1407هـ). مجموع *فتاوي ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين*. ط1. جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن للنشر .

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ) (1415هـ– 1995م). *تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد*، المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة: الطبعة الثالثة .

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ). (1419هـ). *تقريب التدمرية*. ط1. الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودسة، الدمام.

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ). (1419هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. ط5. المحقق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد. (1419هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. ط5. المحقق: سعد فواز الصميل. الرياض: دار ابن الجوزي. (المتوفى: 1421هـ).

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد. (1419هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. ط5. المحقق: سعد فواز الصميل. الرياض: دار ابن الجوزي. (المتوفى: 1421هـ).

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد. (1426 هـ). *شرح العقيدة السفارينية الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية*. ط1. الرياض: دار الوطن للنشر. (المتوفى: 1421هـ).

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد. (المتوفى: 1421هـ) (د.ت). *فتح رب البرية بتلخيص الحموية*. (د.ط). الرياض: دار الوطن للنشر.

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد. (المتوفى: 1421هـ). *القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى*، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2001م.

ابن عثيمين ، محمد بن صالح بن محمد. (المتوفى: 1421هـ). مذكرة *على العقيدة الواسطية*.(د.ط). (د.ن).

ابن عثيمين محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ) (1426هـ). شرح العقيدة السفارينية، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط1.

ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1424هـ - 2004م). *شرح ثلاثة الأصول*. ط4. الناشر: دار الثريا للنشر. (المتوفى: 1421هـ).

ابن العربي ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، (1424 هـ - 2003 م). *أحكام القرآن*. راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، بيروت: دار المعرفة.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ) (1412هـ). معجم *الفروق الفردية*، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، ط1.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. (1422 هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ط1. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. (المتوفى: 542هـ).

عفيفي، عبد الرزاق (المتوفى: 1415هـ). (1420هـ). مذكرة *التوحيد*. ط1. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

عفيفي، عبد الرزاق. (1420هـ). *الحكمة من إرسال الرسل*. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

العُكْبَري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ)، *الإبانة الكبرى*، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف

الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

ابن علي ، أبو إسلام أحمد (د.ت). *أسماء وصفات الله تعالي المركبة في القرآن الكريم.*

علي بن نايف الشحود (1431هـ-2010م). *أركان الإيمان*، الطبعة: الرابعة، مزيدة ومنقحة.

عمارة ، محمد (1408هـ- 1988م). المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، دار الشروق- الطبعة الثانية .

عمر ، أحمد مختار عبد الحميد. (1429 هـ - 2008 م). معجم *اللغة العربية المعاصرة*. ط1. الناشر: عالم الكتب. (المتوفى: 1424هـ).

عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ). معجم *المؤلفين*، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الجنة والنار، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السابعة.

العموش، بسام علي سلامة (1431هـ -2010م). *الإيمان بالغيب*. دار المأمون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي

عواد المعتق. (1421هـ، 2001م). *المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها*.ط4. الرياض: مكتبة الرشد.

ابن عيسى ، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله (المتوفى: 1327هـ). (1409_1989م). *الرد على شبهات المستعينين بغير الله*. الناشر: مطبعة دار طيبة - الرياض - السويدي.

غالب بن علي عواجي. (1422هـ-2001م). *فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها*. ط4. جدة: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق.

غالب بن علي عواجي. (1427هـ-2006م). *المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها*. ط1. جدة: المكتبة العصرية الذهبية.

الغامدي، أحمد بن عطية بن علي، (1423هـ/2002م). *البيهقي وموقفه من الإلهيات*. ط2. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الغصن ، عبد الله بن صالح بن عبد العزيز(1424 هـ). *دعاوي المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد*، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1،

الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (المتوفى: 272هـ). (1414هـ). *أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه*. ط2. المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، بيروت: دار خضر.

فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري. (المتوفى: 1392هـ). (1413هـ). *التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية*. ط3. المدينة المنورة: مطابع الجامعة الإسلامية.

ابن الفراء ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ) (1416هـ–1995م). الأنوار في شمائل النبي المختار، تحقيق: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، الناشر: دار المكتبي – دمشق، ط1.

الفِرْيابِي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفَاض (المتوفى: 301هـ). (1418هـ–1997م). كتاب القدر، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، ط1.

فضل حسن عباس (1430هـ – 2010م). *قصص القرآن الكريم*، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة .

الفوزان ، صالح بن فوزان بن عبد الله(د.ت). *عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك*.(د.ط).(د.ن).

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله (1420هـ –1999م). الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الناشر: دار ابن الجوزي، ط4.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله (1423هـ – 2002م). *إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد*. ط3. مؤسسة الرسالة.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله (1423هـ). *كتاب التوحيد*. ط4. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله (د.ت). التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله (د.ت). *عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك*.(د.ن).

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله ، شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (المتوفى: 817هـ). (1426هـ-2005م). *القاموس المحيط*. ط8. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت–لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. (المتوفى: 1332هـ). (1418 هـ). *محاسن التأويل*. ط1. المحقق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلميه.

القاضى، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني المعتزلي. (1972م). *المنية والأمل*. تحقيق: الدكتور سامي النشار - الدكتور عصام الدين محمد. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية. (المتوفى: 415هـ).

القاضي عبد الجبار بن أحمد (د.ت). *المجموع في المحيط بالتكليف*، عنى بتصحيحه ونشره الأب جين اليسوعي، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

القاضي عبد الجبار بن أحمد. (د.ت). *المغني في أبواب التوحيد والعدل*. (د.ط). تحقيق محمود قاسم. اشراف طه حسين مراجعة ابراهيم مدكور.(د.ن).

القاضي عبد الجبار وأخرون، (1408هـ - 1988م). *رسائل العدل والتوحيد*، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار الشروق.

القاضي عبد الجبار. (د.ت). *تنزيه القرآن عن المطاعن*. (د.ط). بيروت–لبنان: دار النهضة الحديثة.

القاضي عبد الجبار. (د.ت). *متشابه القرآن*. (د.ط). تحقيق: عدنان محمد زرزور، دار التراث.

القاضي عبد الجبار، أبي القاسم البلخي، الحاكم الجشمي(د.ت). *فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة*. تحقيق فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر.

القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ)،(1409هـ- 1988). *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*. الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: 873هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر:.

القاضي، عبد الجبار بن أحمد. (1416هـ -1996م). *شرح الأصول الخمسة*. ط3. تحقيق: عبد الكريم عثمان. مكتبة وهبية.

القاضي، عبد الجبار. (1408هـ -1988م). *المختصر في أصول الدين*. ط2. تحقيق: محمد عمارة. دار الشروق.

ابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ). (1388هـ-1968م). *المغني*. (د.ط). مصر: مكتبة القاهرة.

ابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ) (1406هـ). *ذم التأويل*. ط1. المحقق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: الدار السلفية – الكويت.

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ). *الإعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام*. المحقق: د. أحمد حجازي السقا، الناشر: دار التراث العربي – القاهرة.

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ). (1384هـ-1964م). *الجامع لأحكام القرآن*. ط2. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية .

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ)، *التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة*: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1425 هـ

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. (1384هـ-1964م). *الجامع لأحكام القرآن*. ط2. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية. (المتوفى: 671هـ).

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (المتوفى: 463هـ) (1412هـ-1992م). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. ط1. المحقق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل.

القرطبي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (المتوفى: 456هـ). *الإحكام في أصول الأحكام*. المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

القرطبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى. (1426هـ -2005م). *حققه الشيخ عرفان حسونة*، المكتبة العصرية – صيدا بيروت الطبعة الأولى.

القرطبي، محمد أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي الأنصاري. (1416هـ-1995م). الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى.

القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. (1399هـ - 1979م). معجم *مقاييس اللغة*. (د.ط). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. (المتوفى: 395هـ).

القطان، مناع بن خليل (المتوفى: 1420هـ). (1421هـ- 2000م). *مباحث في علوم القرآن*، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة .

القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة الحسيني (المتوفى: 1354هـ). (1990م). *تفسير المنار*. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: 1307هـ)(1421هـ). *قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر*، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1.

القنوجي، السيد محمد صديق حسن (1415هـ- 1995م). *الدين الخالص، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم*. بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية (1425هـ-2005م). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. تحقيق سيد عمران، والسيد محمد سيد، القاهرة: دار الحديث.

ابن قيم الجوزية ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)(1421هـ/2001م). *تلبيس إبليس*، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (1416 هـ - 1996م). (المتوفى: 751هـ). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ) (1999م). *الوابل الصيب من الكلم الطيب*، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ). (1416 هـ - 1996م). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. ط3. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ). (1418هـ-1997م). *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*. ط1. الناشر: دار المعرفة – المغرب.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)،(1417هـ). متن القصيدة النونية، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية،

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ) (1393هـ- 1973م)، الفوائد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ). *التبيان في أقسام القرآن*. المحقق: محمد حامد الفقي، بيروت، لبنان: دار المعرفة.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ).(د.ت). بدائع الفوائد.(د.ط). بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ). (1394هـ). *طريق الهجرتين وباب السعادتين*. ط2. الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)(1415هـ /1994م). *زاد المعاد في هدى خير العباد*، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان*، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)(1410 هـ). ، *تفسير القرآن الكريم (تفسير القيم)*، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1408هـ / 1988م). *اجتماع الجيوش الإسلامية*. ط1. تحقيق: عواد عبد الله المعتق. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية. (المتوفى: 751هـ).

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1422هـ – 2001م). *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة*. ط1. المحقق: سيد إبراهيم. القاهرة: دار الحديث. (المتوفى: 751هـ).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ). *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير (1434هـ – 2013م). *قصص الأنبياء*، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الفجر للتراث، الطبعة الثانية.

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ). (1419هـ). *تفسير القرآن العظيم*. ط1. المحقق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) (1408هـ– 1988م). *البداية والنهاية*، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط1 .

كردي، إيمان عبد اللطيف(1428هـ – 2007م). *اليوم الآخر أحداث وعبر*، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي .

الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الحنفي (المتوفى: 1094هـ).(د.ت). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*.(د.ط). المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكواري ، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام (1422هـ-2002م). *المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسني للعلامة محمد صالح العثيمين*، الناشر: دار ابن حزم، ط1.

لاشين، عبد الفتاح (د.ت). *بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية*، دار الفكر العربي.

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (المتوفى: 418هـ). (1423هـ/2003م). *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*. ط8. تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية.

لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: 41هـ) (1425هـ- 2004 م). ديوان لبيد بن عامر العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة، ط1.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوي اللجنة الدائمة، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع – الرياض.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: 450هـ)، (1409هـ). *أعلام النبوة*. ط1. الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت،.

ابن متويه ، الحسن بن متويه النجراني المعتزلي (د.ت). *التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض*، تحقيق سامي نصر لطف وفيصل بدير عون، دار الثقافة – القاهرة.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار). *المعجم الوسيط*. الناشر: دار الدعوة

محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي. (1405هـ - 1985م). *عقيدة التوحيد في القرآن الكريم*. ط1. الناشر: مكتبة دار الزمان.

محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: 1430هـ) (1426هـ-2005م). *نفحات من علوم القرآن*، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية.

أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى: 329هـ). *شرح السنة*.

محمد السيد الجليند. (د.ت). *الوحي والإنسان– قراءة معرفية*، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة).

محمد بكر إسماعيل (المتوفى: 1426هـ)(1419هـ–1999م). *دراسات في علوم القرآن*، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية .

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، الناشر: دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الحادية عشرة، 1431 هـ – 2010 م .

محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) (1426هـ– 2005م). *الوحي المحمدي*، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1.

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، *مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات*، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)(1398هـ–1978م). معجزة *القرآن*، الناشر: المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ص. ب 1707 – القاهرة، ط1.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (المتوفى: 1371هـ). (1365هـ–1946م). *تفسير المراغي*. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده .

مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. (د.ط). المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية. (المتوفى: 1205هـ).

مرعي الحنبلى، بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي. (المتوفى: 1033هـ). (1406هـ). *أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات*. ط1. المحقق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.

مسلم، مصطفى. (1426هـ– 2005م). *مباحث في اعجاز القرآن*، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة.

مصطفي حلمي. (2005). *قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي*. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو المظفر ، طاهر بن محمد الأسفراييني، (المتوفى: 471هـ) (1403هـ - 1983م). التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب – لبنان.

المعتق، عواد بن عبد الله. (1422هـ/2002م). *حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة*. الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 34 - العدد 115.

المغامسي، أبو هاشم صالح بن عواد بن صالح. (د.ت). *تأملات قرآنية*. (د.ط). مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

المغربي، علي عبد الفتاح. (1415هـ، 1995م). *الفرق الكلامية مدخل ودراسة*. ط2. مكتبة وهبة.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (المتوفى: 845هـ). (1409هـ/1989م). *تجريد التوحيد المفيد*. (د.ط). المحقق: طه محمد الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

المَلَطي، أبو الحسين العسقلاني، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن. (د.ت). *التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع*، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري. مصر: المكتبة الأزهرية للتراث. (المتوفى: 377هـ).

المناعي، عائشة يوسف (1412هـ-1992م). *أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية*. ط1. دار الثقافة.

ابن منظور ، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى. (المتوفى: 711هـ). (1414 هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف (1426هـ-2005م). *الجموع البهية للعقيدة السلفية*، الناشر: مكتبة ابن عباس، مصر، ط1.

موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام. (د.ت). (د.ط). مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف.

أبو موسى الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة (المتوفى: 324هـ). (1426هـ - 2005م). *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*. ط1. المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية.

المؤيد باللَّه ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (المتوفى: 745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، ط1، 1423 هـ.

الميداني ، عبد الرحمن حسن حنبكة. (1399هـ– 1979م). *العقيدة الإسلامية وأسسها دار القلم* دمشق بيروت الطبعة الثانية .

ابن ناصر الدين ، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، (المتوفى: 842هـ). (1393هـ). *الرد الوافر*. ط1. المحقق: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي.

النجار، زغلول. (1428هـ –2007م). *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*. ط1. مكتبة الشروق الدولية.

النجدي ، محمد الحمود (د.ت). *النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى*، الكويت: مكتبة الإمام الذهبي.

نخبة من أساتذة التفسير (1430هـ – 2009 م). *التفسير الميسر*، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة.

نخبة من العلماء (1421هـ). *أصول الايمان في ضوء الكتاب والسنة*. ط1. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

نخبة من العلماء(1421هـ). *أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة*، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1.

ندا ، سعد بن عبد الرحمن(د.ت). *مفهوم الأسماء والصفات*، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي. (1420 هـ). *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*. ط4. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المتوفى: 303هـ) (1406 – 1986). *سنن النسائي*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: 710هـ)، (1419 هـ - 1998 م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط1.

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ). (1407هـ-1987م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. ط4. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.

نعيم الحمصي (1400هـ-1980م). *فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر*. مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.

نور الدين محمد عتر الحلبي (1414هـ-1993م). *علوم القرآن الكريم*، الناشر: مطبعة الصباح – دمشق، ط1.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ).(1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية.

النيسابوري ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)(1411 – 1990). *المستدرك على الصحيحين*. ط1. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: 261هـ). (د.ت). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: 850هـ) (1416هـ)، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط1.

هراس، محمد خليل (1406هـ – 1986م). *دعوة التوحيد*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (المتوفى: 370هـ). (2001م). *تهذيب اللغة*. ط1. المحقق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي .

ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ). (1375هـ – 1955 م). *السيرة النبوية لابن هشام*. ط2. تحقيق: مصطفى السقا

وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي. (1412 هـ – 1992م). *أسباب النزول*. ط2. المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. الدمام: دار الإصلاح .(المتوفى: 468هـ).

الوصيفي، أبو عبد الرحمن علي بن السيد. (د.ت). *القضاء والقدر عند السلف*، دار الإيمان للنشر والتوزيع.

ياسين، محمد نعيم (1412هـ –1991م). *الإيمان أركانه حقيقته نواقضه*. ط1. مكتبة السنة.

ياسين، نسيم شحدة. (1436هـ–2015م). *شرح أصول العقيدة الإسلامية*. ط7. (د.م) (د.ن).

فهرس الآيات القرآنية

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
16.	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾	186-196	312
17.	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾		
	سورة المائدة		
18.	﴿مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ ﴾	103	108
19.	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾	64	178
20.	﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾	119	292
	سورة الانعام		
21.	﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾	59	60
22.	﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	96	61
23.	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم﴾	46	73
24.	﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾	121	110
25.	﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾	136	110
26.	﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	103	125
	سورة الاعراف		
27.	﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	54	44
28.	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾	172	47
29.	﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾	110	85

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
30.	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾	180	121
31.	﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾	143	190
	سورة التوبة		
32.	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	128	16
33.	﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾	126	17
34.	﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾	62	62
35.	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾	36	62
	سورة يونس		
36.	﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾	26	8
37.	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا﴾	98	14
38.	﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾	2	14
39.	﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾	40	15
40.	﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾	95	15
41.	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾	1	16
42.	﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾	109	16
43.	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ﴾	15	17
44.	﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ﴾	12	17
45.	﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ . . .﴾	31	19
46.	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا	18	19
47.	﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ	46	19

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
	عَلَى مَا يَفْعَلُون﴾		
48.	﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾	65	19
49.	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ﴾	75	20
50.	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي﴾	71	20
51.	﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾	63-61	20
52.	﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ﴾	94	21
53.	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾	45	21
54.	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون﴾	47	21
55.	﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾	8-7	21
56.	﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾	99	21
57.	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ	74	21
58.	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾	3	45
59.	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ﴾	5	47
60.	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ﴾	22	47
61.	﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُون﴾	6	58
62.	﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ	101	58

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	لاَّ يُؤْمِنُون﴾		
.63	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾	67	65
.64	﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُون﴾	32	72
.65	﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾	34	76
.66	﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون﴾	56	77
.67	﴿ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِين﴾	53	77
.68	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾	28–29	80
.69	﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ﴾	49	81
.70	﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ﴾	106	81
.71	﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ﴾	107	81
.72	﴿أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾	55	82
.73	﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ	68	82
.74	﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَـذَا لَسِحْرٌ مُّبِين﴾	76	83
.75	﴿فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ	81	84
.76	﴿قَالَ مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُون﴾	77	84
.77	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيم﴾	79	85
.78	﴿أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾	66	95

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيــة	م.
96	64-62	﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾	.79
99	9	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾	.80
103	4	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾	.81
103	70	﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾	.82
104	33	﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾	.83
107	104	﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ﴾	.84
109	60-59	﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً﴾	.85
142	10	﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾	.86
201	93	﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ﴾	.87
207	87-83	﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾	.88
208	89-88	﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	.89
315	108	﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾	.90
		سورة هود	
109	26	﴿أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ﴾	.91
	13	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾	.92

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة يوسف		
.93	﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾	41	43
.94	﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾	50	43
.95	﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾	105	59
	سورة الرعد		
.96	﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ﴾	4	67
.97	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ﴾	13	67
.98	﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾	20	78
	سورة ابراهيم		
.99	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	10	49
	سورة الحجر		
.100	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾	87	13
.101	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾	22	70
	سورة النحل		
.102	﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾	7-5	67
.103	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ﴾	11-10	71
.104	﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ﴾	78	74
.105	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾	36	89
	سورة الاسراء		
.106	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾	12	63
.107	﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾	23	106
.108	﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾	110	121

م.	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الكهف			
.109	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾	9–11	101
.110	﴿كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾	29	103
.111	﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	49	134
سورة مريم			
.112	﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ ﴾	42	167
.113	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾	51	199
سورة طه			
.114	﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾	66	86
.115	﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾	8	141
سورة الانبياء			
.116	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	25	34
.117	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ ﴾	22	53
.118	﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾	28	273
سورة الحج			
.119	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	6	147
سورة المؤمنون			
.120	﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾	91	52
سورة النور			
.121	﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	55	104
سورة الفرقان			
.122	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا ﴾	23	287

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء			
123.	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾	193-195	222
124.	﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾	214	284
سورة النمل			
125.	﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	30	156
126.	﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾	35	197
سورة القصص			
127.	﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	56	311
سورة العنكبوت			
128.	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	61	49
سورة لقمان			
129.	﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيد﴾	12	ح
130.	﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾	34	43
سورة الاحزاب			
131.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ﴾	71-70	1
132.	﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾	43	156
سورة سبأ			
133.	﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾	3	60
134.	﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أو في ضلال مبين﴾	24	72
135.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾	28	219

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة يس		
136.	﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾	39	61
137.	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾	82	172
138.	﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ﴾	81	263
	سورة ص		
139.	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَاب﴾	20	163
	سورة الزمر		
140.	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّين﴾	11	92
141.	﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِين﴾	71	105
142.	﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ﴾	3	108
143.	﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء﴾	69	145
	سورة غافر		
144.	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	60	112
	سورة فصلت		
145.	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾	53	47
146.	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا﴾	30	99
	سورة الشورى		
147.	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير﴾	11	40
148.	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾	21	93
	سورة الزخرف		
149.	﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِين﴾	56	22
	سورة الدخان		
150.	﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾	46-43	285

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة محمد		
151.	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾	19	35
152.	﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ ﴾	15	282
	سورة ق		
153.	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾	39	46
154.	﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾	18	255
	سورة الذاريات		
155.	﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾	21	47
156.	﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ ﴾	42	70
	سورة الطور		
157.	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾	35	45
158.	﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾		
	سورة النجم		
159.	﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾	15	289
	سورة الواقعة		
160.	﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴾	10–13	98
	سورة الحديد		
161.	﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	6	65
	سورة الحشر		
162.	﴿ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ ﴾	10	113
163.	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾	22–24	134
	سورة الصف		
164.	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم ﴾	6	218

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة نوح			
.165	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	7-1	203
سورة الجن			
.166	﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾	27-26	100
سورة القيامة			
.167	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	23-22	188
.168	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾	18-17	220
سورة الانسان			
.169	﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	2	132
سورة المطففين			
.170	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾	15	190
سورة الاعلى			
.171	﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾	3-2	310
سورة البينة			
.172	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾	5	92
سورة الاخلاص			
.173	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	-	35
سورة الناس			
.174	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾	-	38

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
"أن النبي محمد ﷺ دعا بماء فأتي بقدح رحراح فجعل القوم يتوضؤون فحزرت.."	215
"إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ..."	281
"أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ...."	43
"إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا – وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا – فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ..."	153
"إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِد..."	302
"إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ...."	127
"إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ،..."	155
"إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ.."	286
"إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ..."	90
"أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ – أَوْ مِنْ تحتِ جِبَالِ مِسْكٍ...."	282
"أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا،.."	263
"أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح وكانت الأبناء تَبرُ الآباء فمات رجل..."	108
"بِاسْمِكَ نَمُوتُ وَنَحْيَا"	127
"بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ،..."	254
"تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ فَيَكُونُ..."	268
"ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ.."	262
"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ..."	24
"رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ ...."	108
"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ...."	268
"سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟"،..."	127
"شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"	275
"صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ..."	107
"صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ ..."	202
"عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل...:	200

الحديث	رقم الصفحة
"فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي..."	257
"فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ..."	202
"قَالَ اللهُ ﷻ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ...."	281
"كاد قلبي يطير وقتها"	46
"كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ ..."	180
"كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ،...."	49
"كَانَ بَيْنَ آدَمَ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ"	80
"كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،..."	300
"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ...."	46
"لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"	115
"لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، دَعَا رَسُولُ..."	284
"مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ..."	219
"مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ...."	113
"مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ...."	210
"مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة..."	217
"مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ"	93
"مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ سُمٌّ وَلاَ سِحْرٌ"	85
"من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر ومن الحسنات بعدد من صدق بيونس ..."	18
"مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"	95
"مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ"	ج
"مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ..."	311
"نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً ..."	285

الحديث	رقم الصفحة
"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا قَالُوا:..."	289
"يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ..."	300
"يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ"، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ..."	110
"يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ..."	46
"يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ،...."	81
"يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟"، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ..."	90
"يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا"قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ ..."	269
"يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ...."	269
"يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟...."	144
"يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ	292
"يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ ..."	169
أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: "تِلْكَ عَاجِلُ..."	99
إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا..."	256
أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: "أَلَيْسَ الَّذِي..."	268
إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ ..."	289
أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس وقبلهما..."	198
أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا...."	149
جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله..."	161
خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ..."	252
رُوِي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ...."	214
سمعت رسول الله ﷺ يقول:"يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ...."	261
قال رسول الله "ﷺ: الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ "	168

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس الفرق.

فهرس الكلمات.